

الألوهية
فى
ضوء القرآن الكريم

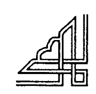
للدكتور

أحمد محمد عبد العال الجغاوى

استاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بجامعة الأزهر بطنطا

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأشهد أن لا اله الا الله ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ٠

وأشهد أن سيدنا محمدا رسـول الله ، جمع الناس على التوحيد الخالص والعقيدة الخالدة ، ﷺ ، وعلى آله وصحبه ومن تمسك بسنته واهتدى بهديه الى يوم الدين ٠

وبعد :

فهذه دراسات قرآنية تبدأ بأهم جانب من جوانب العقيدة ألا وهو جانب الألوهية ، لأن العقيدة الصحيحة ـ تبدأ بالايمان بالله الواحد وتنتهى بالايمان باليوم الآخر « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء (١) ٠

ان هذه الدراسة تعتمد أولا على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فجاءت واضحة المعالم سهلة الأسلوب ، لا تعقيد فيها ولا غموض ، بعيدة عن التأثر بمنهج علماء الكلام الذين كان لجهودهم دور عظيم فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية ٠

ان بحوث العقيدة فى الاسلام أكثر من أن تحصى ، كتب السابقون والمعاصرون ، الا أن المسلمين اليوم بحاجة الى أن يعرفوا حقائق دينهم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ٠

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٣٠ ٠

فكل من آتاه الله حظـا من العلم الصـحيح فى كل عصر مطالب بالتدبر والتفكر ، والنظر فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ٠

ومن هنا كان واجب العلماء والدعاة اليوم أن يقدموا الحقائق الاسلامية فى صورتها القرآنية الخالصة بالأسـلوب الذى يتفق مع العصر الذى يعيشون فيه ٠

لهذا فقد توخيت فى هذه الدراسة عرض الآيات القرآنية التى تقدم صورة تجمع السمات العامة والملامح الرئيسية ، وهى فى خصائصها ودلائلها تقنع كل عقل سليم وتصل الى كل قلب بعيد عن التعصب والهوى ٠

والله تعالى أسأل أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعنا بما كتبنـا ، والله المسـتعان وهو حسـبنا ونعم الوكيل ٠

د / أحمد محمد عبد العال الجغاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة فى : أهمية العقيدة :

بقدر ما تصح عقيدة الانسان بقدر ما تزكوا أخلاقه وتستقيم أعماله ، لهذا فان للعقيدة أهمية بالغة فى حياة الفرد والمجتمع ، فمنذ ظهور الانسان على ظهر هذه البسيطة ، والعقيدة الدينية أهمية بالغة فى حياة الانسان .

فهى كما يقول العقاد هى طريقة حياة لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة ، انما نعنى بها حاجة النفس كما يحسها من أحاط بتلك الدراسات ، ومن فرغ من العلم والمراجعة ليترقب مكان العقيدة من قراءة ضميره ، انما نعنى بها ما يملأ النفس لا ما يملأ الرؤوس ، أو يملأ الصفحات ، فالعقيدة التى يصح أن توصف بالدينية هى العقيدة التى تعتمد على سند فوق الطبيعة ، وأن العقيدة على أية حال قوة مطلوبة لا يستغنى عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها ولا يرفضها من اعتصم منها بمعتصم واستقر فيها على قرار (١) ويقول العقاد أيضا وقد اتفق علماء المقارنة بين الأديان على تأصيل العقيدة الدينية فى طبائع بنى الانسان من أقدم أزمنة التاريخ (٢) :

ان حياة الجنس البشرى الممتد فى أعماق التاريخ خير شاهد لأثر العقيدة الدينية فى أعماق هذا التاريخ ، فهى ممتدة امتداد الانسان ، فقد ارتبط وجودها بوجوده ، بل هى

---

(١) الأستاذ عباس العقاد عقائد المفكرين ص ٢٤ نشر مكتبة غريب مطبعة الاستقلال .

(٢) الأستاذ — عباس العقاد الله ص ١٥ .

لازمة من لوازم حياته ، فلم تعرف الانسانية خلال تاريخها الطويل أمة عاشت بلا عقيدة — وهذا ما قرره الفيلسوف الفرنسى « هنرى برجسون » بقوله لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفلسفات وفنون ، لكن لم توجد قط جماعة بغير عقيدة دينية (٣) ·

ان العقيدة الدينية هى التى ينبثق منها نظام الحياة ، لأنها معنى قائم بنفس المعتقد مرتبط بكيانه متضمن كل مضامين الخير والفضيلة ، والتقدم والعقيدة الاسلامية هى التى كونت فى مجموعها صورة الفكر — لأنها الخاصية اللازمة للانسان منذ كان والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولهذا فان عقيدة المسلم تحتل مكانا رفيعا فى حياته ووجدانه لأنها الأساس الذى يرتكز عليه دينه ، ومن منطلق هذه العقيدة يكون سلوك المسلم فى الحياة باعتبارها دافعة الى السلوك الطيب والأخلاق الفاضلة ·

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة انما يقصد بها تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى — فضلا عن أنها حقائق ثابتة — وهى تعد من أعلى المعارف الانسانية بل هى أعلاها على الاطلاق ·

ان تهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة هو أسلوب من أهم الاساليب التربوية التى ابتكرها العلماء والحكماء ·

ذلك أن غرس العقيدة فى النفوس هو أمثل طريقة لايجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملا فى الحياة وتسهم بنصيب كبير بما هو أنفع وأرشد ·

---

(٣) الدكتور محمد عبد الله دراز — الدين ص ١٤٢ مطبعة السعادة ·

ان العقيدة هى الروح لكل فرد بها يحيا الحياة الطيبة ، وبفقدها يموت الموت الروحى ، لانها النور الذى اذا عمى عنه الانسان ضل فى مسارب الحياة وتاه فى أودية الضلال قال تعالى : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » (٤) ٠

فالعقيدة هى مصدر للعواطف النبيلة ومغرس المشاعر الطيبة ، ومنبت الأحاسيس الشريفة – فما من فضيله صالحة ألا وترد اليها ٠

ولهذا نجد أن القرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات انما يذكر العقيدة فى طليعة أعمال البر كأصل تتفرع عنه وكأساس تقوم عليه قال تعالى : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٥) وعلى هذا نجد أن أهمية العقيدة يتناول الأمور التى بها ينتظم تعريفها (٦) وهذه الأمور هى :

أولا : المعرفة بالله ، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، والمعرفة بدلائل وجوده ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة ٠

---

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ١٢٢ ٠

(٥) سورة البقرة الآية رقم ١٧٧ ٠

(٦) انظر الشيخ سيد سابق العقائد الاسلامية ص ٨ و ٩ ، ١٠ ، ١١ دار الفكر – بيروت لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ٠

فالمعرفة بالله تعالى من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير ، وتربى ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرفها وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفسافها .

ثانيا : المعرفة بالملائكة التى تمثل قوى الخير فى العالم المنظور فالمعرفة بالملائكة : تدعو الى التشبه بهم فى مواصلة الطاعة لله ، والتعاون معهم على الحق والخير ، كما تدعو الى الوعى الكامل واليقظة التامة ، فلا يصدر من الانسان الا ما هو حسن ولا ينصرف الا لغاية كريمة .

ثالثا : المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل ، والخير والشر ، والحلال ، والحرام ، والحسن والقبيح .

ذلك أن المعرفة بالكتب الالهية انما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله للانسان كى يصل بالسير عليه الى كماله المادى والأدبى .

رابعا : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذى اختارهم ليكونوا أعلام الهدى وقادة الخلق الى الحق .

والهدف من المعرفة بالرسل : انما يقصد بها ترسم خطاهم والتخلق بأخلاقهم والتأسى بهم باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة ، والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس .

خمسا : المعرفة باليوم الآخر ، وما فيه من بعث وجزاء وثواب ،وعقاب ، وجنة ونار . ذلك أن المعرفة باليوم الآخر وما فيه هى أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر .

سادسا : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير فالمعرفة بالقدر تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العقاب والصعاب وتصغر دونها الاحداث الجسام .

وهكذا يتضح لنا أن العقيدة الاسلامية تقوم بدور أساسى فى حياة الفرد والمجتمع فى أى عصر كان .

ولما كانت العقيدة الاسلامية بهذه المثابة - كان من الواجب على كل مسلم العمل على تقويتها والبعد بها عن مزالق التيارات الالحادية وكل من شأنه ان يضعف هذه العقيدة وذلك باتخاذ كل السبل وكافة الوسائل الموصلة الى هذا الهدف العلمى السامى .

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد :

القرآن الكريم مصدر الاستدلال

القرآن الكريم مصدر الاستدلال :

من الحقائق الواضحة والعلامات البينة ، أن القرآن الكريم بنظمه البارع وتناسقه الكامل ، قد خلب العقول ، وأدهش القلوب ، وأسر النفوس ، فقد أطبقت أنواره الأرض ، وشملت أضواؤه الآفاق ، فجاء القرآن الكريم وكان كما وصفه أحكم الحاكمين مخاطبا سيدنا محمد ﷺ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » (٧) .

فالقرآن الكريم صادر من الحق جل علاه فى سمآه متوجه الى الانسان يقول تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (٨) .

يقول بعض الباحثين (٩) ان الدين فطرة الله وأن الانسان فطرة الله فكان لابد من التلاقى أو التلقى بين الدين . وبين الانسان « لا تبديل لخلق الله » .

وقد قيل « أن الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه » (١٠) .

فقد زودنا الحق تبارك وتعالى بقوى ادراكية منها العقلى ، والحسى ، والقلبى ، وهذه القوى مرتبط بعضها ببعض ويؤثر بعضها فى بعض ، فعلى هذه القوى أن تقوم بوعيها نحو الاستدلال توصلا الى كسب المعارف العامة ،

---

(٧) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(٨) سورة الروم الآية رقم ٣٠ .

(٩) الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ مداخل العقيدة الاسلامية ص ٢٤ .

(١٠) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ١ ص ٣٩ .

ومعرفة الله بالذات ، ولما كان الاعتقـــاد - وهو حالة نفسـية مرتبط بالصفات النفسية كلها يتأثر بها ويؤثر فيهـا ، لأن العقائد الدينية لا تعتمد على جانب واحد من جوانب الحياة النفسية للانسان - الوجدانية والارادية والعقلية ، ولكنها تتصل بها كلها اتصالا وثيقا ، ولا ترضى نفس المرء ولا تكمل شخصيته الا اذا تضامنت شخصيته ونواحيه النفسية كلها وعملت معها على تقبل كل عقيدة من عقائده ، فلا يوجد شيء من التضـــارب بين قواه المتعـددة حول عقيدة من عقائده ، بل انسجام ووئام ، فيوجد قبول عقلى ، واطمئنان قلبى ، والتقاء مع الارادة ، وذلك هو كمال الشخصية ، وهو كمال الاعتقاد ، وهو كمال العقيدة كذلك (١١) .

والحقيقة أن الله سـبحانه وتعـالى على الرغم من أنه منحنا تلك الادراكات والقوى الواعية الا أنه علم عدم قدرتها على استيعاب كل الأمور خاصة ما يتصل بالعالم الغيبى ، فأسعف القوى الانسانية هذه بالوحى انقاذا لها من السقوط وتجنيبا لأفكارها من التردى ، لهذا كان لابد من اللجوء الى القرآن الكريم فى الاستدلال ، وأن نعتبره المصدر الرئيسى فى تلك العملية سواء أراد النـاظر أدلة مطلقـة من غير تعين المطلوب ، أم حدد مطلوبا معينا . فالقرآن هو الدليل الهادى الذى يفيد العلم ، ويوصل الى الهدى ويحقق الانتفاع بالعلم والهداية ، وأدلته هى التى تحمل العلم المفصـل الذى يزيد الايمان وينميـه ، يقول جندب بن عبد الله البجلى « تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا » .

فاذا ما نظر الناظر فى الدليل الهادى بين أدلة القرآن وأخطأ فهذا منه لا من تلك الأدلة ، ويـكون النـاظر هو الذى

---

(١١) الدكتور محمود حب الله الوجدانية والعقيدة الدينية ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

أخطأ مقصود الدليل « لا أن الدليل نفسه هو الذى لم يوصل الى الهدى ، فكل دليل صحيح فى ذاته ، صادق فى حكمه ، يهدى الى المطلوب .

والناظر اما أن يكتشف ذلك بصحيح نظره ، وسلامة آلاته . واما الا يكتشف المطلوب لخلل فيه وفى طريقته وآلاته . ويستحيل أن يكون الخلل من نفس دليل الحق سبحانه .

هذا بخلاف الناظر فى الأدلة العقلية ، فانه يقع فى أخطاء تتصل بالدليل ذاته عندما يحسبه الناظر صحيحا وهو فاسد ، أو حقا وهو باطل (١٢) . أو لا يعرف ما يدله على المطلوب ، فيتخبط بين أدلة متعددة ، ويتردى بين شبه ربما يعدها أدلة وهى ليست كذلك ، وربما يكون الخطأ عائدا الى قصور فى المستدل وطريقته ، وما دام الأمر هكذا فلابد من اللجوء الى أدلة صحيحة صادقة من كتاب الله تعالى .

ونحن هنا نروم اماطة اللثام ، وكشف النقاب ، وازاحة الاستار عن قضية الألوهية ذخرت بها الصورة القرآنية الماجدة لأنها الصبح الأبلج المبين لأنه كلام الله الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه تنزيل من حكيم حميد » (١٣)

---

(١٢) الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى مدخل الاستدلال القرآنى ص ١٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ . ابن تيمية مجموع الفتاوى جـ٢ ص ٥٩ . جـ٤ ص ٢٦ ، ٢٨ .

(١٣) سورة فصلت الآية رقم ٤٢ .

طبيعة الأدلة القرآنيه

لقد استعمل القرآن الكريم لتدعيم مبادئه واصوله جملة عظيمة من الوسائل التدعيميه ، فقد جاء هذا الدين الالهى يحمل للناس مع مبادئه السامية دلائل صدقها وصحتها البالغة وجاء هذا التنوع فى الوسائل ملبيا حاجة الناس جميعا فى تنوع مشاربهم ومنازعهم متناسبا مع كافة مستويات خلق الله تعالى .

فهناك الأدلة التى تقوم على المحسوس لتناسب المستويات الدنيا فى التفكير — لذا يجد فيه العوام ما يخاطب سهولته بلا ابتذال ، وما يخاطب فطرته بلا تعقيد . وما يحرك أعماق نفسه ويرتفع به الى ذروة اليقين وهذا من فضل الله على العالمين ، « حجة الله البالغة » وهناك الأدلة التى يجد فيها المتفلسف دليلا جامعا يبد منطقه كما يجد فيه المستبحر فى الفنون والعلوم مجالا رحبا يمتد فوق تطلعه .

فالدارس لأساليب القرآن الكريم فى هذا الوضوع يأخذه العجب من تعدد الأدلة وطيبها وتصريف فنونها وابداع كل فن فيها على طراز فريد .

لهذا فقد تنوعت الأدلة القرآنية فخاطبت الانسان من جميع نواحيه فتوجهت الى العقل والقلب الوجدان . واعتمدت على المشاهدة والفطرة ودعت الى استخدام الفكر العميق والمقارنة الواعية ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم يوجه أدلته الى الناس أجمعين بكل طوائفهم وفئاتهم ، والقرآن الكريم يرعى تلك الفوارق الضرورية فى الفهم والوعى والثقافة ، وبصفة عامة جميع فوارق الادراك فيخاطب العامى بأدلة

تتفق مع ادراكه ويخاطب الذكى العالم بأدلة تتفق مع علمه وذكائه ، ويخاطب الذين هم بين هؤلاء وأولئك من مستويات على قدر مستوياتهم ٠

واذا نظرنا الى الأدلة البشرية نرى كل فريق يضع أدلته على صورة لا يمكن أن يفهمها غيره ، فالفلاسفة مثلا يضعون أدلة لا يفهمها الا الفلاسفة وكذلك المتكلمون » فالمفكر من هؤلاء كان يجهد نفسه فى اقامة الدليل ، وكان هذا الدليل يخرج صورة لنفسية صاحبه ونوع ثقافته ٠

ولقـــد أتى على هؤلاء المفـكرين حينـا من الدهر كانوا يضعون هذه الأدلة لا للتدليل على وجود الله تعالى وصـفاته وأفعاله ، ولـكن لاظهـار براعتهم وذكائهم ومدى تمكنهم من فنونهم وطبيعى أن هذه الأدلة على هذه الصورة - هى عقيمة الانتاج ضئيلة الفائدة - وأن دليلا مشـهورا لدى المتكلمين هو دليل الحدوث . لهو أعجز من ن يجعل كافرا يؤمن أو يزيد مؤمن ايمانا ، وأكثر منه عقما ما يسمى بدليل الامكان وعلى ذلك قس بقية الأمثلة عند هؤلاء وأولئك (١٤) ٠

ولكن سعة الدليل القرآنى باقامة الأدلة المباشرة وتنوعها جعل الأدلة القرآنية تعتمد على الأمور الموضوعية الواقعية التى يتعامل معها الانسان فى كل وقت يقول الامام السيوطى : قال العلمـــاء : قد اشـــتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين ، والأدلة ، وما من برهـان ، ودلالة ، وتقســيم- وتحذير تبنى من كليـات المعلومات العقلية والسـمعية الا وكتـاب الله قد نطق به لـكن أورد ، على عـادات العرب دون

---

(١٤) الدكتور محمود مزروعة - المنهج القرآنى فى الاستدلال على وجود الله ص ١٠٨ حولية كلية اصول الدين بالمنوفية عدد ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

دقائق طرق المتكلمين لأمرين أحدهما : بسبب ما قاله : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » .

الثانى : أن المائل الى دقيق المحاجة وهو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام فان من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط الى الأغمض الذي لا يعرفه الا الأقلون ولم يكن ملغزا ، فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أبنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء (١٥) .

وعلى هذا نجد أن القرآن الكريم يدعو كل انسان مهما كان مستواه من العلم والمعرفة الى التفكير فيما تقع عليه عيناه أيا كان هذا الشئ ، جمادا كان أم حيا ، انسانا كان أم حيوان . سماءا كانت أم أرضا ... الخ .

فسوف يجد بصرف النظر عن نوعية التفكير وعمقه أو ضعفه . أن كل شيء ينطق بأعلى صوته أن وراءه قوة عليا وذات حكيمة مدبرة .

---

١٥ ـ الامام السيوطى ـ الاتقان فى علوم القرآن جـ٢ ص ٢٢٩ . مطابع دار الشعب بالقاهرة .

منهج الاستدلال القرآنى

لقد كان من أبرز ما يميز الفكر الاسلامى فى دستوره الشامل وايجابيته وحيويته التى كونت وحدة الأمة الاسلامية على مر التاريخ هو احتفاظه بالميراث الأصيل منبع الصراط المستقيم وذلك مصداقا لقول الرسول ﷺ « تركت فيكم أمرين : لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ » (١٦) .

فهذا الحديث الشريف يوجز لنا تراث الرسالة الاسلامية على اتساع مداها فى القديم والحديث فى الشرق والغرب لأن أصلها واحد وهو الوحى من عند الله تعالى ــ فكان بحق الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان ــ فكان كل رأى سوى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو رأى ونظرية بين الصواب والخطأ ، وكل رافد من روافد الفكر فهو نظرة جزئية ، وكل قطاع منفصل عن الكيان الالهى ــ يجب أن يرد الى الدستور الصالح لكل البيئات المختلفة وعلى مر العصور المستطيلة لأن الفكر الاسلامى كيان متكامل وكائن حى ذو وحدة متعددة الجوانب ، مختلفة الوظائف تحقق جميعها التوازن والتعاون وفقا لصورة كلية واحدة تتكون من السنن والقيم الدينية وتنظم حياة الانسان والمجتمع والحضارة على ضوئها وبمقتضى مبادئها .

فكانت عقيدة التوحيد فى الفكر الاسلامى ــ لا تزال تمثل حتمية التاريخ وفكره لأن الفكر الاسلامى استطاع تذويب الفرق والمذاهب المختلفة التى فرضت عليه خلال هذا

---

(١٦) ابن ماجة ــ سنن ابن ماجة كتاب المناسك باب حجة رسول الله ﷺ ١٠٢٥٥ طبعة عيسى الحلبى .

التاريخ ، فاستقى منها ما يتفق مع مبادئه ومنهجه ورفض ما يختلف معه فى القيم والثوابت الراسخة ـ وهذه هى مرونة هذا الفكر الأصيل المستمد من الكتاب والسنة .

وعلى هذا نجـد أن القرآن الكريم قد خط لنـا فى تقرير العقائد منهجا من نوعين :

النوع الأول :

لقد أشار القرآن الكريم الى هذا النوع لهـدم العقـائد المتوارثة عند أصحاب العقائد الفاسدة .

فمثلا اذا نظرنا الى القرآن الكريم وهو يحسم الخلاف الذى كان بين اليهـود والنصـارى نلاحظ أن اليهود كانت تقول « ليست النصارى على شىء » وكانت النصـارى تقول « ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب » (١٧) .

وكان النبى ﷺ يقول « لستـم على شىء حـتى تقيموا التوراة والانجيل (١٨) وما كان يمكنهم اقامتها الا باقامة القرآن الكريم وبحـكم نبى الرحمـة رسـول الله ﷺ آخر الزمان (١٩) فلما أبو ذلك ، وكفروا بآيات الله « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » (٢٠) .

واذا نظرنا الى المعطلة من العرب وأصنافهم المختلفة كما صورهم الشهرستانى نلاحظ أنهم أصـناف كثيرة ، منهم

(١٧) سورة البقرة الآية رقم ١١٣ .
(١٨) سورة المائدة الآية رقم ٦٨ .
(١٩) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ٢ ص ١٥ .
(٢٠) سورة البقرة الآية رقم ٦١ .

منكروا الخالق ، والبعث ، والاعادة ، ومنكروا الرسل وعباد الأصنام (٢١) فالقرآن الكريم قد رد على هؤلاء بضرورات فكرية وآيات فطرية فى كم آية ، وكم سورة فقال تعالى : « أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة أن هو الا نذير » (٢٢) ٠

وقال تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض (٢٣) ٠

وقال تعالى : « أو لم يروا الى ما خلق الله من شىء (٢٤) ٠

وقال تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم » (٢٥) ٠

يقول الشهرستانى « فأثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق ، وأنه قادر على الكمال ابتداء واعادة » (٢٦) ٠

وأما الذين أنكروا البعث والاعادة فقد أخبر القرآن عنهم بقوله « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم » (٢٧) ٠

فستدل عليهم بالنشأة الأولى اذ اعترفوا بالخلق الأول « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » (٢٨) وقال تعالى :

---

(٢١) الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ٣ ص ٧٩ ٠
(٢٢) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٤ ٠
(٢٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٥ ٠
(٢٤) سورة النحل الآية رقم ٤٨ ٠
(٢٥) سورة البقرة الآية رقم ٢١ ٠
(٢٦) الشهرستانى الملل والنحل جـ١ ص ١٦٦ ٠
(٢٧) سورة يس الآية رقم ٧٨ ٠
(٢٨) سورة يس الآية رقم ٧٩ ٠

« افعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد » (٢٩) ٠

ونحن لا نستطرد فى ذكر هذه الآراء ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع الى الملل والنحل للشهر ستانى الجزء الثالث ــ وهو يصور لكل أصحاب هذه العقائد ٠

والقرآن الكريم حينما يشير الى هذه العقـــائد عنـد أصحاب هذه الطوائف المختلفة ــ كان يعقب على عقيـدة كل طائفة بدليل صحتها أو فسادها ، فنجد مثلا أن القرآن الكريم ــ وهو يصور عقيدة أصحاب الدهر بالظن ــ ذلك أن مذهبهم لم يقم على أساس علمى ثابت فقال تعالى « ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (٣٠) ٠

وكما استنكر القرآن الكريم الحكم بالظن فقـد استنكر الحكم بالهوى ــ أى الميول التى لا تسـتند الى أى أساس موضوعى الذى هو نفسه غير حق ، كما يشير الى أن الظن هو القول الكاذب الناشىء عن التخمين فقال تعالى « وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا » (٣١) ٠

هذا وقد جمع القرآن الكريم فى أكثر من موضع بين الظن والهوى ـ وقد جمعهما فى آية واحدة فقال تعالى « ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس » (٣٢) ٠

والحقيقة التى ينبغى أن نركز عليها هى : أن القرآن الكريم حينما يرد على أصحاب هذه العقائد كان لا يطيل فى حبال هذا

---

(٢٩) سورة ق الآية ١٥ ٠

(٣٠) سورة الجاثية الآية رقم ٢٤ ٠

(٣١) سورة يونس الآية رقم ٣٦ ٠

(٣٢) سورة النجم الآية رقم ٢٣ ٠

الجدل سوى أنه يشير الى عقائدهم الفاسدة كما يبين أدلة فسادها ، كما أنه لا يخضع لبديهات العقل المقررة وخصوصا عند أصحاب هذه العقائد فقال تعالى « وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » (٣٣) ٠

لذا فقد أمر الحق تبارك وتعالى رسوله محمدا ﷺ بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (٣٤) ٠

النوع الثانى :

يقوم هذا النوع على ارساء قواعد الاعتقاد الصحيح بعد أن أبان لنا زيف العقائد الفاسدة ٠

فاذا نظرنا الى أساليب القرآن الكريم لهذا النوع من الاعتقاد ، نلاحظ أنه تارة يدعو الى لفت الأنظار الى ما فى الكون من ظواهر طبيعية تدل على أن لهذا الكون صانعا مصداق ذلك قوله تعالى « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » (٣٥) وكما جاء على سبيل التخصيص فقد جاء على سبيل الأمر فقال تعالى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم

(٣٣) سورة الحج الآية رقم ٦٨ ، ٦٩ ٠

(٣٤) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ ٠

(٣٥) سورة الغاشية الآيات رقم ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ٠

لا يؤمنون » (٣٦) وجاء أيضا على سبيل النظر الى النفس كما فى قوله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (٣٧) ٠

هذا وقد أشار القرآن الكريم الى القياس المنظم الذى يجئ على ضوء المقررات العقلية فى النفس كما فى قوله تعالى « أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » ٣٨) وقوله تعالى « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » (٣٩) وقوله تعالى : « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (٤٠)

ويرى اقبال أن الهدف الرئيسى للقرآن الكريم فى هذا المقام « هو ايقاظ شعور الانسان ليدرك ما بينه وبين الخالق ، وما بين الكون من علاقات متعددة » (٤١) ٠

ولهذا فقد تحدث القرآن الكريم عن الله سبحانه وتعالى باعتبارات مختلفة ، سواء باعتبار الذات أو باعتبار علاقته تعالى بالمخلوقات كخالق ، وكذا باعتبار علاقته بالانسان وعلاقة الانسان به وذلك كما أشار القرآن الكريم ٠

---

(٣٦) سورة يونس الآية رقم ١٠١ ٠

(٣٧) سورة الذاريات الآية رقم ٢١ ٠

(٣٨ سورة الطور الآية رقم ٣٥ ، ٣٦ ٠

(٣٩) سورة الواقعة الآية رقم ٥٨ ، ٥٩ ٠

(٤٠) سورة الواقعة الآية رقم ٦٣ ، ٦٤ ٠

(٤١) محمد اقبال – تجديد الفكر الدينى ص ١٦ ترجمة عباس محمود ٠

(٤٢) الدكتور محمد البهى – الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ص ٣٠ ٠

أولا : باعتبار الذات ، فقد وصف القرآن الكريم الحق جل شأنه بأنه الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، والقيوم ، والواحد ، والحى ، والغنى ، والباقى ، والحميد ، والمجيد ، والقوى ، والمتين ، والعليم ، واللطيف ، والخبير ، والحكيم ، والسميع ، والبصير ، الملك القدوس ، ونور السموات والأرض – وغير ذلك من الصفات التى تصور الحق تبارك وتعالى غنيا بنفسه أبديا واسع القدرة والمعرفة محيطا بكل شىء وأنه الحق وحده .

ثانيا : باعتبار صلته بالمخلوقات – فقد تحدث القرآن الكريم بأنه جل شأنه الخالق ، والمبتدىء ، والمعيد ، والبارى ، المصور ، والمحيى ، والمميت – الى غير ذلك من النعوت التى تبين أنه الخالق المطلق .

ثالثا : باعتبار علاقته تعالى بالانسان . فقد وصف القرآن الكريم الحق جل شأنه بأنه الرحمن ، الرحيم ، والغافر ، والغفور يجازى الناس على حمدهم له .

رابعا : باعتبار علاقة الانسان بخالقه – فقد أشار القرآن الكريم بأنه جل شأنه هو المهيمن ، والهادى ، والوكيل ، والولى ، والرازق – الى غير ذلك من الصفات .

فالله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شىء فى هذا الوجود ، وارادته هى سبب ما فى الوجود كله – يضل من يشاء ويهدى من يشاء .

فالقرآن الكريم قد رسم طرقا تلتئم أحكم الالتئام مع كل الطوائف البشرية ، وتتسق أمتن الاتساق مع مختلف العقليات (٤٣) .

---

(٤٣) الدكتور محمد غلاب – المعرفة عند مفكرى الاسلام ص ١٢٤ .

من هنا نأخذ أن المنهج القرآنى قد انفرد بمميزات ذات قيمة منهجية عظيمة منها :

١ ـ أن القرآن الكريم قد خاطب العقل البشرى فى أروع مظاهر القوة والبيان والاقناع .

٢ ـ كانت طريقة القرآن الكريم شاملة تتنـاول العامة والخاصة بما يرضى العقول والقلوب ويمتع الوجدان ويحرك المشاعر .

٣ ـ اعتمدت طريقـة الاسـتدلال القرآنى على ما فطرت النفوس من الايمان بما تشاهد وتحس ، لأن ذلك أقوى فى الحجة وأبلغ فى الأثر .

٤ ـ لم يخضـع القرآن الـكريم لقواعد بشرية تخطىء وتصيب ، بل قواعده ثابتة ليس فيها الا الصواب .

٥ ـ اتخذ القرآن الكريم فى تقرير العقائد الدينية منهجا ذا شقين : أحدهما زيف العقائد الفاسـدة ـ والآخر ـ بنـاء العقيدة الصحيحة .

٦ ـ كان القرآن الكريم فى معـالجته للعقـائد الزائفـة يجادل المعاندين بالحسنى كما كان يورد فى مجادلة الخصوم أدلة فسـادها بحيث يقنـع ذوا العقـل السـليم والفطرة المستقيمة .

ـ كانت الاستدلالات القرآنية تشمل التوجيه والارشاد والدعوة بالتى هى أحسن .

فما أروع وما أبدع القرآن العظيم حينما يحدثنا عن الله تعالى :

الفصـــل الأول

التوحيد رسالة الأنبياء والرسل

مفهوم لفظ التوحيد :

ان التوحيد والدعوة الى عبادة الله وحده ونبذ ما عداه من المعبودات هو جوهر الرسالات السماوية التى انزلها الله سبحانه وتعالى لهداية البشر وحيقة التوحيد فى أصل اللغة : عبارة عمـا يصـير به الشىء واحدا ، أو هو العلم بأن الشىء واحد ·

فقد جاء فى المصباح المنير « وحد » يحد حده من باب وعد إنفرد بنفسه فهو وحد بفتحتين وكسر الحاء لغة ووحد بالضم وحادة ووحدة فهو وحيد كذلك وكل شىء على حدة أى متميز عن غيره ·

فالواحد فى الحقيقة هو الشىء الذى لا جزء له البتـة ـ والواحد مفتتح العدد يقال واحد ، اثنان ثلاثة ·

واذا وصف الله سبحانه وتعالى بالواحد فمعناه هو الذى لا يصح عليه التجزى ، و التكثر لصعوبة هذه الوحدة قال تعالى : « واذا ذكر الله وحده » (١) ·

والواحد المنفرد ، ويكون أحد مرادفا لواحد فى موضعين سماعا أحدهما : وصف اسم البارى تعالى فيقل هو الواحد وهو الأحد لاختصاصه بالأحدية فلا يشاركه فيها غيره ولهذا لا ينعت به غير الله تعـالى ، فلا يقـال رجل أحـد ولا درهم أحد ·

---

(١) سورة الزمر الآية رقم ٤٥ ·

الموضع الثانى : أسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال ، فيقال : أحد وعشرون ، وواحد وعشرون ، وفى غير هذين يقع الفرق بينهما فى الاستعمال (٢) .

وعلى هذا نرى أن مادة « وحد » تدور حول انفراد الشئ بذاته أو بصفاته و بأفعاله وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه .

واذا عدى بالتضعيف فقيل وحد الشئ توحيدا كان معناه اما جعله واحدا أو اعتقده واحد ، قال تعالى حكاية عن المشركين اجعل الالهة الها واحدا (٣) . فتوحيد الله معناه اعتقاد عدم الشريك فى الألوهية وخواصها ونفى المثل والنظير عنه والتوجه اليه وحده بالعبادة .

واذا قيل الله واحد أو أحد كان معنى ذلك انفراده بماله من ذات وصفات وعدم مشاركة غيره له ، فهو واحد فى الهيته فلا اله غيره وواحد فى ربوبيته فلا رب سواه ، وواحد فى كل ما ثبت له من صفات الكمال التى لا تنبغى الاله (٤) .

أما فى الاصطلاح : فقد تنوعت عبارات العلماء : فمنهم من جعل كلمة التوحيد شاملة لكل مباحث العقيدة التى تتعلق بالله عز وجل وصفاته والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام

---

(٢) المصباح المنير جـ٢ ص ١٠٠٨ .

(٣) سورة ص الآية رقم ٥ .

(٤) الدكتور محمد خليل هراس ـ دعوة التوحيد ص ٨ نشر مكتبة الصحابة .

من حيث ما يجب لهم وما يجوز وما يمتنع عليهم ، وأحوال اليوم الآخر التى وردت فى الكتاب الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ففى شرح المقاصد للامام سعد الدين التفتازانى : الكلام : هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية - وموضوعه : المعلوم من حيث يتعلق به اثباتها - ومسائله القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية وغايته : تحلية الايمان بالايقان ، ومنفعته الفوز بنظام المعاش ونجاة المعاد - وغاية الكلام - أن يصير الايمان والتصديق بالأحكام الشرعية متيقنا لا تزلزله شبهة المبطلين ومنفعته فى الدنيا انتظام أمر المعش بالمحافظة على العدل والمعاملة التى يحتاج اليها فى بقاء النوع على وجه لا يؤدى الى الفساد وفى الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد (٥) .

وفى مقدمة ابن خلدون : هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة - وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد » (٦) .

ويقول الامام الرازى فى تفسير قوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٧) ان الآيات الواردة فى الأحكم الشرعية أقل من ستمائة آية وأما البواقى ففى بيان التوحيد والنبوة والرد على

---

(٥) الامام التفتازانى - شرح المقاصد جـ١ ص ٤ - ٨ .

(٦) ابن خلدون المقدمة ص ٣٩٠ .

(٧) سورة البقرة الآية رقم ٢١ .

عبدة الأوثان وأصناف المشركين ـ وأنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه الا تقرير هذه الدلائل والذب عنها يعنى الدلائل على وجود الصانع وعلى صفاته وعلى النبوة والمعاد ـ ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها ، (٨) .

هذا وقد عرفه الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى فى رسالة التوحيد بأنه علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لاثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه وما يجوز أن ينسب اليهم وما يمتنع أن يلحق بهم .

وأصل معنى التوحيد : اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وسمى هذا العلم به تسمية بأهم أجزائه وهو اثبات الوحدة لله فى الذات والفعل فى خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد ، وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبى ﷺ كما تشهد به آيات الكتاب العزيز فعلم التوحيد من أشرف العلوم وأكملها وذلك لشرف موضوعه وسمو فائدته ـ لأن مسائله تبدأ وتدور حول الذات الالهية وصفاتها وأفعالها وحكمتها وثمرته وغايته معرفة الذات العليا واليقين بأحديتها الذاتية والفعلية ورد كل شىء الى تصريفها وتدبيرها ـ ولا شك أن هذه المسائل وتلكم الثمرة والغاية كانت المطالب الرئيسية التى جاء من أجلها الرسل الكرام (١٠) .

---

(٨) الامام الرازى التفسير جـ١ ص ٢١٤ .

(٩) الامام محمد عبده رسالة التوحيد ص ٨ .

(١٠) الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى ـ الألوهية فى الفكر الاسلامى ص ٣ .

من أسماء كلمة التوحيد فى القرآن الكريم

ان الكون كله قد خضع واستسلم لتوحيد الله تعالى بما أودع فيه من القوانين والنواميس التى تحكمه وتسيره حسب علم الله وارادته ، ولعل كلمة التوحيد التى تعتبر عنوان الاسلام ومدخله قد صورت موقف الاسلام من الالوهية تصويرا دقيقا عندما استقامت هذه الكلمة من شقين متكاملين ، أولهما سلب والآخر ايجاب : الكلمة الأولى تنفى الالوهية والكلمة الثانية تثبتها الكلمة الأولى « لا اله » : ومعنى لا اله : أن الآلوهية كما يتصورها أتباع الخيال والأوهام من الوثنيون والمخرفون والمجسدون - هذه الألوهية بهذا المعنى لا يعرفها الاسلام ويجب أن ينكرها كل مسلم .

الآلهة التى تعلق الناس بها قديما - بدأ الاسلام أول ما بدأ فأنكرها - وجاء الاسلام بمفهوم الألوهية الصحيح والتوحيد المطلق والايمان بالاله الذى يسع كل شىء علماً - فالاسلام جاء بمفهوم الالوهية الصحيح الكامل ليهدى اليه وليبين فساد هذه التصورات الشائعة ويدعو الى التصور الصحيح -

فالألوهية فى الاسلام منزهة تنزها كاملا - فالله هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وله المثل الأعلى - لا ند ولا شريك ولا شبيه ولا صاحبة ولا ولد .

ولهذا فكلمة التوحيد تدل على نفى الشرك على الاطلاق كما جاء فى قوله تعالى : « والهكم اله واحد لا اله الا هو » (١١)

---

(١١) سورة البقرة الآية رقم ١٦٣ .

فاذا خطر ببال أحد أن يقول : ان الاهنا واحد فلعل اله غيرنا مغاير لالاهنا ـ فالله تعالى أزال هذا التوهم ببيان التوحيد المطلق فقال تعالى « لا اله الا هو » ولهذا فقد جاء فى كتاب الله تعالى أسماء دالة على كلمة التوحيد نذكر منها على سبيل المثال :

كلمة الاخلاص :

أن كل شىء يتصور أن يشوبه غيره ، فاذا صفا عن شوبه وخلص لله تعالى سمى خالصا وسمى الفعل اخلاصا ـ وقد جرت العادة بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب بدليل أن سورة « قل هو الله أحد » تسمى سورة الاخلاص ـ وما فيها الا التوحيد ، وانما كان التوحيد سببا للاخلاص ـ لأنه اذا عرف أنه لا منجا ولا ملجأ الا اليه ، ولا رب سواه كان اخلاصه حينئذ أتم مما اذا اعتقد أن له مفرا سواه وربا غيره (١٢) .

وكلمة الاحسان ، من الأسماء الدالة على التوحيد يدل على هذه التسمية القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ ، والمعقول :

أما القرآن الكريم فآيات كثيرة منها قوله تعالى : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » (١٣) .

قال المفسرون : معناه هل جزاء من أحسنا اليه بالايمان الا أن نحسن اليه بالغفران وروى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول

---

(١٢) الامام الرازى ـ شرح أسماء الله الحسنى ص ١٣٦ ـ مراجعة طه عبد الرؤف سعد . نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٢٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

(١٣) سورة الرحمن الآية رقم ٦٠ .

الله ﷺ « هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال : هل تدرون ما قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ٠

قال : « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة » (١٤) ٠

وقوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (١٥) فقوله جل شأنه أحسنوا هو قول لا اله الا الله باتفاق المفسرين، وبدليل أنه انقال ذلك ومات قبل أن يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة ، وقوله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله » فهذه الآية الكريمة نزلت فى فضيلة الآذان ، واشرف كلمات الآذان ، قول لا اله الا الله ٠

وقوله تعالى : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » (١٧) وان أحسن الأقوال هو قول : لا اله الا الله ٠

وقوله تعالى : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » (١٨) وان أول هذا الاحسان قول لا اله الا الله ٠

وقوله تعالى فى صفة الكفار « ومن أظلم ممن افترى على كذبا » (١٩) ٠

---

(١٤) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٢٧٨ ٠
(١٥) سورة يونس الآية رقم ٢٦ ٠
(١٦) سورة فصلت الآية رقم ٧٣ ٠
(١٧) سورة الزمر الآية رقم ١٧ ، ١٨ ٠
(١٨) سورة الاسراء الآية رقم ٧ ٠
(١٩) سورة الأنعام الآية رقم ٢١ ٠

فكما انه لا قبيح أقبح من كلمة الكفر ، فكذلك لا حسن أحسن من كلمة التوحيد ولهذا قال الله تعـالى فى أول سورة المؤمنون « قد أفلح المؤمنون » ثم فى آخر هذه السورة « انه لا يفلح الكافرون » ، ذلك انه لما كان قول الموحد حسنا كان مرجعه أيضا حسنا كما قال تعالى « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا » (٢٠) ، ولما كان قول الكافر قبيحا كان مقيله مظلمـا قال تعـالى « والذين كفروا أولياؤهم الطـاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٢١) ٠

وأما الخبر فقد روى أبو موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ للذين أحسنوا أى الذين قالوا لا اله الا الله « الحسنى » وهى الجنة « وزيادة » النظر الى وجه الكريم ٠

وأما المعقول : فهو أن الفعل كلما كان أشد حسـنا كان فاعله أشد احسانا ، ولا شك أن أحسن الأذكار ذكر : لا اله الا الله ، وأحسن المعارف معرفة لا اله الا الله ، واذا كان ذلك كذلك ، كانت هذه المعرفة ، وهذا الذكر احسانا الى النفس (٢٢) ٠

ومن الأسماء الدالة على التوحيد « دعوة الحق » كما جاء فى قوله تعالى « له دعوة الحق (٢٣) قال ابن عباس : هو قول لا اله الا الله ٠ لأنه جل شأنه واجب الوجود لذاته فلا يقبل العدم البتة فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فكان حقا من كل الاعتبارات ،

---

(٢٠) سورة الفرقان الآية رقم ٢٤ ٠

(٢١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٧ ٠

(٢٢) الامام الرازى ـ شرح أسماء الله الحسنى ص ١٣٨ ٠

(٢٣) سورة الرعد الآية رقم ١٤ ٠

وما سواه ممكن ، والممكن يقبل العدم فلم يكن غيره حقا البتة ، بل باطل كما قيل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل : وكل نعيم لا محالة زائل ٠

واذا ثبت هذا ، ثبت أن دعوة الحق له واليه لا لغيره ولا الى غيره ٠

هذا ومن الأسماء الدالة على التوحيد كلمة العدل ، قال تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (٢٤) – العدل شهادة أن لا اله الا الله ، والاحسان ، القيام بالعبودية وقال ابن عباس : العدل : شهدة ألا اله الا الله ، والاحسان الاخلاص فيه ٠

وقال آخرون العدل مع الناس ، والاحسان مع نفسك بالطاعة ، كما جاء فى قوله تعالى « ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم » (٢٥) ٠

وقال آخرون : العدل مع الأعضاء والاحسان مع القلب ٠

وقال آخرون : العدل رؤية الافتقار الى الحق ، والاحسان مشاهدة احسان الحق على كل الخلق (٢٦) ٠

ومن الأسماء الدالة على كلمة التوحيد فى القرآن الكريم : « الطيب من القول » كما جاء فى قوله تعالى « وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد » (٢٧) فأى كلمة

---

(٢٤) سورة النحل الآية رقم ٩٠ ٠

(٢٥) سورة الاسراء الآية رقم ٧ ٠

(٢٦) الامام الرازى شرح أسماء الله الحسنى ص ١٣٩ ٠

(٢٧) سورة الحج الآية رقم ٢٤ ٠

أطهر وأطيب من كلمة التوحيد ، قال ابن عباس : يريد لا اله الا الله والحمد لله . فالطيب المطلق هو معرفة ألا اله الا ا الله وذكر لا اله الا الله والاستغراق فى أنوار جلال لا اله الا الله فلهذا قال تعالى « وهدوا الى الطيب من القول » والمراد منه كلمة « لا اله الا الله » .

والألف واللام فى لفظة « الطيب » للاســتغراق ـ كأنه تعالى ينبه الى أنه لا لذيذ ولا طيب الا هذا ، وذلك هو الحق ، لأن أطيب المحسوسات بالنسـبة الى طيب هذه الحالة عدم محض ، فذلك بين بحرف الاسـتغراق أن كل طيب ليس الا ذاك . ولذلك فسرت « الكلمة الطيبة » فى قوله تعالى « كلمة طيبة كشجرة طيبة » بالتوحيـد ، وفى تسـمية هذه الكلمـة بالطيبة وجوه :

١ - أنها طاهرة عن التشبيه والتعطيل .

٢ - أنها طيبة بمعنى أن صاحبها يكون طيب الأسم فى الدنيا طيب المسكن فى العقبى ، أما طيب اسمه فلقوله تعالى : « والطيبات للطيبين » (٢٨) المراد به المؤمنين والمؤمنات ، وأما طيب المسـكن فلقوله تعـالى « ومسـاكن طيبـة فى جنـات عدن (٢٩) .

٣ - أنها طيبة بمعنى أنها مقبولة عند الله تعالى يقبلها الله تعالى وتصعد اليه كما قال تعالى « اليه يصـعد الكلم الطيب » (٣٠) والسبب فى صعود هذه الكلمة الى الله بذاتها

---

(٢٨) سورة النور الآية رقم ٢٦ .

(٢٩) سورة التوبة الآية رقم ٧٢ .

(٣٠) سورة فاطر الآية رقم ١٠ .

أنها طيبة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « ان الله طيب لا يقبل الا الطيب » .

أيضا من الأسماء التى فسرت بكلمة التوحيد « القول الثابت » قال تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » (٣٢) .

وقد ذكر الامام الرازى أن سبب التسمية هو :

١ - أن المذكور ثابت ممتنع التغير ، فيكون الذكر والاعتقاد كذلك .

٢ - أن هذا القول ثابت لا يؤثر الذنب فيه ، بل هو يؤثر فى ازالة الذنب لأن الموحد وان عظمت ذنوبه ، الا أنه ترجى له المغفرة قال تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٣٣) والكافر اذا رجع عن الكفر الى التوحيد ، هدم التوحيد كفره .

٣ - أن هذه الكلمة باقية فى الآخرة لأن أهل الجنة يشتغلون فى الجنة بذكر التوحيد وقد أخبر عنهم بقوله تعالى « وقالوا الحمد لله الذى أذهب عن الحزن » (٣٤) .

« وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده » (٣٥) ، « الحمد لله الذى هدانا لهذا » (٣٦) .

---

(٣٢) سورة ابراهيم الآية رقم ٢٧ .

(٣٣) سورة النساء الآية رقم ١١٦ .

(٣٤) سورة فاطر الآية رقم ٣٤ .

(٣٥) سورة الزمر الآية رقم ٧٤ .

(٣٦) سورة الاعراف الآية رقم ٤٣ .

٤ ــ أنها ثابتة لأن أصلها محكم ، وذلك لأن أول من شهد بهذه الشهادة هو الله تعالى بدليل قوله تعالى « شهد الله أنه لا اله الا هو » (٣٧) فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله تعالى ، فرع على شهادة الله تعالى وشهادة الله هى الأصل فكل شهادة أصلها شهادة الله ثابتة فى الدنيا والآخرة .

ومن الكلمات الدالة على التوحيد فى القرآن الكريم « كلمة التقوى » كما جاء فى قوله تعالى « والزمهم كلمة التقوى » (٣٨) وفى سبب التسمية يقول الامام الرازى أن صاحب هذه الكلمة أتقى أن يصفه بما وصفه به المشركون فى هذه الآية اشارة وبشارة ، أما الاشارة فهى أنه تعالى سمى اهل التقوى فقال « هو أهل التقوى (٣٩) ، وسمى الموحدين اهل كلمة التقوى فقال تعالى « والزمهم كلمة التقوى » (٤٠) فكأنه قال : أنا أهل أن أكون مذكورا بهذه الكلمة ، وأنت أهل أن تكون ذاكرا لهذه الكلمة ، فما أعظم هذا الشرف .

وأما البشارة فهى قوله تعالى « وكانوا أحق بها واهلها » فأثبت أن الموحدين أحق الخلق بهذه الكلمة ، وهم أهل هذه الكلمة (٤١) ، ولهذا كانت الكلمة الباقية فى قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية فى عقبة » (٤٢) كما روى عن كثير من

---

(٣٧) سورة آل عمران الآية رقم ١٨ .

(٣٨) سورة الفتح الآية رقم ٢٦ .

(٣٩) سورة المدثر الآية رقم ٥٦ .

(٤٠) سورة الفتح رقم ٢٦ .

(٤١) الامام الرازى من أسرار التنزيل ص ٧٧ تحقيق عبد القادر عطا نشر دار المسلم .

(٤٢) سورة الزخرف الآية رقم ٢٨ .

المفسرين انها قو ل لا اله الا الله (٤٣) « وكلمة الله هى العليا » فى قوله تعالى « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا » (٤٤) .

واعلم أن السبب فى علو هذه الكلمة وجوه وهى :

١ - أن روح الروح هو المعرفة قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » (٤٥) قال المفسرون : المراد من الروح هنا : العلم والقرآن ، فاذا حصلت معرفة التوحيد فى الروح والقلب حصلت قوة يصير كل شئ بالاضافة اليها حقيرا .

٢ - ان استعلاء هذه الكلمة - استعلاء هذا الدين على الأديان قال تعالى « ليظهره على الدين كله » .

٣ - كونها مستعلية على جميع الذنوب ، فانها تزيل جميع الذنوب وشىء من الذنوب لا يزيل نور هذه الكلمة (٤٧) .

وهى « المثل الأعلى » كما جاء فى قوله تعالى « ولله المثل الأعلى » (٤٨) قال قتادة معناه قول لا اله الا الله ، ومعنى المثل هنا الصفة ونظيره قوله تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون) (٤٩) أى صفتها فصار المراد من قوله تعالى « ولله

---

(٤٣) الامام الرازى من أسرار التنزيل ص ٧٧ .
(٤٤) سورة التوبة الآية رقم ٤٠ .
(٤٥) سورة النحل الآية رقم ٢ .
(٤٦) سورة التوبة الآية رقم ٣٣ .
(٤٧) الامام الرازى شرح أسماء الله الحسنى ص ١٤٣ .
(٤٨) سورة النحل الآية رقم ٦٠ .
(٤٩) سورة الرعد الآية رقم ٣٥ .

المثــل الأعلى » عين المراد من قوله تعــالى « وكلمــة الله هى العليا » .

وهى كلمة « السواء » كما قال جل شأنه « تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » (٥٠) .

وكلمة « النجاة » كما فى قوله عز وجل « ويا قوم مالى أدعوكم الى النجــاة وتدعوننى الى النــار » (٥١) ، وكلمــة « العهد » كما جاء فى قوله تعلى « لا يملكون الشــفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا » (٥٢) ، وكلمة « الاســتقامة » ، قال تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » (٥٣) وكلمة « الحق » لقوله تعــالى : « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شــهد بالحق » (٥٤) يعــنى « قول لا اله الا الله » .

وكلمة « الصدق » قال تعالى : « والذى جاء بالصدق وصدق به » (٥٥) أى قول « لا اله الا الله » .

وكلمة « البر » كما جاء فى تفسير قوله تعــالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولــكن البر من آمن بالله واليوم الآخر » (٥٦) .

---

(٥٠) سورة آل عمران رقم ٦٤ .
(٥١) سورة غافر الآية رقم ٤١ .
(٥٢) سورة مريم الآية رقم ٨٧ .
(٥٣) سورة فصلت الآية رقم ٣٠ .
(٥٤) سورة الزخرف الآية رقم ٨٦ .
(٥٥) سورة الزمر الآية رقم ٣٣ .
(٥٦) سورة البقرة الآية رقم ١٧٧ .

ومن أسماء كلمة التوحيد فى القرآن الكريم أيضا كلمة « الصراط » قال تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » (٥٧) ، وقال حكاية عن رسوله صلى الله عليه وسلم « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه (٥٨) وقال تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض » (٥٩) .

يقول الامام الرازى اعلم أن هذا الصراط المستقيم هو قوله لا اله الا الله وذلك باعتبار أن حدوث كل محدث ، وامكان كل ممكن ، يحوجه الى المؤثر الذى يوجده وينقله من العدم الى الوجود ، واذا كان الموجد والمدبر واحد ، فمتى نسبت حدوث المحدثات ، ووجود الممكنات الى قدرته كان ذلك صراطا مستقيما ، وطريقا قويما ، ومتى نسبت حدوث محدث ووجود ممكن الى غير قدرته ، كان ذلك طريقا معوجا وسبيلا منحرفا ، فثبت أن الصراط المستقيم لا يحصل الا باسناد كل الحوادث والممكنات الى تخليق الله تعالى وتكوينه وقدرته ، واسناد الكل اليه (٦٠) .

فهذا هو التوحيد فثبت أن الصراط المستقيم هو قول لا اله الا الله هذا بالاضافة الى الكثير من أسماء التوحيد التى جاءت فى القرآن الكريم ، كما أنه جاء فى كتاب الله تبارك وتعالى أشياء شبه الله تعالى بها كلمة التوحيد (٦١) .

---

(٥٧) سورة الفاتحة الآية رقم ٥ .

(٥٨) سورة الأنعام الآية رقم ١٥٣ .

(٥٩) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(٦٠) الامام الرازى . من أسرار التزيل ص ٨٨ تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا .

(٦١) أنظر المصدر السابق ص ٨٩

اسم الله الأعظم

ان لفظ الجلالة « الله » علم على الرب تبارك وتعالى ، ويقال انه الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى ـ فكلمة الله ـ أربعة أحرف حاصلها ثلاثة أحرف ألف ولام وهاء ، فالالف اشارة الى قيام الحق بذاته وانفراده عن مصنوعاته فان الألف لا تعلق له بغيره والحق تعالى أيضا لا تعلق له بغيره ، واللام اشارة الى أنه مالك جميع المخلوقات ، والهاء هادى من فى السموات والأرض « الله نور السموات والأرض » .

وان شئت أن تقول قل الألف اشــــارة الى تألف الحق بالخلق باسباغ النعم فى الرزق ، واللام اشارة الى يوم الخلق بالاعراض عن الحق ، والهاء اشارة الى هيمان أوليائه فى المحبة والعشق كما قيل :

ألف التآلف للخلائق كلهم	واللام لام اللـوم للمطـرود
والهـاء هاء متيم فى حبـه	مستهتر بالواحد المعبود (٦٢)

فأعظم الأسـماء ـ لفظ الجـلالة لأنـه يوصـف بجميع الصفات كما قال تعالى « هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخـالق البـارىء المصـور وهذه الأسماء هى :

---

(٦٢) الامام الغزالى ـ التجريد فى كلمة التوحيد ص ١٧ طبعة الحلبى الطبعة الثانية سنن ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

الله الذى لا اله الا هو ، الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، الوهاب ، الرازق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع الغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور ، الكافى ، ا هـ .

يقول الامام البيهقى « وهذه الأسماء كلها فى كتاب الله تعالى وفى سائر أحاديث رسول الله ﷺ نصا أو دلالة » (٦٣) له الأسماء الحسنى « يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٦٤) فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعال « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » (٦٥) وقال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » (٦٦) .

---

(٦٣) الامام البيهقى - الأسماء والصفات ص ٨ .
(٦٤) سورة الحشر الآية رقم ٢٤ .
(٦٥) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٠ .
(٦٦) سورة الاسراء الآية رقم ١١٠ .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ان لله تسعة وتسعين اسما ، مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنـــة أنه وتر يحب الوتر » وقد ذكر الامام الرازى فى تفسيره عن بعضهم : أن لله خمســة آلاف اســم - ألف فى الكتاب والسنة الصحيحة وألف فى التوراة وألف فى الانجيل وألف فى الزبور وألف فى اللوح المحفوظ (٦٧) .

وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ، ولهذا لا يعرف فى كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل - فذهب من ذهب من النحاة الى أنه اسم جامد لاشتقاق له - وقد نقله القرطبى عن جماعة من العلماء منهم الشافعى والخطابى وامام الحرمين والغزالى وغيرهم وروى عن الخليل وسـيبويه - أن الألف واللام فيه لازمة قال الخطابى ألا ترى أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز ادخال حرف النداء على الالف واللام .

وقيل انه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج .

لله در الغانيات المدة سبحن واسترجعن من تألهى

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر وهو التأله من آله يأله الاهة وتألهـــا كمـا روى عن ابن عبــاس أنه قـرأ « ويذرك والاهتك » (٦٨) قال : عبادتك أى أنه كان يعبد ، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقد استدل بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى « وهو الله فى السموات وفى الأرض » (٦٩) كما قال تعالى : وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله » (٧٠) .

---

(٦٧) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ١٩ .
(٦٨) سورة الأعراف الآية رقم ١٢٧ .
(٦٩) سورة الأنعام الآية رقم ٣ .
(٧٠) سورة الزخرف الآية رقم ٨٤ .

ونقل سيبويه عن الخليل أن أصله الاه مثل فعال فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة - قال سيبويه مثل الناس أصله أناس وقيل اصل الكلمة لاه فدخلت الالف واللام للتعظيم وهذا اختيار سيبويه قال الشاعر :

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

قال القرطبى بالخاء المعجمة - أى فتسوسنى - وقال الكسائى والفراء أصله الاله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى فى الثانية كما قال تعالى « لكنا هو الله ربى » أى لكن انا - وقد قرأها كذلك الحسن - قال القرطبى ثم قيل هو مشتق من وله اذا تحير والوله ذهاب العقل - يقال رجل واله وامرة ولهى ومولوهة اذا أرسل فى الصحراء ، فالله تعالى يحير أولئك فى الفكر فى حقائق صفاته - فعلى هذا يكون ولاه فابدلت الواو همزة كما قالوا فى وشاح اشاح ووسادة اسادة .

وقال الرازى ، وقيل انه مشتق من الهت الى فلان أى سكنت اليه فالعقول لا تسكن الا الى ذكره والأرواح لا تفرح الا بمعرفته لأنه كامل على الاطلاق دون غيره قال تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا » (٧١) .

قال ، وقيل من لاه يلوه اذ احتجب ، وقيل اشتقاقه من أله الفصيل أولع بأمه والمعنى : أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع اليه فى كل الأحوال قال وقيل مشتق من أله الرجل يأله اذا فزع من أمر نزل به فلهه أى أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه وتعالى لقوله جل شأنه

---

(٧١) سورة الرعد ، الآية رقم ٢٨ .

« وهو يجير ولا يجار » (٧٢) وهو المنعم لقوله تعالى « وما بكم من نعمة فمن الله » (٧٣) وهو المطعم لقوله تعالى « وهو يطعم ولا يطعم » (٧٤) وهو الموجد لقوله تعالى « قل كل من عند الله » (٧٥) .

وقد اختار الرازى أنه اسم غير مشتق البتة - قال هو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه منها أنه لو كان مشتقا لاشترك فى معناه كثيرون ، ومنها أن بقية الأسماء تذكر صفات له فتقول ، الله الرحمن الرحيم ، الملك القدوس ، ومنها قوله تعالى « هل تعلم له سميا » (٧٦) فدل على أنه ليس بمشتق .

فهذا اللفظ الجليل حصل فيه شرف الاسم وشرف الصفة (٧٧) - أما شرف الاسم فلأن هذا الاسم مختص بالله سبحانه وتعالى على وجه لا يحصل لغيره البتة ، وأما شرف الصفة - فلأن الأصح من مذهب القائلين بكونه من الأسماء المشتقة - أنه مشتق من العبادة - ولا شك أن معنى العبادة هو المقصود الأصلى من الخلق كما قال تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٧٨) .

---

(٧٢) سورة المؤمنون الآية رقم ٨٨ .
(٧٣) سورة النحل الآية رقم ٥٣ .
(٧٤) سورة الأنعام الآية رقم ١٤ .
(٧٥) سورة النساء الآية رقم ٧٨ .
(٧٦) سورة مريم الآية رقم ٦٥ .
(٧٧) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٢٠ .
(٧٨) سورة الذاريات الآية رقم ٥٦ .

اذن فلا يحصل وصف العبودية الا عند حصـول جميع صفات الله ذى الجلال والاكرام والتنزيه عن مشابهة جميع الممكنات والاتصاف بالعلم التام والقدرة التامة ، ولما حصل لهذا الاسم أشرف خصال الأسماء وأشرف خصال الصفات ثبت أنه أعظم أسماء الله تعالى (٧٩) .

هذا بالاضافة الى الأسماء الأخرى التى وردت فى القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ من ذلك مثلا ما حكاه الامام الرازى قائلا أن أعظم الأسماء قولنا الحى القيوم – فقد روى أن أبى ابن كعب طلب من رسـول الله ﷺ أن يعلمـه الاسـم الأعظم فقال هو فى قوله « الله لا اله الا هو الحى القيوم » (٨٠) أو فى قوله « ألم ۰ الله لا اله الا هو الحى القيو م» (٨١) قالوا وليس ذلك هو قولنا « الله لا اله الا هو » فهذه الكلمة موجودة فى آيات كثيرة – فلما حصر الرسول ﷺ الاسم الأعظم فى هاتين علمنا أن ذلك هو الـحى القيوم (٨٢) أيضـا أن الاسم الأعظم هو قولنا ذو الجلال والاكرام مصداق ذلك قوله ﷺ الظوا ببـاب ذا الجلال والاكرام لأن هذه الكلمة دالة على جميع الصفات المعتبرة فى الالهية ، أما الجلال فهو اشارة الى السلوب ، وأما الاكرام فهو اشارة الى الاضافات ومعلوم أن الصـفات المعلومة للخلق محصورة فى هذين القسمين ، وأيضا الجلال اشارة الى كونه مقدسا عن غايات العقول ونهاية الأوهـام وذلك مشعر بغاية البعد – والاكرام اشارة الى صفات الرحمة

---

(٧٩) الامام الرازى – شرح أسماء الله الحسنى ص ٩٦ .
(٨٠) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ .
(٨١) سورة آل عمران الآيات رقم ٢ ، ٣ .
(٨٢) الامام الرازى – شرح أسماء الله الحسنى ص ٩٦ .

والاحسان » وذلك مشعر بغاية القرب ، فقولنا ذو الجلال والاكرام اشارة الى كونه قريبا بعيدا ظاهرا باطنا (٨٢) .

أما فى السنة النبوية المطهرة فكلمة لا اله الا الله لها شأن عظيم ، فقد أخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والبيهقى عن عثمان ابن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « انى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرم على النار » قال عمر بن الخطاب ألا أحدثك ما هى ؟ هى كلمة الاخلاص التى الزمها الله تبارك وتعالى محمدا ﷺ وأصحابه ، وهى شهادة ان لا اله الا الله .

وعلى هذا فأسماء الله الحسنى الواردة فى القرآن الكريم هى :

١ ـ أسماء متعلقة بذاته تعالى وهى :

الواحد ، الأحد ، الحق ، القدوس ، الصمد ، الغنى ، الأول ، الآخر ، القيوم .

٢ ـ أسماء متعلقة بالتكوين وهى :

الخالق البارىء ، المصور ، البديع .

٣ ـ أسماء متعلقة بصفتى الحب والرحمة فيما عدا رب ، ورحمن ، ورحيم ، وهى :

الرؤوف ، الودود ، اللطيف ، الحليم ، العفو ، الشكور ، المؤمن ، البار ، رفيع الدرجات ، رازق ، الوهاب ، الواسع .

---

(٨٣) المصدر السابق ص ٩٧ .

٤ - أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله وهى :

العظيم ، العزيز ، العلى ، المتعالى القوى ، القهار ، المتكبر ، الكبير ، الكريم ، الحميد ، المجيد ، المتين ، الظاهر ، ذو الجلال والاكرام .

٥ - أسماء متعلقة بعلمه تعالى وهى :

العلى ، الحكيم ، السميع الخبير ، البصير ، الشهيد ، الرقيب ، الباطن ، المهيمن .

٦ - أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتدبيره للأمور وهى :

القادر ، الوكيل ، الولى ، الحافظ الملك ، المالك ، الفتاح ، الحسيب ، المنتقم المقيت .

٧ - وهناك أسماء أخرى لم تذكر بالنص فى القرآن ولكنها استمدت من أفعال أو صفات له تعالى وردت بالقرآن وهى :

القابض ، الباسط ، الرافع ، المعز ، المذل ، المجيب ، الباعث ، المحصى ، المبدىء المعيد ، المحيى ، المميت ، مالك الملك ، الجامع ، المغنى ، المعطى ، المانع ، الهادى الباقى الوارث .

٨ - وهناك أسماء أخرى له تعالى مستمدة من المعانى الواردة فى القرآن وهى :

النور ، الصبور ، الرشيد ، المقسط ، الوالى ، الجليل ، العدل ، الخافض ، الواجد ، المقدم ، المؤخر ، الضار ، النافع ويتصل بذلك صفتا التكلم والارادة (٨٤) .

وغير ذلك مما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

---

(٨٤) الشيخ السيد سابق - العقائد الاسلامية ص ٣٠ ، ٣١ ، دار الفكر بيروت لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

بداية التوحيد فى حياة البشرية

لقد بدأت البشرية على التوحيد المطلق والتنزيه الكامل لله رب العالمين ـ فقد كان آدم عليه السلام نبيا موحدا على أنقى صور التوحيد وأصفاه ، فقد عرف حقيقة التوحيد كاملة وعرف طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (١) وهذا اعتراف فيه رجوع وانابة وخضوع للواحد الديان الذى خلقه من تراب ثم نفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة .

فقد هبط آدم عليه السلام الى الأرض مسلما لله متبعا لهداه وأن يبتعد عن خطوات الشيطان اذ هو لهما عدو مبين فقد قال تعالى « فاما يأتيكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (٢) .

والذى لا شك فيه أن آدم عليه السلام قد قام بنقل ماتلقاه من ربه الى بنيه وتعريفهم باسلامه وعقيدته وتلقى بنوه هذه التعاليم بالقبول وتوارثوها جيلا بعد جيل لا تعرف الا توحيد الله عقيدة واسلام الوجه لله دينا .

فالتوحيد أصل فى البشرية به بدأت وعليه نشأت ـ أما الشرك والانحراف فهو شىء طارىء عليها ـ ولا عجب فقد أخذ الله العهد والميثاق على ذرية آدم منذ برأهم وهم لا يزالون فى عالم الذر قال تعالى : واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٢٣ .

(٢) سورة طه الآية رقم ١٢٣ ـ ١٢٤ .

وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٣) .

يؤيد هذا أيضا ما يرويه النبى ﷺ عن ربه انى خلقت عبادى كلهم وانهم آتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به من سلطانا » (٤) .

من هنا نعلم أن توحيد الله ومعرفته والاسلام له كانت القواعد الأولى للتدين التى عرفتها البشرية فى الأرض وبدأ به عهدها ، ولكن لما طال الآمد بذرارى آدم قست قلوبهم وانحرفت فطرتهم واجتالهم ابليس الذى أهبط مع أبيهم عدوا لهم - فعبدوا الطواغيت والأصنام من دون الله عند ذلك أرسل الحق تبارك وتعالى الرسل رحمة بالعباد قال تعالى « وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٥) .

بدأ بذلك آدم عليه السلام الذى عرف بنيه بربهم وبالاسلام ثم توالى موكب الايمان بعد ذلك يتعهد البشرية أولا بأول ويعيدها الى ربها اذا ضلت طريقه أو أخطأت هداه .

فكان نوح عليه السلام الذى جدد الدعوة الى التوحيد وأعاد اليه نقاءه وصفاءه وحاول جاهدا بكل ما يملك من طاقة

---

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٧٢ .

(٤) الامام مسلم - صحيح مسلم - كتاب الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار جـ٤ ص ٢١٩٧ طبعة الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٥) سورة فاطر الآية رقم ٢٤ .

النبى المرسل أن يخرج الناس مما انتسكوا فيه من ضلال وكفران وكانت النتيجة أن أنجى الله نوحا ومن آمن معه وأغرق من عداهم من عبدة الأصنام والأوثان ثم استمر موكب الدعوة والهداية يتجدد حينا بعد آخر فكان هود وصالح وشعيب وابراهيم واسماعيل ويعقوب واسحق ويوسف وموسى وعيسى حتى جاء خاتمهم محمد ﷺ فأكمل الله الدين وأتم النعمة والعقائد لا شأن لها بالتطور ، والدين بدأ وحيا من عند الله يدعو الى التوحيد منذ بدء الحياة – واذا كان هناك انحراف حدث عن أصل التوحيد فى تاريخ البشرية على حين فترة من الرسل – الا أن الحق الذى نعتقده بيقين أن جميع الرسل ما جاءوا الا بالتنزيه المطلق للاله الواحد من بدايتهم الى نهايتهم وكتبهم جميعا من صحف ابراهيم الى الزبور والتوراه والانجيل والقرآن جاءت بتقرير هذه الحقيقة وهى وان انحرف الأتباع السابقون بها وحرفوا وبدلوا فيها فقد بقى القرآن الكريم ينفى الزيغ ويكشف التحريف (٦) .

---

(٦) الدكتور جمعة على الخولى – تاريخ الدعوة جا ص٧ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م دار الطباعة المحمدية .

دعوة الرسل الى التوحيد

ان التوحيد والدعوة الى عبادة الله وحده ونبذ ما عداه من المعبودات هو المحور الأساسى فى كل الأديان السماوية التى أنزلها الله سبحانه وتعالى لهداية البشر منذ نشأة آدم عليه السلام وحتى نبينا محمد ﷺ فما من نبى أو رسول الا دعا الى عبادة الله وحده ولذلك فان التوحيد هو جوهر الأديان السماوية قال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٧) ٠

وقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » (٨) ٠

وتعدد الأنبياء وتعاقبهم على مر العصور والدهور لا يعنى أبدا تغير جوهر التوحيد وأصله فهو مبدأ أساسى فى دعوة كل رسول يقول الحق تبارك وتعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » (٩) ٠

يقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآية الدين الذى جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ـ أى أن القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وان

---

(٧) سورة النحل الآية رقم ٣١ ٠

(٨) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٥ ٠

(٩) سورة الشورى الآية رقم ١٣ ٠

اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ولهذا قال تعالى « أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » أى أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف » (١٠) .

ويقول الحق جل شأنه « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا » (١١) .

ويقول الامام محمد عبده فى رسالة التوحيد « صرح الاسلام تصريحا لا يحتمل الريبة بأنه دين الله فى جميع الأزمان على السن جميع الأنبياء واحد » (١٢) .

فتوحيد الله هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسول - فقد واجه المرسلون جميعا أقوامهم والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة « ان أعبدوا الله ما لكم من اله غيره » .

فقد قالها نوح عليه السلام لقومه قال تعالى « لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » (١٣) .

---

(١٠) الامام ابن كثير - التفسير العظيم جـ٤ ص ١٠٩ .
(١١) سورة النساء الآية رقم ١٦٣ .
(١٢) الامام محمد عبده رسالة التوحيد ص ١٦٣ .
(١٣) سورة الأعراف الآية رقم ٥٩ .

وقالها هود عليه السلام فقال تعالى « والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (١٤) .

وقال صالح عليه السلام لقومه قال تعالى : « والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (١٥)

وقالها شعيب عليه السلام لقومه فقال تعالى « والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (١٦)

وسيدنا ابراهيم عليه السلام يعلن لقومه ، بعد أن بين لهم بطلان عقيدتهم فى الشمس والقمر والكواكب كما جاء فى قوله تعالى « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شيء علما أفلا تتذكرون » (١٧) .

ولقد بين الخليل عليه السلام ربوبية الخالق وحقيقة صلته به فى قوله تعالى « قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين » (١٨) .

وسيدنا يعقوب عليه السلام يوصى بنيه بالتوحيد وعبادة الله وحده كما جاء فى قوله تعالى « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى

---

(١٤) سورة الأعراف الآية رقم ٦٥ .
(١٥) سورة الأعراف الآية رقم ٦٥ .
(١٦) سورة الأعراف الآية رقم ٨٥ .
(١٧) سورة الأنعام الآية رقم ٧٩ ، ٨٠ .
(١٨) سورة الأنبياء الآية رقم ٥٦ .

قالوا نعبد الهك واله أبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحد ونحن له مسلمون » (١٩) .

وسيدنا موسى عليه السلام فكان أول نداء وجهه اليه ربه حينما اختاره للرسالة هو التوحيد فقال تعالى « انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » (٢٠) .

وقال موسى عليه السلام لقومه حين سألوه عمن يعبدونه من دون الله « أغير الله أبغيكم الهـا وهـو فضـلكم على العالمين » (٢١) .

وقالها عيسى عليه السلام لقومه كما جاء فى قوله تعالى : « قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون » (٢٢) وقوله تعـالى « ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » (٢٣) .

وعلى هذا وكما يقول صاحب الطحاوية ان التوحيد الذى دعت اليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان :

توحيد فى الاثبات والمعرفة .

وتوحيد فى الطلب والقصد .

---

(١٩) سورة البقرة الآية رقم ١٣٣ .

(٢٠) سور قطه الآية رقم ١٤ .

(٢١) سورة الأعراف الآية رقم ١٤٠ .

(٢٢) سورة الزخرف الآية رقم ٦٣ .

(٢٣) سورة المائدة الآية رقم ١١٧ .

فالأول : هو اثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ليس كمثله شئ فى ذلك كله كما أخبر به عن نفسه ، وكما أخبر رسوله ﷺ ، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الافصاح كما فى أول سورة « الحديد » و « طه » وآخر « الحشر » وأول « الم تنزيل السجدة » وأول « آل عمران » وسورة « الاخلاص » بكمالها وغير ذلك .

الثانى : وهو توحيد الطلب والقصد ، مثل ما تضمنته سورة « قل يا أيها الكافرون » و « قل يا أهل الكتاب تعالوا كلمة سواء بيننا وبينكم » وأول سورة « تنزيل الكتاب » وآخرها وأول سورة « يونس » وأوسطها وآخرها ، وأول سورة الأعراف » وآخرها وجملة سورة « الأنعام » .

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعى التوحيد بل كل سورة فى القرآن ، فان القرآن اما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمى الخبرى ، واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الارادى الطلبى ، واما أمر ونهى والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، واما خبر عن اكرامه لأهل توحيده ، وما فعل بهم فى الدنيا ، وما يكرمهم به فى الآخرة ، وهو جزاء توحيده ، واما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال ، وما فعل بهم فى العقبى من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه ، وفى شأن الشرك وأهله وجزائهم ف « الحمد لله رب العالمين » توحيد « الرحمن الرحيم » توحيد « اهدنا الصراط المستقيم » توحيد متضمن لسؤال الهداية الى طريق أهل التوحيد « الذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، الذين فارقوا التوحيد (٢٤) .

---

(٢٤) الامام على ابن ابى العز الحنفى ـ شرح الطحاوية ص ٣٥ ـ ٣٦ تحقيق احمد شاكر مطبوعات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ط٢ ١٤٠٠ هـ .

التوحيد جوهر الاسلام

ان التوحيـد جوهر الاسـلام وروحه وعقيـدته ومحور عبادته المنوعة ، ومبدأ التوحيد يسرى فى تعاليمه كافة سريان الماء فى النبات أو الأعصاب فى البدن وقد وضح القرآن الكريم حقيقته وبسط فكرته وناقش ما قد يعرض له أو يعـارضه . فالتوحيد الاسلامى أصرح وأكمل ما أسسه دين فى قلوب بنيه فقد فطر البشر جميعا بطابع العبودية له وحده وانتزاع كل شعور يتجه بالمرء الى تقديس كائن ما ـ هنا أو هناك ـ كل ذلك من عناوين الاسلام الأولى وليس من ارشاداته الثانوية ابدا « انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » (٢٥) .

والأنبياء جميعهم من لدن آدم عليه السلام حتى خاتمهم محمد ﷺ متفقون على أصول وهى :

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لا شريك له فى ملكه لا ند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شفيع الا من بعد اذنه .

٢ ـ أنه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة .

٣ ـ أنه غنى بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج الى شىء مما يحتاجه اليه خلقه بوجه من الوجوه .

٤ ـ أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والسنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك .

٥ ـ أنه لا يماثل شيئا من مخلوقاته بل ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

---

(٢٥) سورة المائدة الآية رقم ٧٢ .

٦ - أنه لا يحل فى شىء من مخلوقاته ولا يحل شىء فى ذاته شىء منهـا بل هو بائن عن خلقـه بذاته والخلق بـائنون عنه .

٧ - أنه أعظم من كل شىء وأكبر من كل شىء وفوق كل شىء وعال على كل شىء وليس فوقه شىء البتة .

٨ - أنه قادر على كل شىء فلا يعجزه شىء يريده بل هو الفعال لما يريد .

٩ - أنه عالم بكل شىء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون « وما تسقط من ورقة الا يعلمهـا ولا حبـة فى ظلمـات الأرض ولا رطب ولا يابس » (٢٦) لا متحرك الا وهو يعلمه على حقيقته .

١٠ - أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، فقد أحاط سمعه بجميع المسـموعات ، وبصره بجميع المبصرات ، وعلمـه بجميع المعلومات وقدرته بجميع المقدورات ، ونفذت مشيئته فى جميع البريات ، وعمت رحمته جميع المخلوقات ، ووسـع كرسيه السموات والأرض .

١١ - أنه الشاهد الذى لا يغيب ولا يستخلف أحدا على تدبير ملكه ولا يحتاج الى من يرفع اليـه حوائج عبـاده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

---

(٢٦) سورة الأنعام الآية رقم ٥٩ .

١٢ - أنه الأبدى الباقى الذى لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت .

١٣ - أنه المتكلم الآمر الناهى قائل الحق وهادى السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ، ومجـازى المحسن باحسـانه والمسئ باساءته .

١٤ - أنه الصادق فى وعده وخبره ، فلا أصدق منه قيلا ولا أصدق منه حديثا ، وهو لا يخلف الميعاد .

١٥ - أنه تعالى صمد بجميع الصمدية فيستحيل عليه ما يناقض صمديته .

١٦ - أنه قـدوس سـلام ، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص .

١٧ - أنه الكامل الذى له الكمـال المطلق من جميـع الوجوه .

١٨ - أنه العدل الذى لا يجور ولا يظلم ولا يخـاف عباده منها ظلما فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل وهو من المحكم الذى لا يجوز أن تأتى شريعة بخـلافه ولا يخبر نبى بخلافه أصلا (٢٧) .

لأن هذا هو الحـق الأبلـج الذى اتضـح من الشرائـع السماوية ، وما عدا ذلك فانما هو من وضـع المبطلين الذين

---

(٢٧) الامام ابن القيم الجوزية ص٢٩٩ هداية الحيارى تحقيق الدكتور احمد السقا نشر المكتبة القيمة الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

اتبعوا أهوائهم وانقادوا الى شيطانهم فغفلوا عن رسائل أنبيائهم وتصوروا التصورات التى لم تكن تليق بالذات الالهية ولا بالله استحق أن يسجد له كل من فى الأرض والسموات - فكان من الأولى التنزيه بدلا من تلك النقائص المسجلة فى التوراة المحرفة وكان من الأولى أن يوحد بدلا عن التثليث كما هو الحال فى الأناجيل الموضوعة ، ولكن هذا الاتفاق السابق لا يوجد الا فى الدين الخاتم الذى جاء به الرسل الخاتم محمد ﷺ .

فالمتتبع لآيات القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين محمدا ﷺ التى تبين شئون الالوهية ، يجد أنهما قدما لها الصورة النقية الرائعة التى لا نجد لها نظيرا فى الأديان الأخرى واحتفظا بهذه الصورة النقية فى جميع تعاليمه .

فتصور الألوهية فى الاسلام تصور كامل تام لا يتغلب منه جانب على جانب ولا يسمح بشائبة من شوائب الشرك ، ولا يجعل لله مثيلا فى الحس ولا فى الضمير بل له تعالى « المثل الأعلى » (٢٨) و « ليس كمثله شىء » (٢٩) .

ولله المثل الأعلى من صفات الكمال جمعاء ، وله الأسماء الحسنى ، فلا تغلب فيه صفات القوة والقدرة على صفات الرحمة والمحبة ، ولا تغلب فيه صفات الرحمة والمحبة على صفات القوة والقدرة فهو قادر على كل شىء وهو عزيز ذو انتقام ، وهو كذلك رحمن رحيم وغفور كريم قد وسعت رحمته كل شىء ، وهو الخلاق دون غيره قال تعالى « هل من خالق غير الله » (٣٠) .

---

(٢٨) سورة الروم الآية رقم ٢٧ .

(٢٩) سورة الشورى الآية رقم ١١ .

(٣٠) سورة فاطر الآية رقم ٣ .

فليس الاله فى الاسلام مصدر النظام وكفى ، ولا مصدر الحركة الأولى وكفى ، ولكن « الله خالق كل شىء » (٣١) « وخلق كل شىء فقدره » (٣٢) « الله يبدؤ الخلق ثم يعيده » (٣٣) « وهو بكل خلق عليم » (٣٤) .

ومما يجب الاشارة اليه هنا أن تصور الألوهية موجود لدى جميع الأمم والأديان ، ولكنه تصور خاطىء أو ناقص ولكن الاسلام جاء بمفهوم الالوهية الصحيح الكامل ليهدى اليه ، وليبين فساد التصورات الشائعة ويدعو الى التصور الصحيح :

ومجمل ما يقال فى عقيدة الذات الالهية التى أتى بها القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ – أن الذات الالهية غاية ما يتصوره العقل البشرى من الكمال فى أشرف الصفات (٣٥) :

فالله هو « المثل الأعلى » :

وهو الواحد الصمد الذى لا يحيط به الزمان والمكان وهو محيط بالزمان والمكان « وهو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٣٦) « وسع كرسيه السموات والأرض » (٣٧)

---

(٣١) سورة الزمر الآية رقم ٦٢ .
(٣٢) سورة الفرقان الآية رقم ٢ .
(٣٣) سورة الروم الآية رقم ١١ .
(٣٤) سورة يس الآية رقم ٧٩ .
(٣٥) الأستاذ عباس العقاد الله ص ١٥٥ .
(٣٦) سورة الحديد الآية رقم ٣ .
(٣٧) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ .

« ألا انه بكل شيء محيط » (٣٨) ٠

وكما نادى الاسلام بوحدانية الله وأحديته بين كذلك أن الدين واحد وهو الاسلام وهذا ما نشير اليه فى الصفحات التالية باذن الله تعالى ٠

---

(٣٨) سورة فصلت الآية رقم ٥٤ ٠

ان الدين عند الله الاسلام

ان كلمة الاسلام فى اللغة تطلق على الامتثال ، والانقياد ، والخضوع فيقال : أسلم فلان أى : انقاد وخضع ، وامتثل الأوامر ، وصار مسلما (٣٩) فالاسلام الذى هو الدين الالهى معناه : الاستسلام لله ، والخضوع والانقياد له فى أمره ونهيه على لسان الوحى الذى جاء مع كل نبى ورسول أرسله الله لعباده .

ان المتبع لدعوة الأنبياء والرسل يجد أن كل نبى كان يدعو قومه الى الدين الحق ، والدين الحق هو الاسلام قال تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » (٤٠) .

فحقيقة الدين عند الله تعالى أذلا وأبدا هو الاسلام ، يدل على شمول هذا الدين لجميع الأنبياء والرسل جميعا قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » (٤١) فاسم هذا الدين الذى حمله الأنبياء جميعا هو الاسلام ، وهذه التسمية التى سمى بها هذا الدين فى أرض الله وفى سمائه على حد سواء قال تعالى « أفغير الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون » (٤٢) .

---

(٣٩) القاموس المحيط جـ٤ ص ١٣٠ .

(٤٠) سورة آل عمران الآية رقم ١٩ .

(٤١) سورة الشورى الآية رقم ١٣ .

(٤٢) سورة آل عمران الآية رقم ٨٣ .

ان الاسلام دين الله الخالص وهو دين الأنبياء والرسل والبشر جميعا ـ وهنا يخبرنا المولى عز وجل بأنه لا دين عند الله غير الاسلام قال تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٤٣) ٠

ان وحدة الدين عند الله تعالى عقيدة أساسية ، وتعدد الأنبياء لم يكن لتعدد الأديان التى جاءت من عند الله تعالى ، فالظروف الزمانية والمكانية بين الرسول ﷺ وبين الرسل الكرام قبله لم تكن حائلة أمام هذه الحقيقة المرتكزة على التوحيد ، فحينما يكون لها أثر يأتى النبى المرسل من عند الله تعالى ليضع الدين بين أعين الناس مرة أخرى ويبلغهم رسالة الاسلام ٠

فالاسلام هو دين الله منذ أقدم رسول ، والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ذات المغزى العميق فى دلالتها على استغراق هذا الدين لجميع الأنبياء والرسل قال تعالى :

« قولوا ءامنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٤٤) ٠

فكما اتفقت كلمتهم فى العقيدة فقد اتفقت كلمتهم كذلك فى اسم الدين ، فاسم الدين الذى حمله الأنبياء جميعا وواجهوا به أقوامهم فيما يحكيه القرآن الكريم عنهم هو الاسلام ٠

---

(٤٣) سورة آل عمران الآية رقم ٨٥ ٠

(٤٤) سورة البقرة الآية رقم ١٣٦ ٠

فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه « .. ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم أقضوا اليه ولا تنظرون ، فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » (٤٥) .

وفى شأن سيدنا ابراهيم عليه السلام يقول القرآن الكريم « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، اذا قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » (٤٦) .

وقوله « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (٤٧) .

وقوله جل شأنه فيما يخص ابراهيم وقومه « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون » (٤٨) .

من هنا نلاحظ فى هذا المحيط من هذه الوحدة الشاملة ان القرآن الكريم ينفى عن سيدنا ابراهيم عليه السلام أنه كان

---

(٤٥) سورة يونس الآية رقم ٧١ ، ٧٢ .
(٤٦) سورة البقرة الآية رقم ١٣٠ ، ١٣١ .
(٤٧) سورة البقرة الآية رقم ١٢٨ .
(٤٨) سورة البقرة الآية رقم ١٣٢ ، ١٣٣ .

على ملة غير الاسلام قال تعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (٤٩) .

وأنبياء بنى اسرائيل أسلموا لله تعالى قال تعالى : « انا أنزلنا التوراة فيهـا هدى ونورا يحـكم بهـا النبيون الذين أسلموا للذين هادو ... » (٥٠) .

وهذا موسى عليه السلام يخاطب قومه فيما يحكيه القرآن الكريم فيقول لهم « يا قوم ان كنتم ءامنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (٥١) .

وسليمان عليه السلام كان يدعو بلقيس ملكة سبأ لدينه فقد بين لها أن هذا الدين هو الاسلام فيقول لها « ألا تعلو على وأتونى مسلمين » (٥٢) .

وبلقيس نفسها حين أسلمت بينت أن اسم الدين الذى رضيته وأسلمت وجههـا لله فقـالت « رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (٥٣) .

وبها نطق الحواريون فقالوها ردا على سؤال وجهه عيسى عليه السلام لهم قالوها لعيسى وللتاريخ « فلما أحس عيسى

---

(٤٩) سورة آل عمران الآية رقم ٦٧ .

(٥٠) سورة المائدة الآيةرقم ٤٤ .

(٥١) سورة يونس الآية رقم ٨٤ .

(٥٢) سورة النمل الآية رقم ٣١ .

(٥٣) سورة النمل الآية رقم ٤٤ .

منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » (٥٤) .

وقالها فرعون نفسه حين أدركه الغرق « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا اله الا الذى ءامنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين » (٥٥) .

كما قالها السحرة بعد أن أبصروا الحق الصراح فى ساحة فرعون « وما تنقم منا الا أن ءامنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » (٥٦) .

من هنا نأخذ أن الدين عند الله الاسلام ، وأن ما جاء به من هدى وما تنزل به من نور انما يستقى من هذا النبع الذى نهلت منه الديانات وأن طريق الله لا يتعدد مناحيه ولا يتعارض جوانبه .

فدين الله واحد جاء به الأنبياء والرسل جميعا ، تعاقدوا عليه وأخذوا الميثاق والايمان بكل رسالة تأتى وفاءا بهذا . فهذه هى الصورة العميقة لمعنى الاسلام ، دين الله الذى حمله الأنبياء والرسل جميعا قال تعالى :

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال

---

(٥٤) سورة آل عمران الآية رقم ٥٢ .

(٥٥) سورة يونس الآية رقم ٩

(٥٦) سورة الأعراف الآية رقم ١٢٦ .

«اقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » (٥٧) .

وبعد ، فهذا هو الاسلام ، فى سماحته وعموميته وشموله لكل الرســالات التى جاء بهــا الأنبيــاء ، فلا داعى لتعريف الاسلام بغير ما عرفه الله به ، ان الاسلام دين الله الذى جاء به الرسل جميعا ، فكل الرسالات والدعوات يجب أن تعود الى أصلها الواحد .

(٥٧) سورة آل عمران الآية رقم ٨١ .

الفصل الثاني

أساليب القرآن الكريم فى الدعوة الى توحيد الالهية

توطئــــة :

أنزل الحق تبارك وتعالى القرآن الكريم وكثر فيه الحديث عن الذات الالهيــة وصـــفاتها وأســمائها ، ولأهميــة هذا الطلب الأعظم ، ســلك القــرآن الــكريم الى ذلك مسالك متعـــددة ان تنــاول القــرآن الــكريم لحقيقـــة التوحيــد ودلائله وهدمه للشرك وقطعه لأصوله يدل على أن هذه الحقيقة بالغة الأهمية فى رسالة الاسلام ، فهى الأساس الذى يقوم عليه صرح الايمان ، وهى النقطة الفاصلة الذى لا يقبل القرآن حولها جدلا .

فقد جاء محمد ﷺ يصدع بما أمره الله تعالى به ، فقد أعلن على العرب الذين كانوا يتبعون ما ألفوا عليه أسلافهم قول الحق سبحانه « ان الهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » (١) .

لــكن المشركين عجبوا من هذه الدعوى وقالوا كمــا ذكر القرآن « أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب » (٢) وهكذا تتغير الموازين وتتبــدل الحقائق فيعجب المشركون من دعوة الرسل ﷺ الى اله واحد ولا يعجبون من ما هم عليه من اشراك بالله لم ينزل به من سلطان ، فقد عميت بصائرهم واضطربت عقولهم واتبعوا أهوائهم ، فأصبح التوحيــد عنــد المشركين خروجا عن الأصل ومخالفة لما أجمعوا عليه بل زعموا أنه مخالف لدين حين قالوا « ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق » (٣) .

---

(١) سورة الصفات الآية رقم ٤ ، ٥

(٢) سورة ص الآية رقم ٥ .

(٣) سورة ص الآية رقم ٧ .

ولأهمية هذا المطلب الأعظم فقد سلك القرآن الكريم الى ذلك مسالك متعددة منها :

١ ـ التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله ٠

فقد أشار القرآن الكريم الى مواقف المشركين الذين اتخذوا لهم آلهه من دون الله وبين حال هذه الآلهة من أنها لا تسمع ولا تضر وهى فى عجز شنيع وفقر بالغ كما أنها فى غفلة عمن يدعوها ويفزع اليها فقد جاء فى قوله تعالى ٠ « أيشركون ما لا يخلق شـــيئا وهم يخلقون ؟ ولا يســتطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ، ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ٠ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » (٤) ٠

يقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآيات : هذا انكار من الله على المشركين الذين عبــدوا مع الله غيره من الانــداد والأصنام والأوثان وهى مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لا تملك شيئا من الأمر ولا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تنتصر لعابديها بل هى جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ولهذا قال « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون » أى أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئا ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى « يا أيها النــاس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه

---

(٤) سورة الأعراف الآيات رقم من ١٩١ الى ١٩٥ ٠

منه ضعف الطالب والمطلوب ، ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » أخبر تعالى أن آلهتهم لو اجتمعوا كلهم ما استطاعوا خلق ذبابة بل لو سلبتهم الذبابة شيئا من حقير المطاعم وطارت لما استطاعوا انقاذه منها فمن هذه صفته وحاله كيف يعبد ليرزق ويستنصر ؟ ولهذا قال تعالى « ولا يستطيعون لهم نصرا » أى لعابديهم « ولا أنفسهم ينصرون » يعنى ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء (٥) .

وبعد فهذه صفات الأصنام على حقيقتها ليس بها حياة وليس لها حواس ولا جوارح ولا تملك أن يدعونها نصرا بل لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، والنسق القرآنى فى هذه الآيات يدعونا الى النظر فى حكمة تكرار بعض الجمل فيها كقوله تعالى « ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون » ثم يأتى قوله « ولا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون » وذلك لأن حقيقة اثبات التوحيد ونبذ الشرك ونفيه هى الحقيقة الأولى فى القرآن الكريم . جاء تأكيد عجز الأصنام عن نصر من يعبدونها بل عن نصر أنفسها فى هذه الصورة ، فذكرت هذه الحقيقة مرتين ، الأولى فى سياق الأخبار بها مجردة فى غيبة هؤلاء المشركين . والثانية فى مواجهتهم بها بضمير المخاطب « والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون » ، فالأولى حكم والثانية مواجهة ومجابهة .

ولهذا فقد أكد القرآن الكريم عجز هذه الاصنام وهوانها بمختلف صور التعبير وأثار احساس المخاطبين نبذ هذه المعبودات الباطلة وحقارتها فهى أضعف من الانسان الذى

---

(٥) الامام ابن كثير - التفسير العظيم جـ٢ ص ٢٧٦ .

يعبدوها وأعجز كقوله سبحانه وتعالى « والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون » (٦) .

وكقوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون » (٧) .

وكقوله سبحانه « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » (٨) .

وكقوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير » (٩) .

وكقوله تعالى : « ... ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » (١٠) .

وكقوله تعالى : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون » (١١) .

---

(٦) سورة النحل الآية رقم ٢٠ ، ٢١ .
(٧) سورة النحل الآية رقم ٧٣ .
(٨) سورة الاسراء الآية رقم ٥٦ .
(٩) سورة سبأ الآية رقم ٢٢ .
(١٠) سورة فاطر الآية رقم ١٣ ، ١٤ .
(١١) سورة يس الآية رقم ٢٢ ، ٢٣ .

وكقوله تعالى : « قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن من كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ... » (١٢) .

وبعد فهذه بعض آيات القرآن الكريم تؤكد عجز هذه الآلهة الباطلة وأنها أقل شأنا من عابديها ، فهى أضعف من الانسان الذى يعبدها وأعجز ، فكيف اذا تصلح للالهية .

٢ - بيان حال العابدين لهذه الآلهة البطلة :

لقد أكد القرآن الكريم عجز تلك المعبودات الباطلة وهوانها ، ومن ثم فلا يجوز لانسان يحترم عقله أن ينحدر الى هاوية الشرك ، وهو يعلم أن هذه المعبودات لا تنفع ولا تضر ، فكيف سول لهؤلاءأن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضرا ولا نفعا ولذلك فقد حكى القرآن الكريم على لسان ابراهيم عليه السلام فى خطابه لقومه « أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » (١٣) وقوله لهم : « لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين » (١٤) وكما جاء فى قوله تعالى « ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون » (١٥) أى لا أضل ممن يدعو من دون الله أصناما ويطلب منها مالا تستطيعه الى يوم القيامة وهى غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش لأنها جماد حجارة صم .

---

(١٢) سورة الزمر الآية رقم ٣٨ .

(١٣) سورة الأنبياء الآية رقم ٦٧ .

(١٤) سورة الأنبياء الآية رقم ٥٤ .

(١٥) سورة الأحقاف الآية رقم ٥ .

وكقوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ، اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار » (١٦) ٠

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآيات : يذكر تعالى حال المشركين به فى الدنيا ومالهم فى الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادا أى أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا اله الا هو لا ضد له ولا ند له ولا شريك معه وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » .

ثم توعد تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال « ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا » أى أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه « وان الله شديد العذاب » كما قال : فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد » يقول لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال (١٧) .

---

(١٦) سورة البقرة الآية رقم ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ٠

(١٧) الامام ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٢٠٢ ٠

فهذه الآيات من كتاب الله تبارك وتعالى تبين حال هؤلاء الضالين الذين أهدروا نعمة العقل وأصموا آذانهم عن نداء الفطرة وذلك كما جاء فى قوله تعالى « واذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » (١٨) .

وقوله تعالى « فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانو اكافرين » (١٩) .

وقوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون » (٢٠) .

---

(١٨) سورة المائدة الآية رقم ١١٦ ، ١١٧ .

(١٩) سورة الأعراف الآية رقم ٣٧ .

(٢٠) سورة سبأ الآية رقم ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

وهكذا نلاحظ من الآيات السابقة بيان حال العابدين لهذه الآلهة الباطلة ورمى من عبدوها بالسفه والضلال لأنهم عبدوا الباطل مقابل الحق كما جاء فى قوله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير » (٢١) فقد سمى القرآن الكريم ما عبده هؤلاء باطلا فى مقابلة الحق وهو التوحيد ، فالباطل هو مالا حقيقة له ولا دليل يثبته ، والحق هو ما ثبت بالدليل واتضح بالحجة وقد جاء هذا المعنى فى قوله سبحانه « ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم » (٢٢) .

والمثل المضروب للحق والباطل يهدف الى ادراك هذه الحقيقة وهى أنه لاثبات للعقائد القائمة على الأوهام قال تعالى : « أنزل من السماء ماءا فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » (٢٣) .

فقد جاء هذا المثل عقب الحديث عن المشركين وضلال تصوراتهم فى قوله سبحانه « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار » (٢٤) .

---

(٢١) سورة الحج الآية رقم ٦٢ .

(٢٢) سورة محمد الآية رقم ٣ .

(٢٣) سورة الرعد رقم ١٧ .

(٢٤) سورة الرعد الآية رقم ١٦ .

نفى الألوهية عن كل موجود سوى الله

ان المتتبع لآيات القرآن الكريم التى تبين شئون الألوهية ، يتضح له أن الأساليب التى أشار اليها الحق جل شأنه فى اثبات ألوهيته وحده ، يدل بأقوى ما يكون من الكلمات وأوقع ما يكون من أساليب البيان أن هذا العالم ليس فيه شئ أو قوة يصدق عليها هذا التصور للألوهية - مصداق ذلك ما نراه من سياق الآيات مع لفظة اله بالذات ولفظه رب نادرا (٢٥) وينفى الحق جل شأنه الشريك لذاته بصيغتين :

الصيغة الأولى :

فترد بأسلوب الاستثناء المنفى وذلك كما جاء فى قوله سبحانه « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (٢٦) يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية يخبر تعالى عن تفرده بالالهية وأنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم (٢٧) .

وقوله سبحانه « الله لا اله هو الحى القيوم » (٢٨) وقوله « الله لا اله الا هو الحى القيوم » (٢٩) .

---

(٢٥) الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى الألوهية فى الفكر الاسلامى ص ١٢٦ .

(٢٦) سورة البقرة الآية رقم ١٦٣ .

(٢٧) ابن كثير - التفسير العظيم جـ١ ص ٢٠١ .

(٢٨) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ .

(٢٩) سورة آل عمران الآية رقم ٢ .

فقوله جل شأنه « الله لا اله الا هو » اخبار بأنه المنفرد بالالهية لجميع الخلائق وقوله سبحانه « لا اله الا هو العزيز الحكيم » (٣٠) وقوله « وما من اله الا الله » (٣١) .

وترد هذه الصيغة فيما يقرب من تسع وخمسون موضعا تتحدث عن نفى كل الوهيــة لغيره وتثبت فى الوقت ذاتــه الالوهية لله سبحانه وتعالى ، وهكذا اراد المولى ان ينفى كل شريك فى أى تصور ، مفردا كان الشريك أو جمعا فنفى المفرد فى صورة المستثنى منه المنفى ونفى ما زاد عن الواحد بصيغة النهى فقال تعالى « ولا تجعل مع الله الاها اخر » (٣٢) وقال « وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد » (٣٣) أو ينفى الكثرة بصيغة التانيث والتعنيف او اللوم والعتاب أو الاستهزاء بالآلهة أو بمن عبدوها فقال « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا » (٣٤) وقوله « أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون » (٣٥) « أم لهم آلهة تمنعهم من دوننـــا » (٣٦) واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون (٣٧) .

وفى تفسير هذه الآية يقول ابن كثير : يخبر تعالى عن جهل المشركين فى اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شىء

---

(٣٠) سورة آل عمران الآية رقم ١٨ .
(٣١) سورة آل عمران الآية رقم ٦٢ .
(٣٢) سورة الاسراء الآية رقم ٣٩ .
(٣٣) سورة النحل الآية رقم ٥١ .
(٣٤) سورة مريم الآية رقم ٨١ .
(٣٥) سورة الأنبياء الآية رقم ٢١ .
(٣٦) سورة الانبياء الآية رقم ٤٣ .
(٣٧ سورة الفرقان الآية رقم ٣ .

المالك لكل شيء – الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لم يقدر خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا فكيف يملكون لعابديهم (٣٨) .

الصيغة الثانية :

أما الصيغة الثانية فى نفى الشريك واثبات الالوهية فقد جاءت فى صورة الاستفهام الانكارى وذلك مثل قوله تعالى « من اله غير الله يأتيكم به (٣٩) .

وقوله تعالى « أاله مع الله بل هم قوم يعدلون » (٤٠) وقوله « أاله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ما تذكرون » (٤١) وقوله « من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون » (٤٢) وقوله « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون » (٤٣) وهنا ينبه المولى عز وجل عباده ويرشدهم الى الاستدلال على توحيده فى أفراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والانداد والأوثان ولهذا قال تعالى : « فأنى تؤفكون » أى فكيف تؤفكون

---

(٣٨) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٣٠٩ .

(٣٩) سورة الأنعام الآية رقم ٤٦ .

(٤٠) سورة النمل الآية رقم ٦٠ .

(٤١) سورة النمل الآية رقم ٦١ ، ٦٢ .

(٤٢) سورة القصص الآية رقم ٧١ .

(٤٣) سورة فاطر الآية رقم ٣ .

بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان (٤٤) . وقال « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » (٤٥) .

وهكـذا يجد الانسـان من كثرة النصـوص القرآنية وتنوعها حول حقيقة الألوهية وخصائصها وآثارها وصفاتها باعتبـارها الحقيقـة الأولى والحقيقـة الكبرى والحقيقة الأساسية فى هذا التصور ، ما يشعره بالقصـد الى بيانها والتوسع فيها لتكون قاعدة كاملة شاملة للتصور الاسـلامى المستقل الذى يستمد لبناته كما يسـتمد تصميمه من المصدر الربانى المضبوط الموثوق بصحته وبعلمه وخبرته (٤٦) .

---

(٤٤) ابن كثير - التفسير جـ٣ ص ٥٤٧ .

(٤٥) سورة يوسف الآية رقم ٣٩ .

(٤٦) الأستاذ : سيد قطب - خصائص التصور الاسلامى ص ١٠٧ .

اثبـات الألوهية خطـابا

لقد نفى القرآن الكريم الألوهية عن كل موجود سوى الله سبحانه وتعالى كما سبق ثم أثبت ألوهيته هنا بصـيغتين هنا :

أحدهما صيغة الاخبار

وذلك مثل ما جاء فى قوله تعالى « ان الهكم لواحد » (٤٧) وقوله « قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار » (٤٨) وقوله تعالى « وبرزوا لله الواحد القهار » (٤٩) وقوله « فالاهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المختبين » (٥٠) ٠

وقوله « والهنا والاهكم واحد ونحن له مسلمون » (٥١) ٠

وقوله « والاهكم اله واحد » (٥٢) ٠

وقوله « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (٥٣) ٠

والثانية صيغة الحصر :

من مثل ذلك قوله جل شأنه « هذا بلاغ للناس ولينذروا بـه وليعلمـوا انمـا هو اله واحد » (٥٤) وقوله « وقال الله

---

(٤٧) سورة الصفات الآية رقم ٤ ٠
(٤٨) سورة الرعد الآية رقم ١٦ ٠
(٤٩) سورة ابراهيم الآية رقم ١٤٨ ٠
(٥٠) سورة الحج الآية رقم ٣٤ ٠
(٥١) سورة العنكبوت الآية رقم ٤٦ ٠
(٥٢) سورة البقرة الآية رقم ١٦٣ ٠
(٥٣) سورة غافر الآية رقم ١٦ ٠
(٥٤) سورة ابراهيم الآية رقم ٥٢ ٠

لا تتخذوا الاهين اثنين انما هو اله واحد » (٥٥) وقوله « انما الله اله واحد » (٥٦) وقوله « قل انما هو اله واحد » (٥٧) وقوله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » (٥٨) وقوله تعالى قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد » (٥٩) ٠

وهكذا نلاحظ أن تعدد الصيغ قد دل على نفى الوهية سوى الواحد وحصرها فى اثبات الواحدية ، وما ذلك الا لأن الله يؤكد وحدانيته والى نفى الشريك بكل معنى وصيغة يليقا بذاته ، ويبين أن الشريك منفى بكل وجه من الوجوه العقلية واللغوية وبكل صيغة دالة على ذلك (٦٠) ٠

---

(٥٥) سورة النحل الآية رقم ٥١ ٠

(٥٦) سورة البقرة الآية رقم ١٧١ ٠

(٥٧) سورة الأنعام الآية رقم ١٩ ٠

(٥٨) سورة الكهف الآية رقم ١١٠ ٠

(٥٩) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٨ ٠

(٦٠) الدكتور عبد الله الشاذلى الألوهية فى الفكر الاسلامى ص ١٢٨ ٠

اثبات الألوهية برهانا

بات واضحا أن القرآن الكريم لا يدع أسلوبا من الأساليب الا وساقه لهداية البشرية واقناعهم بعبادة اله واحد فى ذاته وصفاته لا ند له ولا شريك ولا صاحبة له ولاولد « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (٦١) ٠

وقد تضمن القرآن الكريم دلائل عقلية وكونية على وحدانية الله سبحانه فيقول سبحانه « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذ لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (٦٢) ٠

يقول الامام القرطبى فى تفسير هذه الآية : لو كان معه آلهة كما يقولون لانفرد كل اله بما خلق « ولعلا بعضهم على بعض » أى ولغالب وطلب القوى الضعيف كالعادة بين الملوك ، وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الالهية ، وبهذا الذى يدل على نفى الشريك يدل على نفى الولد أيضا لأن الولد ينازع الأب فى الملك منازعة الشريك « سبحان الله عما يصفون » تنزيها له عن الولد والشريك » (٦٣) ٠

وقوله تعالى « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا » (٦٤) ٠

---

(٦١) سورة الاخلاص من الآية رقم ١ - ٤ ٠

(٦٢) سورة المؤمنون الآية رقم ٩١ ٠

(٦٣) الامام القرطبى - الجامع لأحكام القرآن جـ١٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ٠ نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ٠

(٦٤) سورة الاسراء الآية رقم ٤٢ ٠

وقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (٦٥) يقول الامام الغزالى : لو كان للعالم الهان لفسد ، فهذا أصل ومعلوم أنه لم يفسد . وهذا أصل آخر ، فيلزم عنهما نتيجة ضرورية وهى نفى أحد الالهين ، ولو كان مع ذى العرش آلهة لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ، ومعلوم أنهم لم يبتغوا فليزم نفى آلهة سوى ذى العرش (٦٦) .

وهكذا نلاحظ من خلال الآيات السابقة ايضاح جوانب الدليل وتأكيد نفى الشريك عن الله سبحانه بحكم العقل الى جانب شواهد الكون فقال تبارك وتعالى « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون ، بل آتيناهم بالحق وأنهم لكاذبون » (٦٧) .

يقول الامام القرطبى فى تفسير هذه الآيات : يخبر بربوبيته ووحدانيته وملكه الذى لايزول وقدرته التى لا تحول ... ونبهت هذه الآيات على أن من ابتدأ الخلق والاختراع والايجاد والابداع هو المستحق للألوهية والعبادة (٦٨) . كما نلاحظ أن هذه الآيات قد جاءت بأسلوب السؤال وتقرير الجواب — وهذا هو أسلوب التشويق الذى نجده فى القرآن

---

(٦٥) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٢ .

(٦٦) الامام الغزالى . القسطاس المستقيم ص ٣٥ تقديم وتعليق محمد ركابى الرشيدى محمد توزيع مكتبة جعفر الحديثة .

(٦٧) سورة المؤمنون من الآية رقم ٨٤ الى الآية رقم ٩٠ .

(٦٨) الامام القرطبى — الجامع لأحكام القرآن جـ١٢ ص ١٤٥ — ١٤٦ .

الكريم فى المواطن التى تحتاج الى ايقاظ المشـاعر وتحريك القلوب الهامـدة باثاره هذه الاسئلة المفاجئة التى تستلـزم الجواب فى الحال « لمن الأرض ومن فيها » « من رب السموات السبع » « من بيده ملكوت كل شىء » والجواب فى كل موضع « لله » أى أن ذلك خالص لله سبحانه لا ينازعه فيه أحد اذن : « فأنى تسـحرون » أى كيف تصرفون عن هـذه الحقـائق وتتجاهلون دلالة الكون وهو يناديكم بأوضح منطق وبيان وهو بيان العيان والمشاهدة . (٦٩)

من هنا فان الله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته لايشاركه أحد وواحـد فى ذاته لا يتركب من أجزاء وواحد فى صـفاته لا يشاركه أحد فى صـفات كمـالاته لأنه جل شـأنه منفردا بالوحدانية بالكمالات والنعوت لا يشـاركه فيها غيره والى هذا الحـد يتفق المتـكلمون مع النظرات القرآنية وعلمـاء التفسير (٧٠) :

---

٦٩) الدكتور مصطفى عبد الواحد الايمان فى القرآن ص ٤١ دار الصحوة للنشر ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ - ١٤٨٧ م .

(٧٠) الدكتور عبد الله الشاذلى - الألوهية فى الفكر الاسلامى ص ١٣٣ .

توحيد الألوهية والعبودية

أشرنا فيما سبق الى أن الالهية نسبة الى الاله بمعنى المعبود ، ذلك أن من مقتضيات توحيد الألوهية - فى التصور الاسلامى - افراد الله سبحانه وتعالى بخصائص الالوهية فى تصريف حياة البشر ، كافراده سبحانه بخصائص الالوهية فى اعتقادهم وفى ضمائرهم وشعائرهم على السواء فالتوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب ، هو توحيد الالهية المتضمن توحيد الربوبية وهو عبادة الله وحده لا شريك له . فان المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر تعالى عنهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (٧١) وقوله « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون » (٧٢) ومثل هذا كثير فى القرآن الكريم من ذلك مثلا ما جاء فى قوله تعالى « يا أيها اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءا وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » (٧٣) ٠

يقول الامام القرطبى فى تفسيره : أنه خطاب عام فى جميع الناس أن يعبدوا ربهم والعبادة هنا عبارة عن توحيده والتزام شرائعه ، وأصل العبادة الخضوع والتذلل « الذى خلقكم » خص تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته اذ كانت العرب مقره بأن الله خلقها فذكر ذلك حجة عليهم وتقريعا لهم

---

(٧١) سورة لقمان الآية رقم ٢٥ ٠

(٧٢) سورة المؤمنون الآية رقم ٨٤ ، ٨٥ ٠

(٧٣) سورة البقرة الآية رقم ٢١ ، ٢٢ ٠

« والذين من قبلكم » ليعلموا أن الذى أمات من قبلهم وهو خلقهم يميتهم وليفكروا فيمن مضى قبلهم كيف كانوا ، وعلى أى الأمور مضوا من اهلاك من أهلك وليعلموا أنهم يبتلون كما ابتلوا (٧٤) .

ومن ذلك أيضا قوله جل شأنه « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون » (٧٥) .

وعلى هذا فتوحيد الربوبية من الخلق والرزق والتدبير والتصريف مختصة به سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، وانه القائم على أمور عباده ، والكافل والمربى لهم بنعمه المادية والروحية ، هذا التوحيد مستلزم لتوحيد الالهية والعبادة فهو منه كالمقدمة من النتيجة ، فانه اذا علم أنه سبحانه وتعالى هو الرب وحده لا شريك له فى ربوبيته ـ كانت العبادة حقه الذى لا ينبغى الا له ، فانه لا يصح أن يعبد الا من كان ربا خالقا مالكا مدبرا وما دام ذلك له وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده الذى لا يجوز أن يكون لأحد معه شركه فى شىء من صور العبادة كلها (٧٦) .

فالذى يتصور الألوهية على هذا النحو ، ويدرك حدود العبودية كذلك ، يتحدد اتجاهه ، كما يتحدد سلوكه ويعرف

---

(٧٤) الامام القرطبى ـ الجامع لاحكام القرآن جـ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٧٥) سورة النمل الآية رقم ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٧٦) الدكتور محمد خليل هراس ـ دعوة التوحيد ص ٨٣ .

على وجه الضبط والدقة من هو ؟ وما غاية وجوده ؟ وما حدود سلطانه ؟ كما يدرك حقيقة كل شئ فى هذا الكون ، وحقيقة القوة الفاعلة فيه . ومن ثم يتصور الأشياء ويتعامل معها فى حدود مضبوطة وانضباط التصور ينشئ انضباطا فى طبيعة العقل وموازينه وانضباطا فى طبيعة القلب وقيمه ، والتعامل مع سنن الله بعد ذلك والتلقى عنها يزيد هذا الانضباط ويحكمه ويقويه .

نلحظ هذا حين نوازن بين المسلم الذى يعتقد أن لا اله الا الله ، وأن لا معبود الا الله ، وأن لا خالق الا الله ، وأن لا رازق الا الله ، وأن لا نافع أو ضار الا الله ، وأن لا متصرف فى شأنه وفى شأن الكون كله الا الله .. فيتوجه لله وحده بالشعائر التعبدية ويتوجه لله وحده بالطلب والرجاء ، وبين غيره من أصحاب التصورات الفاسدة ، سواء من يتعامل مع الهين متضادين : اله للخير واله للشر ،ومن يتعامل مع اله لا يعنيه من أمره ولا من أمر هذا الكون شئ ، ومن يتعامل مع اله « المادة » الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يثبت على حال الى آخر التصورات الفاسدة التى لا يستقر العقل أو القلب منه على قرار (٧٧) .

فالله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته منفرد فى كل خصائصه - وتقرير عبودية كل من عدا الله وكل ما عداه لألوهيته ، وقيام العلاقات بين الخلق والخالق على أساس العبودية وحدها لا على أساس نسب ولا صهر ولا مشاركة ولا مشابهة فى ذات ولا فى صفة قال تعالى :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (٧٨) .

---

(٧٧) الأستاذ سيد قطب - خصائص التصور الاسلامى ص ١٩٤ .
(٧٨) سورة الاخلاص .

الفصل الثالث

وجود البـارى وتوحيده

أدلة وجود الله سبحانه وتعالى

ان وجود الله سبحانه وتعالى من البداهات التى يدركها الانسان بفطرته ويهتدى اليها بطبيعته ، ولقد جاء هذا الدين الالهى يحمل للناس مع مبادئه دلائل صدقها وصحتها البالغة على سبيل الاجمال أو التفصيل والدليل هو ما يتوصل به الى معرفة صحة الشىء وصدقه ٠

فطالما ترددت فى عقول البشر أسئلة كثيرة تدور حول الاله ، هل لهذا الكون اله ؟

ان كل الدلائل تشير الى وجود قوة عليا تسير هذا الكون وتنظم حركته ، فلقد فتح القرآن الكريم عيون الناس وقلوبهم على آثار صنعة الله فى هذا الكون الفسيح ، فهذه الصنعة البديعة تنبه العقول وتوقظ الصدور وتأخذ بأزمة الضالين لتدلهم على هذه الحقيقة العليا التى تقول لهم « أفى الله شك فاطر السموات والأرض » (١) ٠

ولقد أقام القرآن الكريم أدلة كثيرة على وجوده تعالى من الكون والانسان والنبات والحيوان وغير ذلك ٠

وسوف نشير الى هذه الأدلة التى لفت القرآن الكريم بها الأنظار ووجها الى الصانع الحكيم :

---

(١) سورة ابراهيم الآية رقم ١٠ ٠

حدوث الكون

ان من تحبير آيات القرآن الكريم يلاحظ أن أول ظاهرة تدلنا على الله تعالى هى ظاهرة حدوث الكون ، والكون عبارة عن مادة وابداع أو عن كثافة وسنن وقد صور القرآن الكريم فى أكثر من موضع : على أن مادة الكون بذاتها وصفاتها تقف شاهدا ودليلا ساطعا على أن لها بداية ونهاية فى الزمان رغم عدم شهود الخلق لهذه البداية قال تعالى « ما شهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذى المضلين عضدا » (٢) .

وما على الـذين لا يؤمنون بذلك الا أن يمعنوا النظر فى مشاهد الكون وشتى صوره المادية من سماء ، وأرض ، ونبات وماء ، وانسان ، وحيوان وغير ذلك مما خلق الله ، وسـوف يعلمون أن الكون متناه حجما ، وزمنا ، فقد قرر القرآن الكريم فى أكثر من موضع أن الله سبحانه وتعالى ، خالق وفاطر ، ومبدع السموات والأرض بمادتهما وزمانهما . قال تعـالى :

« الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور »(٣) . وقال تعـالى : « الحمـد فاطر السـموات والأرض » (٤) وقال تعالى : « بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (٥) وقوله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » (٦) .

---

(٢) سورة الكهف الآية رقم ٥١ .
(٣) سورة الأنعام الآية رقم ١ .
(٤) سورة فاطر الآية رقم ١ .
(٥) سورة البقرة الآية رقم ١١٧ .
(٦) سورة الأنبياء الآية رقم ٣٠ .

فى هذه الآية الكريمة ينبهنا المولى عز وجل على قدرته التامة وسلطانه العظيم فى خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات « أو لم ير الذين كفروا » « ويرى » بمعنى يعلم (٧) أى ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المنفرد بالتدبير « أن السموات والأرض كانتا رتقا » أى كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض فى ابتداء الأمر ، ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمطرت السماء وأنبتت الأرض (٨) ، ولهذا قال تعالى وجعلنا من الماء كل شىء حى » يقول القرطبى فيه ثلاث تأويلات :

أحدها : أنه خلق كل شىء من الماء .

الثانى : حفظ حياة كل شىء بالماء .

الثالث : وجعلنا من ماء الصلب كل شىء حى وجعلنا بمعنى خلقنا (٩) أفلا يؤمنون ، أى أفلا يصدقون بما يشاهدون ، وأن ذلك لم يكن بنفسه بل لمكون كونه ، ومدبر أوجده ، ولا يجوز أن يكون ذلك المكون محدثا ، هذا وقد جاء فى الحديث الصحيح عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ : كان الله ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر « كل شىء وخلق السموات والأرض » (١٠) .

---

(٧) الامام القرطبى — الجامع لأحكام القرآن جـ١١ ص ٢٨٢ .

(٨) ابن كثير — التفسير جـ٣ ص ١٧٧ .

(٩) الامام القرطبى جـ١١ ص ٢٨٤ .

(١٠) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب بدأ الخلق — الباب الأول .

فالحديث الشريف قد نص على أنه ليس هناك شىء يشارك الله فى أزليته ، وانما كل شىء هو خلقه وفق علمه وحكمته الأزلية ٠

ونحن اذا نظرنا الى آيات الخلق فى القرآن الكريم نجد أن فعل الخلق الالهى فى القرآن على نوعين :

الأول : ايجاد شىء لم يكن موجودا من شىء آخر على وجه ينفرد به الله تعالى ويعجز الغير عن ايجاد مثله وذلك مثل خلق الانسان من نطفة ، أو خلق آدم من طين قال تعالى « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (١١) ٠

الثانى : ايجاد شىء لم يكن موجودا من لا شىء كما فى خلق السموات والأرض وغير ذلك من مخلوقات الله تعالى ٠

والله سبحانه وتعالى ما خلق ذلك الا بالحق واظهارا لصنعته ودلالة على قدرته وعلمه قال تعالى : « خلق السموات والأرض بالحق » (١٢) ٠

وقوله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » (١٣) ٠

هكذا نلاحظ أن القرآن الكريم قد قرر أمر البداية لهذا الكون وبين أيضا القرآن الكريم التناهى لهذا الكون فى مادته

---

(١١) سورة يس الآية رقم ٧٧ ٠

(١٢) سورة النحل الآية رقم ٣ ٠

(١٣) سورة يونس الآية رقم ٥ ٠

وزمانه ، ولهذا فقد جاءت آيات القرآن الكريم تؤكد أمر النهاية المحتومة لهذا الكون ، قال تعالى « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » ١٤) .

وقوله تعالى : « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » (١٥) .

وفى القرآن الكريم مشاهد كثيرة لعملية الفناء الكونى من ذلك تشقق السماء ، وزلزلة الأرض ، وتطاير الجبال وتكوير الشمس .

قال تعالى : « اذا السماء انشقت » (١٦) ، « اذا زلزلت الأرض زلزالها » (١٧)) .

وقوله تعالى « اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سيرت ، واذا العشار عطلت ، واذا الوحوش حشرت ، واذا البحار سجرت ، واذا النفوس زوجت ، واذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت واذ الصحف نشرت ، واذا السماء كشطت » (١٨) .

ولنتأمل ما جاء فى قوله تعالى «أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » (١٩) .

---

(١٤) سورة القصص الآية رقم ٨٨ .

(١٥) سورة الرحمن الآية رقم ٢٦ ، ٢٧ .

(١٦) أو ل سورة الانشقاق .

(١٧) أول سورة الزلزلة .

(١٨) سورة التكوير من الآية رقم ١ - الى ١٠ .

(١٩) سورة الروم الآية رقم ٨ .

فى هذه الآية الكريمة ينبهنا المولى عز وجل الى التفكير فى مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا اله غيره ولا رب سواه فقال « أو لم يتفكروا فى أنفسهم » يقول ابن كثير : المقصود به النظر والتدبير لخلق الله الأشياء من العالم العلوى والسفلى وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة ، فيعلموا أنها ما خلقتسدى ولا باطلا ، بل بالحق ، والمقصود بالحق هو علم الله وحكمته البالغة فى كل ما خلق ، وأنها مؤجلة الى أجل مسـمى ، والأجل فى اللغـة : هو غاية الوقت ، فاذا كان مسمى فان نهايته تكون معلومة ومحتومة وعلى هذا فالتناهى لهذا الكون حجما وزمانا معلوم بالضرورة فى طريقة تكوينه ٠

وقد أثبتت العلوم التجريبية هذه الحقيقة ٠

يقول وحيد الدين خان « واذا كان لا مناص من افتراض أزلية هذا الخالق ، فلماذا لا نؤمن بأزلية هذا الكون ؟ وهذا الكلام لا معنى له لأننا لم نعثر على صفات للكون ، آية كانت تثبت أنه خالق نفسه ٠

ولقد كان لهذا الاستدلال « حسنه ورواؤه » حتى القرن التاسع عشر ، ولكنا اليوم ، وبعد كشف « القانون الثانى للحرارة الديناميكية » نجد أن هذا الاستدلال ، فقد كل أساس كان يقوم عليه ٠

وهذا القانون الذى نسميه « قانون الطاقة المتاحة » أو « ضابط التغير » يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزليا ، فهو يصف لنـا أن الحرارة تنتقل دائمـا من « وجود حرارى » الى « عـدم حرارى » أو وجود حرارى عدم » الى « وجود حرارى أكثر » فان ضابط التغير هو التناسب بين « الطاقة المتاحة » و « الطاقة غير المتاحة » ٠

وبناء على هذا الكشف العلمى الهام فان « عدم كفاءة عمل الكون » يزداد يوما بعد يوم ، ولابد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات ، وحينذاك لا تبقى أية طاقة مفيدة « للحياة والعمل » ٠

وسيترتب على ذلك أن تنتهى العمليات الكيماوية والطبيعية ، وتنتهى ـ تلقائيا ـ مع هذه النتيجة « الحياة » ٠ وانطلاقا من هذه الحقيقة القائلة ، بأن العمليات الكيماوية ، والطبيعية جارية وأن الحياة قائمة ، يثبت لدينا قطعا أن الكون ليس بأزلى ، اذ لو كان الكون أزليا لكان من اللازم أن يفقد طاقته منذ زمن بعيد ، بناء على هذا القانون ولما بقى فى الكون بصيص من الحياة ٠

يذكر هذا التحقيق العلمى الحديث عالم أمريكى فى علم الحيوان ، هو الاستاذ « ادوارد لوثركسبل » فيقول :

وهكذا أثبتت البحوث العلمية ـ دون قصد ـ أن لهذا الكون « بداية » فأثبتت تلقائيا وجود الاله ، لأن كل شىء ذى بداية لا يمكن أن يبتدىء بذاته ، ولابد أن يحتاج الى المحرك الأول الاله ٠

وقد قال نفس الكلام السير جيمس : تؤمن العلوم الحديثة بأن « عملية تغير الحرارة » سوف تستمر حتى تنتهى طاقاتها كلية ، ولم تصل هذه العملية حتى الآن الى آخر درجاتها ، لأنه لو حدث شىء مثل هذا لما كنا موجودين على ظهر الأرض ، حتى نفكر فيها ٠

ان هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن ، ومن ثم لابد لها من بداية ، ولابد أنها قد حدثت عملية فى الكون يمكن أن

نسميها « خلقا فى وقت ما » حيث لا يمكن أن يكون هذا الكون أزليا .

وهناك شواهد طبيعية كثيرة تثبت أن الكون لم يكن موجودا منذ الأذل وأن له عمرا محددا (٢٠) .

وقد أخطأ الفلاسفة وغيرهم - القائلون بالقدم الكونى لأن هؤلاء خلطوا بين الفعل الالهى ومتعلقاته ، وفاتهم أن الفعل الالهى يوصف بالقدم ولا يختص بزمن ، أما متعلقات الفعل الالهى فهو الذى يختص بزمن ويتصف بالحدوث ولهذا يقول الامام الغزالى :

« بم تنكرون على من يقول : ان العالم حدث بارادة قديمة ، اقتضت وجوده فى الوقت الذى وجد فيه ، وأن يستمر العدم الى الغاية التى استمر اليها ، وأن يبتدىء الوجود من حيث ابتدأ ، وأن الوجود قبله لم يكن مرادا فلم يحدث لذلك ، وأنه فى وقته الذى حدث فيه مراد بالارادة القديمة فحدث لذلك » (٢١) .

وقد استشهد بعض فلاسفة المسلمين على قولهم بالقدم ببعض من الآيات القرآنية ، التبس فهمها عليهم من هذه الآيات قوله تعالى :

---

(٢٠) الأستاذ وحيد الدين خان - الاسلام يتحدى ص ٤٩ ، ٥٠ - ترجمه ظفر الاسلام خان الطبعة الرابعة - المختار الاسلامى ١٩٧٣ م .

(٢١) الامام الغزالى تهافت الفلاسفة ص ٩٦ تحقيق الدكتور سليمان دنيا - دار المعارف الطبعة الخامسة .

« وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء » (٢٢) ٠

وقوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهى دخان » (٢٣)
وقوله تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » (٢٤)

فقد رأى هؤلاء أن الآية الأولى : يقتضى ظاهرها بوجود سابق على هذا الوجود الدنيوى وهو العرش والماء ٠

ورأوا فى الآية الثانية : أنها تقضى فى ظاهرها كذلك بوجود شىء قبل خلق السموات والأرض وهو الدخان ٠

ورأو فى الآية الثالثة : أنها تقضى فى ظاهرها بوجود ثان بعد هذا الوجود الدنيوى ٠

وقد فات هؤلاء أن يمعنوا النظر فى الآيات ، ويفهمونها بناء على روح القرآن الكريم ومنهجه العام نحو قضية الخلق والايجاد ، أو الافناء والاعدام ٠

فالآية الأولى واذ كانت تشير الى سبق العرش والماء على خلق الأرض والسموا ت، لكنها لم تذكر أنهما قديمان ، أو أنهما قد شاركا الله تعالى فى وجوده فهو تقدم فى السبق ، وليس دلالة على القدم الحقيقى ٠

والآية الثانية : فهى وان كانت تشير الى وجود شىء سابق على خلق السموات والأرض ـ وهو الدخان ، لكنها

---

(٢٢) سور ةهود الآية رقم ٧ ٠
(٢٣) سورة فصلت الآية رقم ١١ ٠
(٢٤) سورة ابراهيم الآية رقم ٤٨ ٠

لا تدل على قدم حقيقى لهــذا الشىء ، اذ أن القبل والبعد للموجودات المخلوقة ، لا يعنى أنها قديمة قدما حقيقيا ، فهلاك فراعنة مصر مثلا مع بقاء مصر لا يدل على قدم مصر (٢٥) ٠

والآية الثالثة : وان كانت تشير الى تبديل خلق السموات والأرض ، وايجاد خلق بعدهما على نحو جديد ، فهى لا تدل على أن هذا الوجود الجديد لا نهاية له أو أنه أبدى ٠

---

(٢٥) الدكتور حلمى عبد المنعم صابر ـ المنظور الزمانى فى القرآن الكريم ص ١٢٧ بحث بحولية كلية الدعوة الاسلامية ـ العدد الثانى سنة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ٠

١ ـ النظام الكونى

ان التفكير فى نظام الكون وما فيه من وضع كل شىء فى مكانه بدقة وابداع واعطاء كل شىء ما يحتاجه دون زيادة أو نقصان ـ لا يمكن أن يفسر تفسيرا منطقيا الا بالايمان بوجود خالق مدبر ـ خلق فيه وفى جميع موجوداته هذه الصنعة البديعة وهذا النظام الذى نشاهده جميعا .

فاذا لم يجد الانسان فطرته مستقيمة عليه أن ينظر الى هذه الدقة فى الكون من حوله ، عليه أن يرفع بصره الى السماء متأملا وأن يعود به الى الأرض فاحصا وأن يستجيب لنداء الله وهو يقول له « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » (٢٦) وقوله تعالى « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (٢٧) .

فهذه المخلوقات الأرضية والعلوية التى خلقها الخالق دليلا على وجوده تعالى ـ فهى تشمل الأرض بما تحتوى من انسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، وما فيها من أجرام . وكواكب ، ـ لا يزال العلم رغم تقدمه الهائل عاجزا عن ادراك أسرارها فلينظر الانسان كيف اتخذ القرآن الكريم من كل ذلك دليلا على وجوده تعالى .

---

(٢٦) سورة الغاشية من الآية رقم ١٧ ـ ٢٠ .

(٢٧) سورة ق من الآية رقم ٦ ـ ٨ .

والناظر فى الكون وآفاقه ، والمادة وخصائصها ، يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطه شرحت الكثير منهـا علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب ، وأفادت منها الناس أجمل الفوائد ،

وما وصل اليه علم الانسان من أسرار العالم ، حاسم ، فى أبعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق .

لان النظام الدقيق المختفى فى طوايا الذرة مطرد فيما بين أفلاك السماء الرحبة من أبعاد (٢٨) ، فقـد قال تبـارك وتعـالى « تبـارك الذى جعل فى السـماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » (٢٩) وقوله تعالى « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٣٠) .

وربما كانت الحكمة الكامنة وراء هذا الأسلوب هى أن القرآن الكريم بصدد علاج أفحش العقائد لدى المشركين وهى عقيدة الشرك – ولا سبيل الى استئصال هذه العقيدة واقامة صرح التوحيد الا بالنظر الى ما فى الكون من مشـاهد هى خلق الله وفتح عيونهم على نعم الله وآلائه المحيطة بهم فى الليل والنهار ليصلوا من ذلك الى الايمان بالله وحده – ولا يستحق العبادة حقا الا من كان له أثر الخلق وحده كما قال

---

(٢٨) الشيخ محمد الغزالى عقيدة المسلم ص ١٥ .

(٢٩) سورة الفرقان الآية رقم ٦١ ، ٦٢ .

(٣٠) سور ةالجاثية الآية رقم ١٢ ، ١٣ .

تعال « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم » (١٣) .

ومن هنا كان عرض المخلوقات على أنظار الجاحدين بعد اقرارهم أنه ليس لها خالق الا الله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى تؤفكون » (٣٢) .

وقد كان هذا الزاما لهم بطرح الشك وتحقيق التوحيد لديهم - وهذا هدف أصيل جاد القرآن الكريم فى أساليب عرض نعم الله عليهم من أجله فتارة يحدثهم عن خلق السماء والأرض ، وتارة عن أنواع الحيوانات والزروع والثمار . وثالثة عن أنفسهم وما فيها من أسرار وعجائب وأخرى عن الليل والنهار والشمس والقمر وعن ما يكون فيهما من أوقات وأحوال وغير ذلك فقد قال تعالى « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » (٣٣) .

أنظر الى هذا النظام الدقيق : فمن الذى هيمن على نظامها وأشرف على مدارها ؟ بل من الذى أمسك بأجرامها الهائلة ، ودفعها تجرى بهذه القوة الفائقة ؟

انها لا تركز فى علومها الا على دعائم القدرة الالهية ولا تطير الا بأجنحة اعارها لها القدر الأعلى : ان الله

---

(٣١) سورة النحل الآية رقم ١٧ ، ١٨ .

(٣٢) سورة العنكبوت الآية رقم ٦١ .

(٣٣) سورة يس الآية ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .

يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » (٣٤) .

وهكذا فان القرآن الكريم به الكثير من الآيات الدامغة والأدلة الساطعة على وجود الله سبحانه وتعالى ، وآيات القرآن الكريم فى هذا المقام كثيرة شملت صورة الجمال الذى يشمل الكون كله منها قوله تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (٣٥) وقوله تعالى « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (٣٦) .

وقوله تعالى « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » (٣٧) .

---

(٣٤) سورة فاطر الآية رقم ٤١ .

(٣٥) سورة البقرة الآية رقم ١٦٤ .

(٣٦) سورة آل عمران الآية رقم ١٩٠ ، ١٩١ .

(٣٧) سورة المؤمنون الآية رقم ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ .

فالقرآن الكريم كله حديث الله عن ذاته وعن خلقه وعن فعله ، وعن ارادته ، وعلمه بما فعل واختياره ، لكل ما فعل - كل هذا يسوقه المولى جل شأنه على وجه كلى أو جزئى ، أى يبين الأحكام كلية كما بينها تفصيلا ويبين انه انما يفعل ذلك باختياره وارادته ومشيئته « يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير » (٣٨) وأنه خلق السموات والأرض بالحق « أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق » (٣٩) وأنه سبحانه بدأ الخلق كليا وجزئيا من عدم وأنشأ الكل والجزء انشاء (٤٠) « الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون » (٤١) .

وقوله تعالى « أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ، قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » (٤٢) .

وأن غيره لا يستطيع أن يخلق ولا أن يختار كما خلق واختار « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » (٤٣)

وقوله تعالى « .. هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون (٤٤) .

---

(٣٨) سورة النور الآية رقم ٤٥ .

(٣٩) سورة الروم الآية رقم ٨ .

(٤٠) الدكتور عبد الله الشاذلى - الألوهية فى الفكر الاسلامى ص ٨٣ .

(٤١) سورة الروم الآية رقم ١١ .

(٤٢) سورة العنكبوت الآية رقم ١٩ ، ٢٠ .

(٤٣) سورة لقمان الآية رقم ١١ .

(٤٤) سورة فاطر الآية رقم ٣ .

والآيات القرآنية فى هذا المقام كثيرة جدا ، وليس من اليسير حصر الآيات القرآنية التى تدل على أن الله وحده هو الذى خلق العالم ، سماءه وأرضه ، والذى خلق الانسان وسائر ما على الأرض وما فى بطنها من حيوان ونبات وجماد وأنه خلق هذا وذاك كله من عدم ، وجعله على نظام بديع محكم ليكون فيه مجالا للعقل والفكر ، يصل منه الى أنه صنع اله واحد لا رب غيره ولتكون الحياة الانسانية ممهدة وميسرة للانسان » (٤٥) .

---

(٤٥) الدكتور محمد يوسف موسى - القرآن والفلسفة ص ١٦ .

هل الكون وجد بالمصادفة ؟

ان كل ما نلاحظه فى الكون من دقة فى الصنع واتقان فى الحركة لا يدل الا على أن الفعل الالهى يتم دائما بعلم وقدرة وارادة مخصصة ومشيئة واختيار من ذاته وبلا الزام عليه فى شىء ما فهو الذى يعجز ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ٠

قال تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار » (٤٦) ٠

وقوله تعـــــالى : « ولقـــد اخترنـــاهم على علـم على العالمين » (٤٧) ٠

ومن الغـريب أن يرى المـــاديون أن هــذا يرجع الى المصادفة ٠

ان القول بالصدفة فى خلق الكون لا يتصوره العقل ولا يقره العلم ولا يقوله انسان الا اذا فقد أخص خصائصه من الادراك والتمييز (٤٨) ٠

ذلك أن الحقيقة دائما هى الحقيقـــة وهى التى تعلن عن نفسها ، والحقيقة أن العقل الانسانى لا يملك أســاسا عقليا لانكار الاله لأن نظام الكون لا يتصور أنه قام بنفسه كآلة

---

(٤٦) سورة القصص الآية رقم ٦٨ ٠

(٤٧) سورة الدخان الآية رقم ٣٢ ٠

(٤٨) الشيخ نديم الجسر – الجواب الالهى ص ١١٠ ٠

التصوير عند علماء الطبيعة ، وعالم الذرة - وهو مجموعة الألكترونات المكونة من الجزىء السلبى يدور حول الايجابى . وكلها سابحة فى الشعاع حول مركزها بنفس النظام الذى تتبعه الأرض فى مدارها حول الشمس ، كذلك أسلاك التليفون .. كذلك النظام العصبى وهو أشد تعقيدا حيث يوجه القلب فى تدفقه وحركته ، ومخ الانسان الذى فيه ألف مليون خلية عصبية وتخرج من هذه الخلايا أسلاك تسمى « الأنسجة العصبية » .

وفى هذه الأنسجة يجرى نظام استقبال وارسال للأخبار ، تتذوق وتسمع وترى وتباشر سائر أعمالنا تلتقط الضوء وتحس بالبارد والحار (٤٩) .

هل هذا وجد بالصدفة بلا موجد ؟

كلا : فهذا كله نظام عجيب فى الطبيعة ، والطبيعة نفسها ترد على كل ملحد مادى فى استراليا مثلا زرعوا الصبار ليحميها - الا أنه سرعان ما تكاثر هذا النوع وعطل الأرض الزراعية ، ولم يستطيعوا القضاء عليه الا بعد أن اكتشفوا دودة لا تعيش الا على الصبار ، وسرعان ما تغلبت هذه الدودة على جيش الصبار وانتهت مصائب استراليا .

أنظر أيها المادى : هل حدث هذا دون عناية ؟ يجيب على ذلك « ايدوين كونكلين » ان القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقى شبيه فى مغزاه بأن نتوقع اعداد معجم ضخم ، نتيجة انفجار صدفى يقع فى مطبعة » (٥٠) .

---

(٤٩) الأستاذ وحيد الدين خان الاسلام يتحدى ص ٥٤ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٦٥ .

فما بالك بعالم فيه من الدقة والعناية والاتقان والابداع ؟ فهل الصدفة هى التى خلقت الذكر والأنثى ؟ وهل الصدفة هى التى جعلت الليل والنهار خلفة ؟ وهل الصدفة هى التى خلقت الأرض وما فيها من انسان وحيوان ونبات وجماد ؟ وهل الصدفة هى التى علقت الأرض فى الهواء ؟ وهل الصدفة هى التى سيرت الكواكب والنجوم مع ضخامتها وكثرتها بهذه السرعة المذهلة دون تصادم ؟ وهل الصدفة هى التى أوجدت العناصر التى يتألف منها الكون ، وهى التى تنسقها تنسيقا دقيقا صالحا للاستمرار والدوام الى المدى الذى أراده الله . ؟ (٥١)

يقول الحق تبارك وتعالى « انا كل شيء خلقناه بقدر »(٥٢) وقوله تعالى « والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » (٥٣) وقوله تعالى « وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » (٥٤)

ان مخلوقات الله فى الأرض والسماء أكثر من أن تحصى - والصدفة فى هذا الكون العجيب معدومة .

ولنستمع الى أقوال الغربيين أنفسهم :

هذا هو « اللورد كلفن » الذى سخر من فكرة المصادفة ومن القائلين بها ، واستدل بهذا النظام الذى يشمل الكون على وجود الخالق المبدع فقال « يتعذر على الانسان أن يتصور

---

(٥١) الدكتور أحمد ابو السعادات - دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ٢٩٤ .

(٥٢) سورة القمر الآية رقم ٤٩ .

(٥٣) سورة الحجر الآية رقم ١٩ .

(٥٤) سورة يوسف الآية رقم ١٠٥ .

بداية الحياة أو استمرارها دون أن تكون هناك قوة خالقة مسيطرة ، وانى لأعتقد من صميم نفسى أن بعض العلماء فى أبحاثهم الفلسفية عن الحيوان قد أغضوا اغضــاء عظيما فى نظام هذا الكون من حجة دامغة ، فان لدينا فيما حولنا براهين قوية قاطعة على وجود نظام صنع بتدبير وحكمه وهى براهين تدلنا بواسطة الطبيعـــة على ما فيهــا من اثر ارادة حرة ، وتعلمنا أن جميع الأشياء الحية تعتمد على خالق واحد أحدى أبدى (٥٥) .

ويقول « جورج أدلف لوهتز » أستاذ الكيميــاء فى كلية أندرسون : ان الانسان يشاهد التنظيم الــدقيق حيث ولى وجهة فى نواحى هذا العلم وان القوانين التى تتحــكم فى هذا الكوكب هى نفسها التى تخضع لها النجوم والكواكب الأخرى فى أفلاكها الثابتة ، فحيث اتجهنا لم نجد الا النظام والتوافق والابداع حتى أنه لم يعد هناك مكان للشك فى أن الها قادرا مبدعا وراء هذا الكون (٥٦) .

وفى الجزء الأول من دائرة المعارف ــ لفريد وجدى أقوال لكثير من الفلاسفة منهم الفيلسوف ــ باسكال الذى يقول يقول « كل شىء غير الله لا يشفى لنا غليلا » .

وقال الاستاذ « فون باير الالمانى » فى كتــابه « دحض مذهب دارون » واذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهورى بأنه لا يوجد قصد فى الطبيعة وأن الــكون لا تقوده الا ضرورات عمياء فأنا أعتقد أن من من وجبانى أن أعلن عقيدتى فى ذلك

---

(٥٥) الشيخ نديم الجسر ــ الجواب الالهى ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٥٦) القرآن يتحدى ص ٣٩٧ .

وهى : أنى على العكس ـ أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية (٥٧) .

هذا بالاضافة الى الأقوال الكثيرة فى هذا ، وعلى ذلك نستطيع أن نقول : أن الصـــدفة فى الـكون معدومة - ولا تناقض بين العلم الصحيح والفطرة المستقيمة التى هى من خلق الله تعالى .

قال تعالى : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٥٨) .

(٥٧) الشيخ نديم الجسر الجواب الالهى ص ١٠٩ .
(٥٨) سورة الاسراء الآية رقم ٨٥ .

من خلال وجود الانسان

ان من أهم الدلائل على وجود الله تعالى ووحدانيته وبطلان الشرك وأهله النظر الى آيات الله فى الانسان نفسه كما جاء فى قوله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (٥٩) .

فعلى الانسان أن ينظر الى خلقه الذى بدأه الله من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، حتى بعث فيه الحياة فاذا به كائن آخر يعقل ويسمع ، وفى كثير من آيات القرآن الكريم التنبيه الى هذه النقلة من عتمة الطين المظلم الى نور الحياة - كما نبه القرآن الكريم أيضا الى مراحل الخلق من نطفة فعلقة فمضغة الى أن خلقه انسانا سويا « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » (٦٠) .

وقوله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (٦١) .

ودليل الخلق جاء فى أول آيات أنزلت على رسول الله ﷺ من سورة العلق كما جاء فى قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق » (٦٢) .

---

(٥٩) سورة الذاريات الآية رقم ٢١ .
(٦٠) سورة الدهر الآية رقم ١ ، ٢ .
(٦١) سورة المؤمنون الآية رقم ١٢ . ١٣ . ١٤ .
(٦٢) سورة العلق الآية رقم ١ . ٢ .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة من سور القرآن الكريم أطوار خلق الانسان لنستدل بها على وجود الخالق سبحانه وتعالى منها قوله تعالى منها قوله تعالى « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون » (٦٣) .

ان هذا يوضح لنا اعجاز الخلق الالهى الذى يظهر فى تطورات الجنين منذ بدايته فى المرحلة الأولى ، ثم تتعاقب الاطوار المختلفة والجنين فى الرحم الذى تحميه عظام الأم ، ويحاط الجنين فيه بالمشيمة ، وبمواد سائلة تحميه من الصدمات التى قد تتعرض الأم لها بحيث يكون فى قرار مكين وفى ظلمات ثلاث كما جاء فى قوله تعالى « يخلقكم من بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » (٦٤) قال بعض المفسرين : يعنى ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة التى كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن (٦٥) .

ان قضية الخلق هذه أقوى دليل على وجود الله سبحانه وتعالى . والخلق أمر تفرد به الحق تبارك وتعالى وهو يقرر ذلك فى كتابه الكريم حيث يقول عز وجل « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون » (٦٤) . وقوله « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (٦٧) . وقوله تعالى « هذا خلق الله

---

(٦٣) سورة غافر الآية رقم ٦٧ .

(٦٤) سورة الزمر الآية رقم ٦ .

(٦٥) الامام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٤٦ .

(٦٦) سورة الاعراف الآية رقم ١٩١ .

(٦٧) سورة النحل الآية رقم ١٧ .

فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » (٦٨) وقوله تعالى « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون » (٦٩) .

فى هذه الآية استفهام انكارى : يقول الله تعالى للمشركين انهم خلقوا بعد ان لم يكونوا مخلوقين ، فهل خلقوا من غير خالق ؟ أم هل خلقوا أنفسهم ؟ والجواب على هذين السؤالين قطعا بالنفى ، أى لا هذا ولا هذا ، فمن المستحيل أن يخلقوا من غير خالق ، ومن المستحيل ان ، يكونوا قد خلقوا أنفسهم لأن من لا يقدر أن يزيد فى حياته بعد وجوده وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة ، كيف يكون خالقا لنفسه واذا بطل القسمان تعين أن لهم خالقا خلقهم وهو الاله الحق (٧٠) .

وعن جمال الخلق والتسوية والنفخ فى الروح يقول جل شأنه « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (٧١) .

وقوله تعالى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » (٧٢) .

وعن تزويده بالعلم والمعرفة يقول الحق تبارك وتعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٧٣) .

---

(٦٨) سورة لقمان الآية رقم ١١ .
(٦٩) سورة الطور الآية رقم ٣٥ .
(٧٠) ابن قيم الجوزية - الصواعق المرسلة جـ١ ص ٤٨ مكتبة المتنبى
(٧١) سور الحجر الآية رقم ٢٩ .
(٧٢) سورة الانفطار الآية رقم ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٧٣) سورة النحل الآية رقم ٧٨ .

وقوله تعالى « الذى أحسن كل شىء وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (٧٤) .

لهذا وغيره فقد فضل الانسان على جميع المخلوقات فقال تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (٧٥) .

---

(٧٤) سورة السجدة الآية رقم ٧ ، ٨ ، ٩ .

(٧٥) سورة الاسراء الآية رقم ٧ .

من خلال الحيوان

ان الله خالق الكون والانسان ، وهو الخالق أيضا للسنن التى يخضع لها الانسان والكون ، ولا يملك الانسان مهما أوتى من علم وقوة وحيلة وذكاء ن يخرج على سنن الله .

ومن هذه السنن التى خلقها لنا الحق تبارك وتعالى الحيوانات لنتفكر فى أسلوب توالدها وتكاثرها وطعامها وأسباب عيشها وكفالة رزقها فكل شىء فى هذا الكون خاضع لله وسلطانه قال تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (٧٦) .

يقول الزمخشرى فى تفسير الكشاف « فأن قلت ما الغرض من ذكر ذلك ؟ قلت الدلالة على عظم قدرة الله وسعة سلطانه وتدبير تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس ، المتكاثرة الاصناف ، وهو حافظ لما لها وما عليها ، مهيمن على أحوالها ، لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان » (٧٧) .

فالقرآن الكريم يلفت نظر الانسان الى سلطان الله فى كل شىء ومنها الحيوان ، فمنه ما يتدرج كدودة الثلج ، ومنه ما يزحف كدودة الصدف ، ومنه من ينساب كالحية ، ومنه ما يدب كالعقارب ، ومنه ما يعدو كالفأر ، ومنه ما يطير كالذباب وغيره ، ومنه ما يدب ويمشى ، ومنه ما له رجلان

---

(٧٦) سورة الأنعام الآية رقم ٣٨ .

(٧٧) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢١ .

ومنه ما له أربعة أرجل ، ومنه ما له ست أرجل ، ومنه ما له أكثر ، وما يطير من الحشرات ما له جناحان ، وما له أربعة أجنحة ، ومنه ما له ست أرجل وأربعة أجنحة ، ومنــه ما له مشفر ومخاليب وقرون ، وخرطوم (٧٨) والى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير » (٧٩) ٠

أيضا من العجائب التى خلقها لنا الحق تبارك وتعالى لنستمد منها الدلالة على وجودة ووحدانيته جل شأنه الكثير من الحشرات منها النحل قال تعالى « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٨٠) ٠

على الانسان أن يتفكر فى عجائب خلقه وبدائع صنعه من ذلك النحل الذى اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ، وفى الخلايا التى يصنعها الناس لها ، ثم ، كيف جمعت من الأزهار ما لذ وطاب ؟ فأحالته عسلا ، والعســل ألذ ما يأكل النــاس وأشفى ما به يستشفون ٠

ومن الحشرات العنكبوت ـ ذات النسج الجميل والغزل الرقيق ، ولقد ذكر الله تعــالى العنكبوت فقــال « وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » (٨١) ٠

---

(٧٨) الشيخ طنطاوى جوهر ـ القرآن والعلوم العصرية ص ٥٠ ٠

(٧٩) سورة النور الآية رقم ٤٥ ٠

(٨٠) سورة النحل الآية رقم ٦٨ ، ٦٩ ٠

(٨١) سورة العنكبوت الآية رقم ٤١ ٠

ان الحكمة الالهية هى التى أبـدعت المخلوقـات ونظمت الكائنات فتبارك الله حسن الخالقين ٠ لهـذا فقد سـمى الله عز وجل سور القرآن الكريم باسمها ، فسمى النمل ، والنحل ، والعنكبوت ، ليكون هذا دالا على حكمة الخـالق واتقـانه وعجيب صنعه ٠

من خلال النبات

لقد لفت القرآن الكريم العقول والأنظار الى دلائل ابداعه ونظامه المتقن فى الكون ، والانسان ، والحيوان ، وهنا أيضا يلفت القرآن الكريم الى دلائل وحدانيته تعالى فى النبات .

فاذا نظرنا الى عالم النبات وما اشتمل عليه من غرائب وعجائب وأسرار وحكم تدهش العقول وتأخذ بالألباب .

فالقرآن الكريم قد لفت الأنظار الى ايجاد النبات ، واتخذ من ذلك دليلا على وجوده تعالى ، فانظر أيها العاقل ، كيف يضرب النبات فى باطن الأرض بجذوره،وكيف يمتص الغذاء ؟ وكيف يرسل أغصانه فى الجو يتلقى النور والهواء ، وتأمل ما فيه من ثمار وأزهار مختلفة الأشكال ، والألوان ، والأقدار والاحجام ، والروائح ، والطعوم والمضار ، فمنه ما أصله نافع وثمره ضار ، أو يكون النفع والضرر فى زهره ، أو ورقه ، فنذكر كل هذه الانواع والاشكال تنبت فى تراب واحد فقال تعالى : « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلو ن» (٨٢) وقوله تعالى : « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » (٨٣) .

---

(٨٢) سورة الرعد الآية رقم ٤ .

(٨٣) سورة الأنعام الآية رقم ٩٩ .

فالقرآن الكريم يدعو الى مشاهدة هذا الأثر من آثار الله الناطقة بوجوده وبوحدانيته تعالى أنظر الى الماء الذى حمل الرياح اللواقح الى الأرض الجرز فتأتى بأنضر النبات قال تعالى «وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء »(٨٤)

وقوله تعالى : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٨٥) ٠

فتأمل كيف يتحول الماء بقدرة الله فى باطن كل شجرة وكل نبات الأرض الى ثمرة تخالف الأخرى طعما ولونا وحجما ، من الذى وزع هذه الطعوم وقسمها ، ومن الذى غاير بين أشكالها وألوانها وأحجامها ٠

يقول تعالى : « أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (٨٦) ٠

ويصلنا القرآن الكريم بقدرته العظيمة فى خلق النبات والشجر وما هيأ للانسان من منافع الرزق على هذه الأرض بقوله تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابه وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » (٨٧) ٠

---

(٨٤) سورة الحجر الآية رقم ٢٢ ٠
(٨٥) سورة النحل الآية رقم ١٠ ، ١١ ٠
(٨٦) سورة الواقعة الآية رقم ٦٣ ، ٦٤ ٠
(٨٧) سورة الأنعام الآية ١٤١ ٠

وتأمل فى قدرة القوى القاهر ، فلكل نبات ذكور واناث قال تعالى : « وأنبتنا فيهـا من كل زوج بهيج » (٨٨) أى من جميع الزروع والنبات والأنواع .

فقال تعـالى : « ومن كل شىء خلقنـا زوجين لعلكم تذكرون » (٨٩) .

وقوله تعالى : « وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » (٩٠).

هذا وقد سئل أحد الشعراء عن وجود الله فأنشد قائلا :

تأمل فى نبات الأرض وانظر   الى آثـار ما صـنع المليك
عيون من لجين (٩١) شاخصات   وأزهار كما الذهب السبيك
على قصب الزبرجد شاهدات   بـأن الله ليس لـه شـريك

وبعد فهذه نماذج اقتطفناها للدلالة على وجـود البارى جل شأنه ومن تأمل كل هذا وغيره استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمتـه بخلقـه ، ولطفه بهم واحسانه بهم وبره بهم ، لا اله غيره ولا رب سواه .

ومن تـأمل الموجودات العلوية بمـا فيهـا والأرض وما عليها ، علم قدرة خالقها ، وحكمته وعلمه ، واتقانه وعظيم سلطانه ، يقول الشيخ سيد سابق فى العقائد الاسلامية تحت عنوان الطبيعة تؤكد وجود الخالق .

---

(٨٨) سورة ق الآية رقم ٧ .
(٨٩) سورة الذاريات الآية رقم ٤٩ .
(٩٠) سورة الحجر الآية رقم ١٩ .
(٩١) الجين - أى من فضة .

ان وجود الله حقيقة لا شك فى أمرها ولا مجال لانكارها فهو سبحانة ظاهر،وكل ما فى الكون شاهد علىهذا الوجود الالهى ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقا ومدبرا ، فالعالم العلوى وما فيه من شموس ، وأقمار ، ونجوم ، وكواكب ، والعالم الأرضى، وما فيه من انسان ، وحيوان، ونبات، وجماد، فالترابط الوثيق ، والتوازن الدقيق الذى يؤلف بين هذه العوالم ، ويحكم مرها ما هو الا آية وجود الله ومظهر تفرده بالخلق .

ولهذا فقد جاد فيلسوف قرطبة ـ ابن رشد حين قال : أن الآيات المنبهة على الأدلة المفضية الى وجود الصانع سبحانه فى الكتاب العزيز اذ تصفحت وجدت على ثلاثة

الاول : اما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية .

الثانى : واما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع .

الثالث : واما آيت تجمع الأمرين من الدلالة جميعا .

أما الآيات التى تتضمن دلالة العناية :

فى القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على العناية بالانسان من هذه الآيات قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ... الى قوله تعالى : وجنات الفافا » (٩٢) .

وقوله تعالى : تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجها وقمرا منيرا » (٩٣) .

---

(٩٢) سورة النبأ من الآية رقم ٦ ـ الى الآية رقم ١٦ .
(٩٣) سورة الفرقان الآية رقم ٦١ .

وقوله تعالى : « فلينظر الانسان الى طعامه » (٩٤) .

فالتأمل فى هذه الآيات وغيرها يجد عناية الله بالانسان. وهذه العناية هى الدليل على وجود الصانع الحكيم ، ذلك أن جميع الموجودات موافقة لوجود الانسان ، وهذه الموافقة ، من قبل فاعل قاصد لذلك مريد ، اذ ليس يمكن ان تكون هذه الموافقة بالاتفاق ، فكونها موافقة لوجود الانسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار ، والشمس والقمر لوجود الانسان ، وغير ذلك كثير من منافع الموجودات - ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع الموجودات (٩٥) .

آيات الاختراع :

ان من يتأمل آيات القرآن الكريم فى هذا المقام يجدها كثيرة ، من هذه الآيات قوله تعالى « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق » (٩٦) .

وقوله تعالى « أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت » (٩٧)

وقوله تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » (٩٨) .

---

(٩٤) سورة عبس الآية رقم ٢٤ .

(٩٥) ابن رشد - مناهج الأدلة فى عقائد الله ص ١٥١ تحقيق الدكتور محمود قاسم - الطبعة الثانية مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٤ م .

(٩٦) سورة الطارق الآية رقم ٥ ، ٦ .

(٩٧) سورة الغاشية الآية رقم ١٧ .

(٩٨) سورة الحج الآية رقم ٧٣ .

وقوله تعالى عن قول ابراهيم عليه السلام « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » ٩٩) ٠

ان الناظر الى هذه الآيات يرى أنها تدل على وجود مخترع ، فالكون كله بما فيه وما عليه له موجد أوجده وهو الله ، وأن الله هو الذى أنشأ كل هذه الموجودات من العدم - فهذه الموجودات مخترعة ، وكل مخترع لابد له من مخترع فهذه الموجودات مخترعة ، ولذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقى فى جميع الموجودات ، لأن من لم يعرف حقيقة الشىء لم يعرف حقيقة الاختراع (١٠٠) وإلى هذا أشار بقوله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » (١٠١) ٠

الآيات التى تجمع بين الدلالتين :

من هذه الآيات قول الله عز وجل « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون،الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون»(١٠٢)

فقوله جل شأنه « الذى خلقكم والذين من قبلكم » تنبيه على دلالة الاختراع وقوله « الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء » تنبيه على دلالة العناية ٠

---

(٩٩) سورة الأنعام الآية رقم ٧٩ ٠

(١٠٠) ابن رشد مناهج الأدلة ص ١٥١ ٠

(١٠١) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٥ ٠

(١٠٢) سورة البقرة الآية رقم ٢١ ، ٢٢ ٠

ومثل قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون »(١٠٣) وقوله جل شأنه «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (١٠٤) ٠

يقول ابن رشد فهذه الطريقة هى الصراط المستقيم التى دعا الله الناس منها الى معرفة وجوده ، ونبههم على ذلك بما جعل فى فطرهم من ادراك هذا المعنى ، والى هذه الفطرة الأولى المغروزة فى طباع البشر الاشارة بقوله تعالى : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهرهم ذريتهم ٠ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » (١٠٥) ٠

ولذا قد يجب على من كان وكده طاعة الله فى الايمان به وامتثال ما جاءت به رسله أن يسلك هذه الطريقة ، حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بالربوبية ، مع شهادته لنفسه وشهادة ملائكته له ، كما قال تبارك وتعالى « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » (١٠٦) ٠

ومن دلالة الموجودات من هاتين الجهتين عليه هو التسبيح المشار اليه فى قوله تعالى : « وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » (١٠٧) ٠

---

(١٠٣) سورة يس الآية رقم ٣٣ ٠

(١٠٤) سورة آل عمران الآية رقم ١٩١ ٠

(١٠٥) سورة الأعراف الآية رقم ١٧٢ ٠

(١٠٦) سورة آل عمران الآية رقم ١٨ ٠

(١٠٧) سورة الاسراء الآية رقم ٤٤ ٠

وعلى هذا فالكائنات من حيث هى موجودة فيها دليل الاختراع ومن حيث كونها خاضعة لله تعالى منقادة لما أراده منها ، مثل دوران الأفلاك ، وسيلان الماء وهطول الأمطار وغير ذلك مما فيه دلالة الغاية والعناية .

فقد بان من هذه الأدلة أن الدلالة على وجود الصانع منحصرة فى دلالة العناية ودلالة الاختراع (١٠٨) .

وبعد هذا العرض القرآنى للكون بكل مافيه وما عليه من انسان وغيره من مخلوقات الله تعالى نستطيع أن نأخذ ما يلى :

١ ـ أن هذا العالم بكل ما يحويه من سماء وأرض وجماد ، وحيوان وكل ما فيه محدث ، ومحدثه هو الله سبحانه وتعالى (١٠٩) .

٢ ـ أن هذا العالم ، قائم ، ومتحرك ، ومتطور حسب سنن وقوانين ثابتة كلها من صنع الله الذى أتقن كل شىء .

٣ ـ القرآن الكريم ـ آيات مقروءة ـ تدلنا على ما فى الكون من آيات محسوسة ذات دلالات علمية لا تحصى ، فواجب المسلمين اليوم أن ينهضوا نهضة علمية تتفق مع ما توجبه الآيات القرآنية من مدلولات علمية غفل عنها المسلمون طويلا ، هذا وقد عرض الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه « الدين » أغلب المذاهب التى قال بها المفكرون لاثبات

---

(١٠٨) ابن رشد مناهج الأدلة ص ١٥٣ .

(١٠٩) الدكتور أحمد أبو الساعدات دراسات فى العقيدة الاسلامية ص ٢٧٥ .

وجود الله تعالى ، وهى : المذاهب الكونيــة أو الطبيعيــة ، والمذاهب الروحية ، أو الحيوية ، والمذاهب النفسية ، والمذاهب الاخلاقية ، والمذهب الاجتماعى والمذهب التعليمى ، ثم حللها ونقدها (١١٠) وعقب على ذلك قائلا « ان الذى يستعرض أساليب الهداية القرآنية الى عقيدة الالوهية يجدها قد أحاطت بأطراف هذه المسالك وأشبعت تلك النزعات جميعا ، بل ربما زادت فى كل منهج عناصر جديدة لم يفطن اليها الباحثون المذكورون » (١١١) .

ومن ثم يصبح طريق القرآن الكريم هو أسلم الطرق وأبقاها لأنه طريق اللطيف الخبير العليم بخائنة الأعين وما تخفى الصدور وهو منهج الرؤف الرحيم .

جاء ليحمل عن الانسان أصر المناهج البشرية وأوزارها الثقال .

---

(١١٠) الدكتور محمد عبد الله دراز - الدين من ص ١٢٥ الى ص ١٧٥ .

(١١١) المصدر السابق ص ١٧٦ .

صفات الله تعالى

ان الناظر فى آيات القرآن الكريم التى تبين صفات الله تعالى يجد أنه قد قدس الألوهية ونزهها عن كل ما لا يليق بهذا الكمال - وأساس الأمر فى هذا التنزيه قوله تبـــارك وتعالى « ليس كمثله شيء » (١١٧) .

فالله هو : الأحد الصـــمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد وله جل شأنه « المثل الأعلى » (١١٨) لا ند له ، ولا شريك ، ولا شبيه ، ولا صاحبة ، ولا ولد ، فالله فى الاسلام واحد فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله تنزه عن الشبيه والمماثلة ، وكل صـــفات الصنف البشرى التى ألحقتها به بعض الديانات .

فالله فى العقيدة الاســـلامية : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » « وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله » (١١٩) وهو الواحد الصمد ، الذى لا يحيط به الزمان والمكان ، وهو محيط بالزمان ، والمكان و « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (١٢٠) « وسع كرســـية الســـموات والأرض » (١٢١) .

---

(١١٧) سورة الشورى الآية رقم ١١ .
(١١٨) سورة الروم الآية رقم ٢٧ .
(١١٩) سورة الزخرف الآية رقم ٨٥ .
(١٢٠) سورة الحديد الآية رقم ٣ .
(١٢١) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ .

فالله هو الحى الذى لا يموت ، وهو الذى يحيى ويميت « كل شىء هالك الا وجهه » (١٢٢) ولا بقاء على الدوام الا لمن له الدوام ومنه الابتداء واليه الانتهاء ·

فمن صفات الله تعالى فى الاسلام ما يعتبر ردا على زعم اليهود الذين قالوا « يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان » (١٢٣) ·

كما نفى القرآن الكريم كذلك عن المسـيح وأمه صفة الألوهية التى وصفه بها النصارى « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للنـاس اتخذونى وأمى الهين من دون الله » (١٢٤) ·

فالله فى الاسلام « عالم الغيب والشهادة » « ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة » « ولا تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمـات الأرض ولا رطب ولا يـابس الا فى كتـاب مبين » (١٢٥) ·

فكل صفة وصف الله سبحانه وتعالى به افانه لايشبهها شىء من صفات المخلوقين ، بل هى صفة تليق بذاته وتنزه عن صفات خلقه ، وصـفات الكمال التى وصف بها الحق تبارك وتعالى نفسه نجدها فى آيات كثيرة من سور القرآن الكريم من ذلك مثلا ما جاء فى قوله تعالى « الله لا اله الا هو

---

(١٢٢) سورة القصص الآية رقم ٨٨ ·

(١٢٣) سورة المائدة الآية رقم ٦٤ ·

(١٢٤) سورة المائدة الآية رقم ١١٦ ·

(١٢٥) سورة الأنعام الآية رقم ٥٩ ·

الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » (١٢٦) .

لقد ورد فى فضل تلاوة آية الكرسى الكثير من الآثار وما ذاك الا لانها تجمع الكمالات التى يتصف بها الخلاق العظيم ، وتنفى عنه سبحانه كل ما لا يليق بكماله وجلاله فقوله تعالى « الله لا اله الا هو » اخبار بأنه المنفرد بالالهية لجميع الخلائق « الحى » هو المتصف بالحياة الأزلية الأبدية لا يشاركه فى الاتصاف بها أحد ، أى الحى فى نفسه الذى لا يموت أبدا .

« القيوم » فهو قائم بذاته لا يحتاج الى غيره ، وقائم بشئون غيره ، لا شريك له فى ذلك - فجميع الموجودات مفتقرة اليه وهو غنى عنها ، ولا قوام لها بدون أمره كقوله تعالى « ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره » (١٢٧)

« لا تأخذه سنة ولا نوم » أى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شىء ، ولا يغيب عنه شىء ، ولا يخفى عليه خافية ، ولا تعجزه نفس عاصية .

ومن تمام القيومية المستلزمة لأزليته وبقائه - ذكر انتفاء جميع الآفات عنه من السنة والنوم فقوله « لا تأخذه »

---

(١٢٦) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ .

(١٢٧) سورة الروم الآية رقم ٢٥ .

أى لا تغلبه سنة وهى الوسن والنعاس ولهذا قال « ولا نوم » لأنه أقوى من السنة (١٢٨) .

« له ما فى السموات والأرض » اخبار بأن الجميع عبيده وفى ملكه وتحت قهره وسلطانه « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » فى هذا النص اثبات صفة العلم له تعالى – وعلمه تعالى لا يشبهه علم فلا أول لعلمه ، ولا نهاية له ، لا يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان ، ويحيط بالجزئيات والكليات احاطة انكشاف بخلاف علم المخلوقات ، فانه يسبقه الجهل ويلحقه النسيان .

« ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء » فى هذا اثبات صفة المشيئة لله تعالى ، أى لا يطلع أحد من علم الله على شىء الا بما أعلمه الله عز وجل ويطلعه عليه ، ويحتمل أن يكون المراد – لا يطلعون على شىء من علم ذاته وصفاته الا بما أطلعه الله عليه كقوله تعالى « ولا يحيطون به علما » .

« ولا يئوده حفظهما » ، أى لا يثقله ولا يكترثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما – بل ذلك سهل عليه يسير لديه ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه شىء ولا يغيب عنه شىء – والأشياء كلها بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة اليه محتاجة فقيرة ، وهو الغنى ، الحميد ، الفعال لما يريد ، الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو القاهر لكل شىء الحسيب على كل شىء .

« وهو العلى العظيم » العلى بذاته فوق خلقه ، وبقدرته ، وقهره ، والعظيم بذاته وبجميع صفات كمالاته ،

---

(١٢٨) الامام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ١ ص٣٠٨ .

فلا يلحقه نقص ، ولا يفارقه كمال ، لأن الكمال — صفاته الذاتية التى لا تفارقه ، وأنه المحيط بكل شئ ٠

وهكذا فقد تضمنت هذه الآية الكريمة اثبات صفات الكمال لله تعالى ونفى صفات النقص عنه فهى بحق اية التوحيد الخالص ، ولهذا كانت أفضل آية فى القرآن الكريم (١٢٩) ٠

ذلك ان اختصاصه جل شأنه بصفات الكمال وتنزه عن صفات النقص دال على تفرده بالالهية — واختصاصه بالاسماء دل على تفرده بالالهية كما جاء فى قوله تعالى « هو الله الذى لا اله الا هو عالم ، الغيب ، والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا اله الا هو الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ، هو الله ، الخالق ، البارئ المصور ، له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (١٣٠) ٠

فى هذه الآية الكريمة ذكر لعدد من الأسماء التى تشتمل على صفات الكمال فى سياق متتابع جميل : الله ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور العزيز ، الحكيم ٠

---

(١٢٩) ابن تمية — النفحة الالهية فى شرح العقيدة الواسطية ص ٣١ تحقيق الدكتور على مصطفى الغرابى — مكتبة صبيح سنة ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م ٠

(١٣٠) سورة الحشر الآية رقم ٢٢، ٢٣، ٢٤ ٠

هذا وقد عنى شراح العقيدة والمفسرون بشرح معانى هذه الأسماء كما فعل الامام الرازى فى كتابه (١٣١) « شرح أسماء الله الحسنى » ، والامام القرطبى صاحب التفسير – فألف كتابا سماه « المقصد الاسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » .

وقد قال أهل السنة ان أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام :

قسم منها يدل على ذاته كالواحد ، والغنى ، والأول والآخر ، والجليل ، والجميل وسائر ما يستحقه من الأوصاف لنفسه .

وقسم منها يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته . كالحى، والقادر ، والعالم والمريد ، والسميع ، والبصير . وسائر الأوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته .

وهذا القسم من أسمائه مع القسم الذى قبله لم يزل الله تعالى بهما موصوفا وكلاهما من أوصافه الأزلية .

وقسم منها مشتق من أفعاله . كالخالق . والرازق . والعادل ، ونحو ذلك وكل اسم اشتق من فعله لم يكن موصوفا به قبل وجود أفعاله .

وقد يكون من أسمائه من يحتمل معنيين أحدهما : صفة أزلية . والآخر فعل له كالحكيم ، ان أخذناه من الحكمة التى

---

(١٣١) الامام الرازى – شرح أسماء الله الحسنى من ص١٥٣ الى ٢٠٠ .

هى العلم كان من أسمائه الازليـة ، وان أخذناه من أحكـام أفعاله واتقانها كان مشتقا من فعله ولم يكن من أوصــافه الأزلية (١٣٢) .

وفى اشارة خفيفة نشـــير الى أنواع الصــفات فى الصفحات التالية باذن الله تعالى ٠

---

(١٣٢) الامام عبد القادر بن طاهر البغـدادى الفرق بيـن الفرق ص ٣٣٨ ٠

أنواع الصفات

بعد أن شرنا الى أدلة اثبات الصانع جل شأنه ، وأنه تعالى ذات لها صفات الجلال والجمال والكمال ومنزه عن كل نقص .

فللحق جل شأنه صفات أتصف بها سبحانه وتعالى وتعالى فما هى هذه الصفات ؟

قسم علماء الكلام هذه الصفات الى أربعة أقسام :
١ – نفسية وهى الوجود .

٢ – سلبية – وهى التى تسلب عن الحق تعالى كل نقص لا يليق بذاته المقدسة ، من هذه الصفات القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية .

٣ – ثبوتية – وهى التى تثبت له سبحانه وتعالى معان تليق بذاته المقدسة وهى صفات ، القدرة ، والارادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع والبصر ، والكلام .

أفعال أو معنوية – وهى كونه تعالى قادرا ، مريد ، عالما .. الخ هذه الصفات .

وفيما يلى نتحدث عن كل صفة من هذه الصفات .

الوجـــود

الوجود - هو الصـــفة النفســـية التى يتصف بها الوجود ، ومعناه التحقق والثبوت والوجود ما يقابل العدم فمعنى كونه تعـــالى واجب الوجود : أنه موجود فلا يقبل العـدم لا أزلا ولا أبدا . ووجوده من ذاته ، ووجوده قديم ، ووجوده باق ، وأنه مخالف لجميع الحوادث .

أو هى الحال الواجبة للذات مادامت الذات حال كون تلك الحال غير معللة بعلة . فوجوبها من ذات الحق تعالى لا من أمر خارج عنه . والا احتـــاج الى من يمنحه الوجود فيكون مفتقرا الى موجد والموجد محتـــاج الى موجد وهكذا حتى يلزم الدور والتسلسل وهما باطلان ، واذا بطـل كل منهما لزم أن يكون وجوده تعالى من ذاته ، كما لزم أن يلازم الوجود الذات فى أزليتها وأبديتها .

فالوجود صفة نفســية وانما نسبت للنفس أى الذات لانها لا تتعقل نفس الا بوجودها - والمراد بالصفة النفسية صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها .

ولـــما كان الوجود ليس زائد على الذات ، وهو ثابت للذات فقد يرد هذا السؤال : هو هو عين الذات أو غيرها ؟ أو بمعنى آخـــر هل الوجود عين الموجـــود أو الوجود غير الموجود ؟

يقول صاحب جوهرة التوحيد وقد اختلف فى الوجود هل هو عين الموجود أو غيره فقال الامام الأشـــعرى الوجود عين الموجود . واختلف فى فهم المراد من عبارة الأشـــعرى فبعضهم أبقـــاها على ظاهرها وعليه يكون فى عد الوجود

صفة تسامح لانه يقع صفة فى مجرد اللفظ كأن يقال الله موجود ، والمحققون كالسعد واضرابه أولوا عبارة الأشعرى فقالوا ليس المراد العينية الحقيقية بل المراد أنه ليس زائدا على الذات فى الخارج بحيث تصح رؤيته فلا ينافى أنه أمر اعتبـــارى وهو الذى لا محيص عنه ، وعليه فلا يكون فى الوجود صفة تسامح لان الصفة يكفى فيها مغايرة الموصوف وإن لم تكن زائدة فى الخـارج كيف وقد عدوا السـلوب صفات كالقدم ، والبقاء ·

وقال الرازى وجمـــاعة : الوجود غير الموجود ضرورة مغايرة الصفة للموصـــوف وعليه فقد عرفوا الوجود بأنه الحال الواجبة للذات ما دامت الذات حال كون تلك الحال غير معللة بعلة ·

والمراد بكونها حالا : انها واسطة بين الموجود والمعدوم هذا على القول بثبوت الواسطة التى هى الحال – ومعنى كونها واجبة للذات مادامت الذات أنها ثابتة للذات مدة دوام الذات ·

وهكذا نشط الخلاف بين المتكلمين ازاء هذه المسألة وكان من الواجب ازاء هـــذه البحوث التى تقترب من الاكتناه البعد عنها ولذلك فقد استشعر بعض المتكلمين البعد عنها ، وأنه لا يجب على المكلف اعتقـــاد شىء من ذلك بل يكفى أن يعتقد أن الله موجود – ولا يجب عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غير ذاته لان ذلك من غوامض علم الكلام (١٣٣)

---

(١٣٣) الامام ابراهيم البيجورى – على الجوهرة ص٦٥، ٦٦ ·

ذلك ان العقل البشرى مهما بلغ من الذكاء وقوة الادراك قاصر غاية القصور وعاجز غاية العجز عن معرفة حقـــائق الأشياء .

فهو عاجز عن معرفة النفس الانسانية ، ومعرفة النفس لا تـزال من أعقد مســائل العلم والفلسـفة ، وهو عاجـز عن معرفة حقيقة الضوء والضوء من أظهر الأشياء وأوضحها ، وعاجز عن معرفة حقيقة المادة ، وحقيقة الذرات التى تتألف منها ، والمادة الصق شىء بالانسان .

ولا يزال العلم يقف عاجزا أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة لا يستطيع أن يقول فيها الكلمة الأخيرة .

فاذا كان موقف العقل هكذا حيال النفس ، والضــــوء ، والمادة ، وما فى الكون ، المنظور ، وغير المنظور من أشـيـاء ، فكيف يتطلع الى معرفة ذات البارى جل شأنه ويحـــاول ادراك كنهه ان ذات الله تعالى أكبر من أن تدركها العقول ، أو تحيط بها الأفكار وما أصدق قول الله سـبحانه وتعالى « لا تدركه الأبصـــار وهو يدرك الأبصـــــار وهو اللطيف الخبير » (١٣٤) .

وقصور العقل وعجزه عن ادراك حقيقة الاشياء لا ينفى وجودها فعجزه عن ادراك حقيقة النفس لا ينفى أنها موجودة، وعجزه عن ادراك حقيقة الضـــوء لا ينفى وجود ضـوء يعم الآفاق ، وعجزه عن ادراك كنه الذرة لا ينفى أن ثمـة ذرات

---

(١٣٤) سورة لانعـام الآية رقم ١٣٠ .

تتكون منها المادة ، وهكذا سائر الأشياء التى يقصر العقل عن ادراك حقيقتها ويعجز عن معرفة كنهها (١٣٥) .

ومثل ذلك الذات الالهية اذا عجز الانســـان عن ادراك حقيقتها فليس معنى ذلك أنها غير موجودة بل هى موجودة كأقوى ما يكون الوجود .

(١٣٥) الشيخ سيد سابق ـ العقائد الاسلامية ص ٣٧، ٣٨ .

الصفات السـلبية

بعد أن أشرنا الى أدلة وجوب الله سـبحانه وتعالى . وتحدثنا عن صفة الوجود لله سبحانه وتعالى نشـير هنا أيضـا عما يجب أن يتنزه عنه جل شأنه من نقص وهى الصـفات السلبية وهى ما سلبت عن الله تعالى كل معنى لا يليق بذاته المقدسة ·

وعلى هذا فالمقصود من هذه الصفات : تنزيه الله تعالى عن أمور تتنافى مع وجوب وجوده بمعنى أنهـا تنفى عنه صفات النقص فالصفات السلبية بهذا المعنى غير منحصرة فى صفات معينة · وذلك كنفى الشريك والصاحب والمعين ·· الخ ·

ولكن الواجب علينا معرفة بعض هذه الصفات ـ وهذه الصفات هى : القدم . والبقاء ، والقيام بالنفس ، ومخالفته للحوادث ، والوحدانية ·

فهذه الصفات تعتبر أسـاسا لغيرها وما عداها يمكن ارجاعها اليها ـ وسميت هذه الصفات بالصفات السلبية ـ مع أنها ثابتة له سبحانه وتعالى لا مسـلوبة عنه ، لأنها مفسرة بالسلب ، اذ القدم سلب أولية الوجود ، والبقـاء سلب آخرية الوجود له سبحانه ـ والمخالفة للحوادث سلب المماثلة لها ، والقيام بالنفس ، سلب الافتقـار والوحدانية سلب التعدد ·

فهذه الصـفات على ما تبدو وان كانت ثبوتية الا أن معانيها تسلب أمورا عن الله تعالى لا تليق بذاته المقدسـة لهذا عبر عنها المتكلمون بالصفات السلبية ·

القــدم

معناه : ان الله ســبحانه وتعالى قديم لأول لوجوده ، وليس مسبوقا بعدم ، فقدم الله تعالى واجب لذاته ، والقدم الذى يوصف به الله سبحانه وتعالى ، صفة سلبية تدل على عدم أولية الوجود أو على أنه لم يسبق بعدم ، وهذا الوصف من لوازم الوجود الذاتى فمعنى الوجود الذاتى : أن غيره لم يؤثر فيه فلم يسبق بعدم ٠

فالموجودات لابـد أن تنتهى الى واجب الوجـود لذاته قطعا للتسلسل ، فأنت تشـاهد حدوث الحيوان والنبات ، والمعادن ، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك ، وهذه الحوادث وغيـرها ليست ممتنعـــة ، فان الممتنع لا يوجد ولا واجبة الوجود بنفســها ، فان واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ، فعدمها ينفى وجودها ووجودها ينفى امتنـــاعها ، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه ٠

فالممكن الذى ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجودا بنفسه بل ان حصل ما يوجده ، والا كان معدوما . وكل ما أمكن وجوده بدلا عن عـدمه وعـدمه بدلا عن وجوده فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم » (١٣٦) ٠

---

(١٣٦) لامام على ابن ابى العـز الحنفى - شرح الطحـاوية ص ٥٧ تحقيق أحمـد محمد شـاكر - مطبوعات جامعة الامـام محمد بن سعود الاسلامية الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ٠

والقدم أقسام ثلاثة :

١ — قدم ذاتى : وهو عدم المسبوقية بالعدم ، أو عدم الأولية للوجود وهو الذى يوصف به الله تعالى ٠

٢ — قدم زمانى — وهو طول المدة الدالة على التقادم ومرور الزمن ٠

٣ — قدم اضافى — كتقدم الأب بالنسبة للأبن ٠

والقسم الأول من هذه الثلاثة هو الذى يوصف به الله تعالى أما القسم الثانى ، والثالث فيستحيلان فى حقه تعالى لانهما من صفات الحوادث كما أن القسم الاول مستحيل بالنسبة للمخلوقات والحوادث يقول الشهرستانى ان وجود البارى تعالى لا يقال متقدم بالزمان كما لا يقال أيضا فوق بالمكان ، ولا يقال مقارن بالزمان كما لا يقال مجاور للعالم بالمكن ، فالتقدم ، والتأخر والمعبة الزمانية تمتنع فى حق البارى سبحانه (١٣٧) ٠

وضد القدم الحدوث وهو مستحيل على الله تعالى — ذلك أنه تعالى لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج الى محدث — والاحتياج ينافى وجوب الوجود الذاتى الثابت لله تعالى فبطل كونه حادثا وثبت أنه تعالى قديم ٠

قال تعالى « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين » (١٣٨) ٠

---

(١٣٧) الشهرستانى — نهاية الاقدام ص٣١ ٠

(١٣٨) سورة الواقعة الآية رقم ٦٠ ٠

وقال تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » (١٣٩) .

فمعنى الأول - هو الذى لابتداء لوجوده ، وهو سابق فى وجوده كل حادث فيكون وجوده من ذاته فوجوده سبحانه وتعالى أزلى لا يسبقه عدم ولا علة لوجوده « الآخر » الباقى بعد فناء الموجودات .

الفرق بين القديم والأزلى :

لقد فرق العلماء بينهما على النحو التالى :

١ - ذهب البعض الى أن القديم هو الموجود الذى لا ابتداء لوجوده .

وأما الأزلى فهو ما لا أول له عدميا أو وجوديا ، فكل قديم أزلى ولا عكس ، وعليه فذات الله تعالى وصفاته الثبوتية توصف بالقدم والأزلية أما الصفات السلبية فلا توصف الا بالأزلية فقط .

٢ - ان القديم هو القائم بنفسه الذى لا أول لوجوده. والأزلى ما لا أول له عدميا أو وجوديا قائما بنفسه أو بغيره - وهذا هو الذى يفهم من كلام السعد (١٤٠) وعليه فالصفات مثلا لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية بخلاف الذات العليا فانها توصف بكل منهما .

---

(١٣٩) سورة الحديد الآية رقم ٣ .

(١٤٠) الامام ابراهيم البيجوى - شرح البيجوى على الجوهرة ص ٦٩ .

٣ — ان كلا من القديم والأزلى مترادفان : معنـــاهما واحد وهو : ما لا أول له وجوديا كان أو عدميا ، ســواء كان قائما بنفسه أو بغيره ، وعليه فكل قديم أزلى ، وليس كل أزلى قديما ، وعليه فالصفات مطلقا والذات العلية توصف بهما ٠

وبعض أن قام الدليل النقلى والعقلى على قدمه تعالى وأزليته الا أنه ربما قد تعرض للانســـان بعض الهواجس تسأله عن هذا الأزل الممتد فى جانب الماضى الى ما لا نهاية — ولا ضير فقد كان ذلك يحدث لاصحاب رســول الله ﷺ ، وهم الذين امتلأ قلبهم ايمانا به ســبحانه وتعالى فقد قال النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق ، فمن خلق الله : فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله » (١٤١) ولعل هذا ناتج من قياس الوجود المطلق على المحدود — وهذا خطأ ٠

فوجودنا ، ووجود العالم من حولنا مســتمد من وجود غيرنا — وهو الله سبحانه وتعالى ، فوجودنا ووجود العالم من حولنـــا له بداية ونهاية ، أما وجوده جل شأنه من ذاته سبحانه وتعالى — فهو غير مسبوق بعدم أو مدرك بعدم — تعالى عن ذلك علوا كبيرا ٠

بذلك فانه لا مكان للهواجس التى تعترى العقل الانسانى عن قدم الله سبحانه وتعالى ٠

---

(١٤١) الامـام مسـلم — شرح صحيح مسـلم جـ٢ ص ١٥٣ باب الوسوسة فى الايمـان ٠

البقـــاء

من الصفات التنزيهية صـــفة البقـاء ـ ومعنى هذه الصفة ان الله ســـبحانه وتعالى باق لا آخر لوجوده ، بل البقاء ملازم له أبدا فلا يعتريه فناء ـ ذلك لأنه ســـبحانه وتعـالى واجب الوجود ـ فوجوده من ذاته ومن كان هكذا شأنه لم يدركه فناء ٠ ؟

وهذا حق وحقيقة فى بناء العقيدة الصحيحة فكل خطوة فيها تسلم الى الخطوة التى تليها فى اتســـاق واحكام ، فحدوث العالم واحتياجه الى صـــانع يسلمنا الى اثبات القدم لبارئه القدير ، واثبـــات القدم للبارى يسلمنا الى اثبات صفة البقاء له جل اسمه ٠٠

والعقل الصريح يقضى بصدق تلك القضـية المتماسكة « ما وجب قدمه استحال عدمه » (١٤٢) ٠

وضد البقاء الفناء قال تعالى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكرام » (١٤٣) جاء فى تفســـير القرطبى ـ قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الارض فنزلت « كل شىء هالك الا وجهه » فأيقنت الملائكة بالهلاك ، ووجه النعمة فى فناء الخلق بالتســـوية بينهم فى الموت ـ ومع الموت تســـتوى الاقدام وقيـل وجه النعمة أن الموت سبب النقل الى دار الجزاء والثواب « ويبقى وجه ربك » أى ويبقى الله فالوجه عبـــارة عن وجوده وذاته قال الشاعر :

---

(١٤٢) امام الحرمين ـ العقيدة النظامية ص٦٤ تحقيق الدكتور محمد عبد الفضيل ٠

(١٤٣) سورة الرحمن الآية ٢٦،٢٧ ٠

قضى على خلقـه المنـــايا
فكل شيء ســـواه فـــانى

قال أبو المعالى ان المراد بالوجه عند معظم أئمتنا وجود البارى تعالى والدليل على ذلك قوله تعـالى « ويبقى وجه ربك » ان الموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفنـاء وجود البارىء تعالى (١٤٤) ٠

وقوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » ٠

يقول ابن كثير فى تفسـير هذه الآية هذا اخبار بأنه الدائم ، البـــاقى ، الحى ، القيوم ، الذى تموت الخلائق ولا يموت فقوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه » أى الا ذاته فعبر بالوجه عن الذات (١٤٥) ٠

أما الدليل العقلى ، فلو لم يجب له تعـالى البقاء لجاز عليه الفنـاء ، ولو جاز عليه الفناء لما كان واجب الوجود ، وقد ثبت أنه تعـالى واجب الوجود فبطل ما أدى اليه من كون ذاته يلحقها الفناء ، وثبت أنه تعالى باق لا يلحق ذاته عدم ٠

فالله ســبحانه وتعالى ، باق لا يلحقه الفنـاء ، لأنه لو كان فانيا لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج الى محدث ومحدثه الى محدث وهكذا فيلزم الدور والتسلسل وهمـا باطلان ، فما أدى اليه وهو فناؤه تعالى يكون باطل فثبت له تعالى ـ البقاء ٠

---

(١٤٤) الامام القرطبى ـ الجامع لاحكـام القرآن جـ١٧ ص١٦٥ ـ دار الكتاب العربى القاهرة سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ٠

(١٤٥) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٤٠٣ ٠

القيـــام بالنفس

من الصفات التنزيهية ـ القيام بالنفس ، وهى تعبير عن كونه تعالى ، الغنى بالاطلاق ، والمتعـــالى عن الافتقار لشىء من الأشـــياء ، القيوم بذاته ، والذى تقوم الســـماء والأرض بأمره ، فالحق جل شأنه هو الغنى المطلق ، وليست سعة غناه راجعة الى أنه يملك هذا العالم بسماواته وأرضه، وما حوى من معادن نفيسة وعنــاصر غالية ، ولا لانه يملك عددا لا يحصى من الجن والأنس ، والملائكة ، لا ، لا ، فالغنى الالهى أتعد من ذلك وأمجد (١٤٦) ٠

وعلى هذا كان المقصـــود بالنفس فى اللغة : الذات ، ومعنى القيـــام بالنفس سلب الاحتياج عمـــا عداه ، فهو سبحانه وتعالى غير محتاج الى محل أى ذات يقوم بهـــا مثلما تقوم الاعراض بالاجسام ٠

كما أنه جل شأنه لا يحتاج الى مكان يحـــل فيه لأن المكان يحدد ما يكون فيه ، فيكون ما فى المحل محدودا بحدود المكان ، والله عز وجل كما لا يجـرى عليه زمان لا يحـويه ولا يحصره مكان ـ كما أنه لا يحتـاج الى مخصص خارجى ـ لانه لو احتاج الى مخصص لاحتاج الى مؤثر وموجد والحق جل شأنه موجود بنفسه غنى بذاته عن كل ما عداه ٠

وانما قيدنا المخصص هنا بكونه خارجيا ـ لان هنـــا مخصصات لله تعالى من الداخل مثل صـــفاته تعالى ـ من العلم ، والقدرة ، والارادة وغيرها ٠

---

(١٤٦) الشيخ محمد الغزالى ـ عقيدة المسلم ص٥٢ ٠

كما لا يحتاج أيضا الى فاعل يخصصه ببعض ما يجوز عليه كتخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها من الأمور المتقابلة – لما ثبت من غناه سبحانه وتعالى المطلق عن كل ما سواه . فالمخلوقات جليلها ودقيقها تقوم بالله عز وجل . أما الله تعالى فقائم بنفسه مستغن بذاته عما سواه (١٤٧) قال تعالى « يا أيها النـــاس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » (١٤٨) .

وقوله تعالى فى حديثه القدسى « يا عبادى لو أن أولكم وأخـــركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجـر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » .

وضد قيامه تعالى بنفسه احتياجه الى غيره . وقد ثبت بطلان احتياجه سبحانه وتعالى الى غيره ولم يبق الا قيامه تعـــالى بنفسه وعدم احتياجه الى غيره – لانه تعـــالى لو احتاج الى غيره لما كان واجب الوجود وقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود فبطل ما أدى اليه . وهو احتياجه تعالى الى الغير وثبت قيامه تعالى بنفسه .

---

(١٤٧) المصدر السابق ص ٣ .

(١٤٨) سورة فاطر الآية رقم ١٥ .

المخـــالفة للحوادث

بعد أن ثبت قيامه تعالى بنفسه وأنه تعالى قديمـــا وباقيا ــ وما كان هذا شأنه فانه لا يمكن أن يكون مشـــابها للمخلوقات أو أن يشـــبهه شئ منها اذ أن هـــذه المخلوقات حادثة وتفنى ٠

فمعنى مخالفته تعـــالى للحوادث : ان الله ســـبحانه وتعالى لا يماثل الحوادث « المخلوقات » لا فى ذاته ، ولا فى صـــفاته ، وأفعاله ، فلا تشـــبه ذاته ذوات الحوادث ، ولا تشبه صفاته صفات الحوادث ، ولا تشـــبه أفعـــاله أفعال الحوادث ــ ســـواء أكانت هذه الحوادث موجودة خارجا أم كانت ذهنية بحتة مثل الخواطر النفســـية التى تخطر فى النفس لانها حاصلة بعد أن لم تكن اذا فهى حادثة ٠

ولذلك قيل فى هذا الباب :

كل ما خطر ببالك فالله ســـبحانه وتعالى بخلاف ذلك ، وكل ما خطر فى الأوهام فغير ذى الجلال والاكرام ٠

كل ما ترتقى اليـــه بوهم
من جلال وقـــدرة وســـناء

فالذى أبدع البـــرية أعلى
منه سبحانه مبدع الأشياء

فالحق جل شأنه لا يشبه شيئا من الحوادث كما أنها لا تشبه فى شئ ، ولذلك نرى الامام الأشعرى يستدل على كونه تعالى مخالفا للحوادث ــ بارجاع المسألة الى قضـــية التخالف بين القديم والمحدث قائلا فان قال قائل : لم زعمتم أن البارى سبحانه لا يشـــبه المخلوقات ؟ قيل له : لانه لو

أشبهها لكان حكمه فى الحدث حكمها ، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها ، فان أشبهها من جميع الجهات كان محدثا مثلها من جميع الجهات ، وان أشبهها من بعضها كان محدثا من حيث أشبهها ، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديما (١٤٩) ٠

قال تعالى «ليس كمثله شىء وهو السميع البصير»(١٥٠)

يقول الامام القرطبى : أى ليس مثله شىء ، والذى يعتقد فى هذا الباب أن الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلى صفاته ، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به ، وانما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق ، والمخلوق ، فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى ، اذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق ، اذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض ، وهو تعالى منزه عن ذلك ، بل لم يزل بأسمائه وبصفاته وكفى فى هذا قوله الحق « ليس كمثله شىء » وقد قال بعض العلماء المحققين : التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات ، وزاد الواسطى رحمه الله بيانا فقال : ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة ، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة (١٥١) ٠

---

(١٤٩) الاشعرى اللمع فى الرد على أهل البدع ص ١٩، ٢٠ ، تحقيق الدكتور حمودة غرابه ٠

(١٥٠) سورة الشورى الآية رقم ١١ ٠

(١٥١) الامام القرطبى — الجامع لأحكام القرآن جـ١٦ ص٩٤٨ ٠

وقال تعالى « قل هو الله أحد ، الله الصـــمد ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (١٥٢) أى لم يكن هنـــاك مشابها لله تعالى فى أى شىء ، ومن هنا ندرك ونعرف أنه قد وجب له تعالى مخالفته للحوادث ويســـتحيل عقلا وشرعا مشابهته لها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

يقول شارح الطحاوية : اتفق أهل الســنة على أن الله ليس كمثله شىء لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، ولكن لفظ « التشبيه » قد صـــار فى كلام الناس لفظ مجملا يراد به المعنى الصـــحيح ، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شىء من المخـــلوقات ولا يمـــاثله شىء من المخلوقات فى شىء من صـــفاته (١٥٣) ، فاذا قيل ان فلان عالم وموجود مثـــلا . فالمشابهة من حيث التسمية وحدها . أما حقيقة الصـــفة فشـــتان بين علم الله تعالى وعلم البشر وقدرة الله وقدرة البشر .

وهـذا أمر ينبغى ألا يشك فيه المرء مع نفســـه ، فمن الواضح أن تخالف الذات الالهية غيرها من الذوات المحدثة، ومن البين أن يكون هناك بونا شاســـعا بين الخـــالق . والمخلوق ، ذاتا ، وصفاتا ، وأفعالا .

فالعقيدة التى جاء بها الاسلام توضح أن صفات المحدثين وأحوالهم لا يجوز أن تنسب الى الله ســبحانه وتعالى فهو جل شأنه غير مخلوقاته .

---

(١٥٢) سورة الاخلاص .

(١٥٣) ابن أبى العز الطحاويه ص٤٤،٤٥ .

هذا وقد ثبت بالدليل النقلى أن الحق جل شأنه مخالف للحوادث ، أما الدليـــل العقلى فهو أن الله تعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ، ولو كان مماثلا لها لكان حادثا مثلها — فيحتاج الى محدث ، ومحدثه كذلك الى محدث. فيلزم الدور والتسلسل وكلاهما باطل - فما أدى اليه - وهو كونه تعــالى ممــاثلا للحوادث يكون باطل - فثبت ذلك النقيض وهو كونه تعالى مخالف للحوادث .

فهو سبحانه وتعــالى ليس بجسم . ولا فى مكان . ولا متجزئ ، ولا مركب ، اذ أن هذه الأشـــياء من لوازمهـــا الاحتياج ، اذ لو كان جســما لكان محتـــاجا الى أجزائه . والاحتياج ينافى الوجوب . وكذلك يحتاج الحال فى مكان الى مكانه الذى يحل فيه ويشغله وهكذا .

هذا وقد ثبت أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه الحوادث أما ما جاء به القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ مما يوهم بالمماثلة .

مثل قوله تعـــالى : « ويبقى وجه ربك ذو الجـــلال والاكرام » (١٥٤) .

وقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » (١٥٥) .

وقوله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » (١٥٦) .

---

(١٥٤) سورة الرحمن الآية رقم ٢٧ .

(١٥٥) سور الفجر الآية رقم ٢٢ .

(١٥٦) سورة الفتح الآية رقم ١٠ .

وقوله تعالى : « **الرحمن على العرش استوى** » (١٥٧).
الى غير ذلك من الآيات .

وكذا قول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له . من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له » (١٥٨) .

أمام هذه النصوص الشريفة كان هناك رأيان :

لقد كان للمتقدمين من علماء الأمة رأى - وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين واتباع التابعين - وقبل هم من عاشوا فى الخمسمائة سنة الأولى من هجرة النبى ﷺ ، وقيل هم من كانوا قبل القرن الثالث الهجرى . وهم المعبر عنهم باسم السلف - رضى الله عنهم أجمعين .

وهذا الرأى هو الذى نرتضيه وندافع عنه . وندين الله به عقيدة ، فالأولى الاتباع . وترك الابتداع .

كما كان للعلماء الذين جاءوا بعد القرن الخامس الهجرى أو الثالث الهجرى ، أو بعد عصر الصحابة والتابعين رأى - وهم المعبر عنهم باسم الخلف .

وقبل أن نذكر رأى كل من علماء السلف والخلف نشير أولا الى : منشأ الخلاف بين السلف والخلف .

---

(١٥٧) سورة طه الآية رقم ٥ .

(١٥٨) ابن حجر العسقلانى - فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١١ ص١٢٩ باب الدعاء نصف الليل .

كان اختلاف وجهة نظر كل من علماء السلف والخلف ناشىء من اختلافهم فى موطن الوقف فى قوله تعالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب » (١٥٩) .

هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله ، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع ، فالذى عليه الاكثر أنه مقطوع مما قبله ، وأن الكلام تم عند قوله « الا الله » هذا قول أبن عمر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعروة بن الزبير وعمر ابن عبد العزيز ، وغيرهم ، قال الخطابى وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذى أمرنا بالايمان به والتصديق بما فيه قسمين : محكما ومتشابها فقال عز من قائل « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات .. الى قوله : كل من عند ربنا » .

فأعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه ، فلا يعلم تأويله أحد غيره ، ثم أثنى الله على الراسخين فى العلم بأنهم يقولون « آمنا به » ، ولولا صحة الايمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه — ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام فى هذه الآية انما هو عند قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » ، وان ما بعده استئناف كلام آخر وهو قوله « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » .

الا أنه روى عن مجاهد أنه نسق « الراسخون » على

---

(١٥٩) سورة آل عمران الآية رقم ٧ .

ما قبله وزعم أنهم يعلمونه - واحتج له بعض أهل اللغة : فقال : معناه والراسخون فى العلم يعلمونه قائلين آمنا (١٦٠)

وفى هذا ما يجرنا الى أن نشير الى :

المحكم والمتشابه .

جاء فى كتاب الله تبارك وتعالى بعض الآيات تصف القرآن الكريم بأنه محكم وذلك كقوله تعالى « الركتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (١٦١) كما جاء أيضا بعض الآيات تصف القرآن الكريم بأن منه متشابه كقوله تعالى « الله الذى أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » (١٦٢) .

كما جاء بعض الآيات أيضا تصف القرآن الكريم بأن منه المحكم والمتشابه كما جاء فى قوله تعالى « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات » .

ولهذا فان المقام يقتضينا الى أن نشير الى تعريف المحكم والمتشابه .

أما تعريف المحكم فى اللغة ، فالعرب تقول : حاكمت وأحكمت بمعنى رددت ومنعت والحاكم يمنع الظالم عن الظلم ، وحكمة اللجام هى التى تمنع الفرس عن الاضطراب

---

(١٦٠) الامام القرطبى - الجامع لاحكام القرآن جـ٤ ص١٦ .
(١٦١) سورة هود الآية رقم ١ .
(١٦٢) سورة الزمر الآية رقم ٢٣ .

وفى حديث النخعى - أحكم اليتيم كما تحكم ولدك ، أى أمنعه عن الفساد ٠

وقال جرير : احكموا سفهاءكم أى امنعوهم - وبناء محكم أى وثيق يمنع من التعرض له وسميت الحكمة لانها تمنع عما لا ينبغى (١٦٣) ٠

أما فى الاصطلاح : فهو ما أحكم المراد به عن التبديل والتغيير ، أى التخصيص والتأويل والنسخ مأخوذ من قولهم بناء محكم أى مأمون الانتقاض وذلك مثل قوله تعالى « إن الله بكل شىء عليم » والنصوص الدالة على ذات الله تعالى وصفاته لان ذلك لا يحتمل النسخ فان اللفظ اذا ظهر منه المراد فان لم يحتمل النسخ فهو محكم والا فان لم يحتمل التأويل فمفسر (١٦٤) ٠

أما المتشابه فيعرف فى اللغة ٠ بأنه ما لم يمكن التمييز بينه وبين غيره ، وذلك بأن يكون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما قال تعالى « ان البقر تشابه علينا » وقال تعالى فى وصف ثمار الجنة « وأوتوا به متشابها » أى متفق المنظر مختلف الطعوم وقال تعالى « تشابهت قلوبهم » ومنه يقال : اشتبه على الأمران اذا لم يفرق بينهما - ويقال لأصحاب المخاريف أصحاب الشبه ٠٠ ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن

---

(١٦٣) الامام فخر الدين الرازى - التفسير الكبير جـ٣ ص١٩٤ ٠

(١٦٤) السيد الشريف الجرجانى - التعريفات ص ١٨١ طبعة الحلبى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م ٠

التمييز بينهم سمي كل ما لا يهتدى اليه بالمتشابه اطلاقا لاسم السبب على المسبب (١٦٥) .

اما في الاصطلاح فهو ما خفى بنفس اللفظ ولا يرجى دركه اصلا كالمقطعات في اوائل السور (١٦٦) .

واما قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » يقول الامام القرطبي :

التأويل يكون بمعنى التفسير كقولك . تأويل هذه الكلمة على كذا . ويكون بمعنى ما يؤول الامر اليه واشتقاقه من آل الامر الى كذا يؤول اليه اى صار . واولته تأويلا اى صيرته . وقد حده بعض الفقهاء فقالوا هو ابداء احتمال فى اللفظ مقصود بدليل خارج عنه ـ فالتفسير بيان اللفظ (١٦٧) .. « والراسخون فى العلم » اختلف العلماء فى « والراسخون فى العلم » .

من هنا نلاحظ ان علماء السلف يقفون على قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » ويجعلون جملة « والراسخون فى العلم » كلاما مستأنفا مقابلا فى المعنى لقوله تعالى « فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله » .

اما علماء الخلف فيفصلون بين قوله تعالى « وما يعلم تأويله الا الله » ويعطفون عليه قوله تعالى « والراسخون فى العلم » .

---

(١٦٥) الامام الرازى ـ التفسير جـ٣ ص١٥٤ .
(١٦٦) الجرجانى ـ التعريفات ص ١٧٦ .
(١٦٧) الامام القرطبى ـ الجامع لاحكام القرآن جـ٤ ص١٥ .

فيقولون : كل من له قدم راســـخة فى العلم يستطيع بواسـطة القرائن القوية أن يدرك معنى يصح حمل اللفظ عليه وهذا يسبب التماس التأويل ٠

وهو : صرف اللفظ عن ظاهره المتبـــادر منه ، والذين أقرروا التأويل بهذا المعنى رأوه ضروريا لان اللغة تقتضيه والعقل يؤيده ، مع الاعتراف بأن كتاب الله تعالى يشتمل على ما تقصر العقول عن ادراكه فهم لجأوا الى التاويل لغاية حميدة ، وهى تنزيه الذات الالهيـــة - فلا يصح ايهـــام العقول ٠ ان الله تعالى ، جسم ، أو أنه متصف بصـــفات الحوادث - كما رأوا أن التأويل هنـــا ضرورى - والا كان القرآن الكريم متناقضا بحسب الظاهر فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم « وهو معكم أينما كنتم » (١٦٨) - وقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » (١٦٩) ٠

فكيف يكون سبحانه وتعالى مســـتويا على العرش - - مع كونه موجودا مع كل واحد ؟

من هنـــا رأى أصحاب هذا الرأى بأن معنى المعية فى الآية الأولى هى العلم ، وعليه فليس المقصود بالاستواء فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى استواءا حقيقيا كما ذهب المشبهة وانما المراد بالاستواء هو الملك والقهر والغلبة ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير ســـيف ودم مهراق

---

(١٦٨) سورة الحديد الآية رقم ٤ ٠
(١٦٩) سورة طــه الآية رقم ٥ ٠

وعلى هذا النحو أولوا « الوجه » فى قوله تعالى « ويبقى وجه ربك » الى وتبقى ذات ربك كما أولوا قوله تعالى « وجاء ربك والملك صفا صفا » الى وجاء أمر ربك ·

أما اليد فتارة يؤولونها بالقدرة كما فى الآية التى ذكر فيها خلق الله لآدم بيده ، وتارة تؤول بالنعمة أو النصرة كما فى قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » ·

أما الحديث النبوى الشريف « ينزل ربنا » رأوا أنه ليس المراد بالنزول حقيقته التى نعرفها ، وانما الأمر على تقدير محذوف ، وعليه يكون المعنى « ينزل ملك ربنا » أو المراد قرب اجابته تعالى لمن دعاه أو سأله فى هذه الفترة من الليل ، حيث لا يتضرع اليه ولا يسأله تعالى الا من كان أقرب الى اجابته وأرجى لقبول دعائه ممن عداه من الذين يكونون فى هذا الوقت فى نوم وغفلة عن ذكر الله تعالى وعبادته ·

رأى السلف :

ذهب السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين الى أن المعنى الظاهر غير مراد ، ومن هنا كان مبدأ التفويض لله تبارك وتعالى فمثلا يقولون فى قوله تعالى «يد الله فوق أيديهم» ان يد ليست كأيدينا ، الله تعالى أعلم بها - ووجهة نظرهم فى هذا المقام - أن الله تعالى نسب لنفسه وجها ، ويدا ·· الخ ·

فالنسبة صحيحة لكن لا على المعنى الحقيقى المتبادر الى الذهن من هذه الالفاظ لوجود مانع هو قوله عز وجل « ليس كمثله شىء » ·

وفى هذا المفهوم عاش الصحابة والتابعون وأتباعهم رضى الله عنهم أجمعين لا يسألون ما يد الله ؟ وما قدرته ؟ وما علمه ؟ وما عينه ؟

ولهذا كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول : أمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، وعلى مراد الله ، وأمنت برسول ، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ .

وعلى هذا : درج السلف ، ومن حذا حذوهم من أئمة الخلف رضى الله عنهم وكلهم متفقون على الاقرار ، والاثبات لما ورد من الصفات فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله .

وقد أمرنا باقتفاء آثارهم ، والاهتداء بمنارهم ، وحذرنا من المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات فقال : النبى ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدى، عضوا عليها بالنواجد ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » (١٧٠) .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

وسأل رجل الامام مالك بن أنس رضى الله عنه قائلا : يا أبا عبد الله «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ فقال له : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ثم أمر بالرجل فأخرج » .

---

(١٧٠) الامام أحمد بن حنبل [illegible]

فلقد هدوا بفطرتهم الى أن العقل لا يستطيع أن يدرك كنه صـــفة من هذه الصـــفات ، ولا أن يمسك بها على آية صورة لن تكون هى أبدا ، مادام الكمال المطلق هو صفتها ٠

يقول الشيخ محمد الغزالى (١٧١) فان مفهوم الالوهية يعرف الانسان الطريق اليه ٠ وحين يلقاه بقلبه ، ويستقبله بفطرته ، لواضح أشد الوضوح ، اذ هو الكمال المطلق ، الذى يسمح للانسان أن ينطلق الى ما لا نهـــاية فى السمو والارتفاع بمقام الذات ٠ وكلما انتهى الى غاية مد بصره الى غيرها ، وهكذا أبدا « ليس كمثله شىء وهو السـميع البصير » ٠

---

(١٧١) عقيدة مسلم ص٤٥ ٠

الوحـــدانية

ان التوحيد هو الهدف الســـامى المشترك من أهداف الرسالات الســـماوية التى اتفق فى الدعوة اليهـا جميع الأنبياء والمرسلين ٠

لهذا يعتبر مبحث الوحدانيـــة من أهم مبـــاحث علم التوحيد قال تعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » (١٧٢) وقال تعالى « واسئل من أرســلنا قبلك من رســـلنا أجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون » (١٧٣) ٠

وفى القرآن الكريم العرض الحـــافل لمظاهر قدرة الله تعالى فى كونه وآياته فى خلقه وكلها داعية الى وحدانيته تعالى ، قال تعالى « أمن خلق السموات والأرض وأنزل من الســـماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون » (١٧٤) ٠

وقد قيل : –

وﷲ فى كـــل تحـــريكة
وتسكينة فى الورى شاهد

وفى كـــل شىء له آيـــة
تـــدل على أنه الواحـــد

فالوحدانية من الصفات السلبية أو التنزيهية الواجبة ﷲ سبحانه وتعالى ٠

---

(١٧٢) سورة الانبياء الآية رقم ٢٥ ٠
(١٧٣) سورة الزخرف الآية رقم ٤٥ ٠
(١٧٤) سورة النمل الآية رقم ٦٠ ٠

ومعنى الوحدانية الواجبة لله تعـالى : هو عدم التعدد فى الذات أو الصفات أو الافعال ، فالله سـبحانه وتعالى واحد فى ذاته ، وفى صفاته ، وفى أفعاله ٠

فمعنى وحدة الذات :٠

فقد ثبت بالأدلة القاطعة أنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث ، وأنه وحـده هو الاول بلا بداية كما أشرنا الى ذلك سابقا ـ فيتأكد أنه ذاته سـبحانه ليست مركبة من أجزاء وليست لغيره ذات تشبه ذاته تعالى ، فهو سـبحانه واحد فى ذاته ، لا شريك له ، ولا ند ، ولا شبيه ، ولا مثيل ـ فذاته سبحانه وتعالى واحدة وحدة مطلقة فليست مركبة من أجزاء :

ووحـدة الصـفات :

معناها : عرفنا أن الوحدة شاملة للذات ، والصفات ، والافعال ، فوحدة الصفات معناها : أن الله سبحانه وتعالى ليس له صفتان أو أكثر من نوع واحد ، كعلمين ، أو قدرتين. أو أكثر ـ وليس لغيره صفة كصفته تعالى ٠

ووحـدة الأفعـال :

معناها : أنه ليس لغيره فعل يشـبه فعله تعـالى ، فالسموات وما فيها والأرض وما عليها ـ كل ذلك مخلوق لله تعـالى وحده لا شريك له فى ذلك فليس لاحد غيره فعل من الافعال ـ فهو جل شأنه الخالق ف لاخالق غيره ٠ وليس لغيره فعل من الافعال على وجه الايجاد ٠

هذا وقد عرف أن الوحدانية تنفى كموما (١٧) خمسة وهى :

١ - الكم المتصل فى الذات : معناه : أن ذاته مركبة من أجزاء .

٢ - الكم المنفصل فى الذات أيضا : معناه : تعدد ذات الواجب بحيث يكون هناك اله ثان أو أكثر .

وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات .

٣ - الكم المتصل فى الصفات : ومعناه : التعدد فى صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين ، وإرادتين .

٤ - الكم المنفصل فى الصفات : ومعناه : أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى ، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم بها كقدرته تعالى أو ارادة تخصص الشيء ببعض الممكنات - وهذان الكمان منفيان بوحدانية الصفات .

٥ - الكم المنفصل فى الافعال - ومعناه : أن يكون لغير الله فعل من الافعال على وجه الايجاد - وانما ينسب له الفعل على وجه الكسب والاختيار - وهذا الكم منفى بوحدانية الافعال (١٧٦) .

---

(١٧٥) كموم - جمع كم بفتح الكاف وتشديد الميم معروف والكم هو كمية الشيء ومقداره .

(١٧٦) الامام ابراهيم البيجورى - شرح البيجورى على الجوهرة ص ٧٣ .

الدليل على وحدانية الله تعالى :

أولا الدليل النقلى :

ان الادلة النقليـــة على الوحدانية فى ذاته وصـــفاته وأفعاله كثيرة وكلها تدل على أن الفـــاعل ، واجب الوجود قديم – وهذا الواجب لا يتعـــدد والا تعدد القدماء بل هو واحد لا شريك له فى ذاته ، وفى صفاته ، وأفعاله قال تعالى « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحدا » (١٧٧) .

فهو تعالى « أحد » أى واحد فى ذاته ، وفى صـــفاته ، وفى أفعاله ، وهو « الصمد » أى الغنى الذى يقصده الناس فى حوائجهم لاحتياجهم اليه وغناه عنهم ، « لم يلد » أى لم ينبثق عنه ولد فهو جل شأنه فى غاية الكمال « ولم يولد » أى لم ينبثق عن غيره لأنه لا أول لوجوده « ولم يكن له كفوا أحد » أى لم يكن ولم يوجد أحد يســـاويه ويمـــاثله ، فقد تقدست عن الاشباه ذاته ، وتعالت عن النظائر صـــفاته . وتفردت بالوحدانية هويته ، واحد بلا عدد ، واحد بلا خفاء ، واحد فى ظهور ، وأحد فى بطون ظهوره لا يشبهه وبطونه لا يخفيه ، ظهوره لا يجســـده ، وبطونه لا يبعده ، ظهوره لا يعدده ، وبطونه لا يقطع عنا صلته ، ظهوره بأمره ، وبطونه بحقيقتـــه ، ظهوره بفعله ، وبطونه بسر غيبـــه ، ظهوره بكمالاته ، وبطونه بحقائق صفاته ، ظهوره بتدبيره وبطونه بذاتية أنواره ، ظهوره بتقديره ، وبطونه بدقيق حكمه (١٧٨)

---

(١٧٧) سورة الاخـــلاص .

(١٧٨) الدكتور عبد الله الشاذلى – الربوبية فى الفكر الاسلامى ص [illegible] .

قال تعـــالى « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (١٧٩) .

وقال تعالى : « انما الله اله واحد » (١٨٠) وقال « ما من اله الا اله واحد » (١٨١) وقال تعالى « قل انمـــا هو اله واحـد » (١٨٢) وقال « قل الله خـالق كل شيء وهو الواحد القهار » (١٨٣) وقال « وبرزوا الله الواحد القهار » (١٨٤) .

وقال تعالى « وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد » (١٨٥) .

وهكذا نلاحظ تعدد الآيات القرآنية — وكلها دالة على نفى كل ألوهية ســوى الواحد — وما ذلك الا لان الله يؤكد على واحدانيتـه وعلى نفى الشريك بكل معنى وصـــيغة يليقان بذاته ، ويبين أن الشريك منفى بكل وجه من الوجوه العقلية واللغوية وبكل صـيغة دالة على ذلك ذلك أن الادلة العقلية نفسها تمنع من وجود شريك لله تعالى فى الذات وفى الصفات وفى الافعال .

فالدليل العقلى على عدم تركب ذاته هو أنه لو تركبت ذاته تعالى من أجزاء لكانت الذات محتاجة فى تحققها الى جميع

---

(١٧٩) سورة البقرة الآية رقم ١٦٣ .
(١٨٠) سورة النساء الآية رقم ١٧١ .
(١٨١) سورة المائدة رقم ٧٣ .
(١٨٢) سورة الانعام الآية رقم ١٩ .
(١٨٣) سورة الرعد الآية رقم ١٦ .
(١٨٤) سورة ابراهيم الآية رقم ٤٨ .
(١٨٥) سورة النحل الآية رقم ٥١ .

أجزائها - والاحتياج نقص وهو محال عليه تعالى ، فتركيب ذاته محال .

والدليل على عدم وجود ذات تشــبه ذاته تعالى ، فلو وجدت ذات غير ذات الله تعالى متصفة بصـفات الالوهية - لو وجد الهين متصفان بصفات الالوهية من العلم ، والقدرة ، والارادة وغير ذلك - فاذا قصدا الى ايجاد مقدور معين كحركة جسم معين فى زمان معين فوقوعه اما أن يكون بهما فيلزم مقدور بين قادرين مستقلين بمعنى اســتقلال كل منهمـا بايجـاده - وهذا ممتنع ، واما أن يكون بأحدهمــا فيلزم التــرجيح بلا مرجح ، لان المقتضى للقــادرية ذات الاله ، وللمقــدرية امكن الممكن ، فنســبة الممكنات الى الالهين المفروضين على الســوية من غير رجحان ، وهذا البرهان يسمى برهان التمانع (١٨٦) وهو البرهان الذى ارتضـاه أغلب المتكلمين بل كلهم ولذلك يلخص الامام الاشعرى هذا البرهان بقوله : فان قال قائل : لم قلتم ان صانع الاشـياء واحد ؟ قيل له : لان الاثنين لا يجرى تدبيرهما على نظـام ولا يتسق على أحكام ، ولابد أن يلحقهمـا العجز أو واحداً منهما ، لان أحدهما اذا أراد أن يحيى انسانا وأراد الآخر أن يميته لم يخل أن يتم مرادهما جميعا أو لا يتم مرادهما ، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر ويســتحيل أن يتم مرادهما جميعا ، لانه يستحيل أن يكون الجسم حيـا ميتـا فى حال واحدة ، وان لم يتم مرادهما جميعا وجب عجزهما ، والعاجز لا يكون الها ولا قديما ، وان تم مراد أحدهما دون الآخر وجب عجز من لم يتم مراده منهما والعاجز لا يكون الها ولا قديما ،

---

(١٨٦) الامام سعد الدين التفتازانى - شرح المقاصد جـ٢ ص٤٦ ، ٤٧ .

مثل ما قلناه على أن صانع الاشياء واحد » (١٨٧) وقد قال الله تعالى « لو كان فيهما الهه الا الله لفسدتا » (١٨٨) فان اريد بالفساد عدم التكوين فتقديره . انه لو تعدد الاله لم تتكون السماء والارض . لان تكونهما اما بمجموع القدرتين او بكل منهما . أو بأحدهما . والكل باطل . لأن من شأن الآله كمال القدرة . وعليه فلو فرض الهان لهما صفات الالوهية لما امكن الاتفاق بينهما . بل لابد من وقوع التنازع، والتغالب بينهما . فيدافع كل منهما عن سلطانه وعن مملكته. وعندئذ لا يوجد شيء من العالم كما قال تعالى « قل لو كان معه الهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » (١٨٩) وقال تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (١٩٠)

الدليل على وحدانية الصفات :

عرفنا أن الوحدة شاملة للذات ، والصفات . والافعال . بمعنى أنه لا توجد ذات مثل ذاته تعالى . ولا صفة مثل صفاته تعالى . ولا فعل مثل فعله تعالى .

وعرفنا أيضا أن وحدة الذات تنفى التعدد فى الالهة . وتنفى التركيب فى الذات الالهية الواحدة . كذا فان وحدة الصفات تعنى عدم المشابهة فى الصفة . وعدم التعدد فى الصفة الواحدة . الدليل على ذلك .

---

(١٨٧) للامام الاشعرى — اللمع ص ٢٠ — ٢١ .
(١٨٨) سورة الانبياء الآية رقم ٢٢ .
(١٨٩) سورة الاسراء الآية رقم ٤٢ ، ٤٣ .
(١٩٠) سورة المؤمنون الآية رقم ٩١ .

فلو كان له تعالى صفتان من نوع واحد ، فاما أن تكون الصفه الواحدة كافيه فى التأثير والايجاد ، وحينئذ يكون وجود الثانية عبثا ، واما أن تكون غير كافية بل محتاجة لأخرى من جنسها ، فتكون كل منهما صفة ناقصة وهذا محال لما يلزم عليه من كون صفة البارى ناقصة ، حيث أن الصفة تابعة لدرجة الموصوف ، وبما أن وجوده تعالى أكمل واسمى أنواع الوجود فيجب تبعا لذلك أن تكون صفاته تعالى أكمل الصفات . وأسمى انواع الوجود فيجب تبعا لذلك أن تكون صفاته تعالى أكمل الصفات .

وان كانت الصفة المتعددة من صفات الكمال ، كالعلم والبصر . والسمع فان الامر لا يخلو - اما أن يكون الكمال الحاصل بالثانية هو عين الكمال الحاصل بالأولى - وعندئذ يكون وجود الثانية عبثا ذلك أنها لم تثبت كمالا زائد عما ثبت بالأولى - وهذا باطل . وان كان الكمال الحاصل بالثانية غير الكمال الحاصل بالاولى ، فلا يكون هناك تعدد - لأنهما حينئذ يكونان صفتان مختلفتان .

هذا بالاضافة الى أنه ليس هناك صفة تشبه صفاته تعالى - لان الصفة تتبع الموصوف فى مرتبة الوجود - والحق تبارك وتعالى واجب الوجود وما عداه ممكن الوجود. فقد قام الدليل على استحالة وجود ذات تشبه ذات الله تعالى - فلا يمكن أن يكون لغيره صفة تشبه صفته تعالى فالله سبحانه وتعالى ، قادر بقدرة واحدة ، لا بقدرتين ، مريد بارادة واحدة بارادتين - وهكذا فالصفة الواحدة لا تتعدد أبدا .

وحدانية الأفعـــال :

معنى وحدانية الأفعال : هو أن الله تعـــالى واحد فى افعاله ، فليس لغيره فعل فعل يشبه فعله تعالى ، فالعرش . والسموات والارض وما فيها من جرم أو عرض كله مخلوق لله تعالى وحده ـ لا شريك له فى ذلك فليس لاحد غيره فعل من الافعال ـ فهو جل شأنه الخالق فلا خالق غيره ٠

فهذه الوحدة الفعلية تنفى أن يكون لغيره فعل مع فعله جل جلاله فلا تأثير لشىء فى شىء أبدا سواء كان هذا التأثير عن طريق الاختيار أو عن طريق العلة والمعلولية ، أو عن طريق الطبع ، بمعنى أنه ليس هناك صـــاحب فعل مختار فيه الا لله تعالى ـ كما أنه ليس هناك تأثيرات عليه ، فالعـلاقة بين العلة والمعلول لا توجد الا بأمر الله تعالى ولا يحدث فعلها الا باذنه تعالى ـ ولو شاء لابطل عمل العلة فلا يوجد المعلول

ومن هنا يتضح لنا أن عقيدة الاسلام تهتف بالانسان فى كل لحظـة أنه ليس لهذا لهذا الكون الا اله واحد ـ وأن ما سواه عبد له ٠

يقول الحق تبارك وتعالى « ان كل من فى الســـموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصـــاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (١٩١) ٠

هذا وقد ثبت أن الله تعالى واحد فى ذاته ، وصـفاته ، وأفعاله ، وأنه تعالى مخالف للحوادث ، فهو واجب الوجود لا أول لوجوده ، ولا آخر لبقائه ، فهو الأول ، والآخر ، المنزه

---

(١٩١) سورة مريم الآية رقم ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ٠

عن شوائب النقص المتصف بكل كمال لائق بذاته العلية فهو سبحانه منزه عن :

الضد : لانه لو كان له ضد للزم ارتفاع الذات الالهية دائما ، ان كان وجود الضد دائما ، ومدة وجود الضد ان لم يكن وجوده دائما ـ واذا جاز ارتفاع الذات الالهية دائما أو مدة من الوقت لم يكن والحالة هذه واجب الوجود وقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود فيثبت انتفاء الضد لله تعالى ومنزه أيضا عن الشريك ـ المشارك فى القدم ، والخلق ، والايجاد ـ وهذا مستحيل لثبوت الوحدانية له تعالى ٠

ومنزه عن الشبيه ، والنظير والمثيل ، فكل ذلك منفى ، فليس هناك شبيه ، ولا نظير ، ولا مثيل له تعالى لا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، فقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود وحده وأنه مخالف للحوادث فلا يشبهه شىء من خلقه ٠

ومنزه عن الوالد ، والولد ، والصاحبة والصديق قال تعالى « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم » (١٩٢) ٠

وقوله جل شأنه « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » (١٩٣) ٠

فبسورة الاخلاص يتم تنزيه البارى جل شأنه فقوله « قل هو الله أحد » اشارة الى نفى الكثرة والتركيب ـ كما

---

(١٩٢) سورة الانعام الآية رقم ١٠١ ٠
(١٩٣) سورة الاخلاص ٠

أنها تنفى تعدد الالهية ، وقوله « الله الصمد » أى المصمود فى ذاته المقصود فى الحوائج والمهمات ، وهذا اشـارة الى نفى النقص والقلة ، وقـوله « لم يلد ولم يولد » اشـارة الى نفى العلة والمعلولية وقوله « ولم يكن له كفوا أحد » اشـارة الى نفى الشبيه والنظير .

هذا وقد جمع صاحب جوهرة التوحيد كل ذلك فى قوله

قيامه بالنفس وحـــدانية

منزها أو صـــافه ســـنية

عن ضد أو شبه شريك مطلقا

ووالد كذا الولد والاصـدقاء

وبعـــد : هذا نلحظ ان دعوى اليهود أن العزيز ابن الله ودعوى النصارى أن المسيح ابن الله دعوى باطلة من أساسها بل ان فيها افتراء واجتراء على الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

صـــفات المعانى

الصـــفات جمع صـــفة وهى بمعناها العام تطلق على الاسم الدال على بعض أحـــوال أى ذات وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وغير ذلك ٠

اما صفات المعانى : فهى من صفات الذات وتطلق على الصفات التى يوصف بها الله تعالى دون أضدادها ، وتمتاز عن الصـــفات الخبرية بأن طريق ثبوتها السـمع والعقل معا ، اما الصـــفات الخبرية فطريق ثبوتها السمع وحده وسميت بصفات المعانى لانها تفيد معنى قائم بالذات العلية لا ينفك عنها وهى القدرة ، والارادة ، والعلم ، والحيـــاة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ٠ وزاد بعضهم صـــفة البقاء ، وبعضهم صفة التكوين على أنها غير القدرة ٠

وفى اشارة خفيفة نشير الى بعض هذه الصفات :

١ - القـــدرة :

ان كل ما فى هذا - الكون يدل على قدرة الله تعـــالى ، فكل ما يراه الانسان ويشاهده كل ذلك بقدرة الله تعالى - فليس هناك قادر فى المخلوقات بنفسه وانما قدرته تستمد من قدرة الله سبحانه وتعالى ، فقدرة الله ســبحانه وتعالى لا يعتريها قصور ولا عجز ، ولا يعزب عن قدرته شىء ولا تحد مقدوراته تعالى :

فالقدرة لغة القوة والاستطاعة ٠

وفى اصطلاح علماء الكلام : صـــفة أزلية قائمة بذاته تعالى زائدة عليها يتأتى بها ايجـاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة والعلم ٠

وعلى هذا يكون ما خصصه الله تعـالى بارادته أبرزه بقدرته ، فالقدرة عامة التعلق بالمكنات ، ولا تتعلق ، ولا تعمل فى الواجبات ولا فى المستحيلات فلو تعلقت القدرة ، أو الارادة بالواجب لتنـزيل ثبـوته لم يكن واجب عقلى لان الواجب العقلى : هو الامر الثابت الذى لا يقبل الانتفـــاء والعدم ولو تعلقت القدرة والارادة بالمستحيل لتنزيل انتفاءه لم يكن مستحيلا عقلى لان المستحيل العقلى هو : الامر المنفى الذى لا يقبل الثبوت بحال من الاحوال .

وعلى هذا تشـــمل القدرة والارادة جميع المكنات فلا يخلق فى ملكه أمرا لم يرده ، فالله سبحانه وتعالى له الخلق والامر وأن أمره اذا أراد الشىء أن يقول له كن فيكون .

فتعلق القدرة بايجاد الاشـياء أمر متفق عليه ـ وذهب الامام الأشعرى الى أنها لا تتعلق باعدامنا بعد وجودنا ، بل اذا أراد الله عدم المكن قطع عنه الامدادات فينعدم بنفسه كالفتيلة اذا انقطع عنها الزيت انطفأت بنفسها (١٩٤) .

فوظيفة القدرة عند أغلب الاشـــاعرة هى الايجاد ، أما الاعدام فلا يحتاج الى تأثير سواء فى الجواهر أو الاعراض يقول امام الحرمين :

ان الإعدام هو العدم ، والعدم نفى محض ، ويستحيل أن يكون المقدور نفيا (١٩٥) . ولكن ليس معنى هذا أن العدم

---

(١٩٤) الامام ابراهيم البجورى ـ شرح البجورى على الجوهرة ص ٧٨ .

(١٩٥) امام الحرمين الجـوينى ـ الارشـاد ص ٢١٨ . تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وآخر نشر مكتبة الخانجى مطبعة السعادة ١٣٦٩هـ .

غير مقدور للباري تعالى فهو جل شأنه ان شاء الفعل فعل ، وان شاء أن لا يفعل لم يفعل فهو أن شاء فعل العدم (١٩٦) ، وعليه فتعلق القدرة بالاعدام كتعلقها بالايجاد يشـــير الى ذلك قوله تعالى « تبـارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عمـلا وهو العزيز الغفور » (١٩٧) فالموت اعـدام وقع على الخلق وهو من عمل القدرة ٠

الدليل على قدرة الله تعالى :

لقد ثبت أن العالم حادث ، وأن الذى أوجد هذا العـالم هو الله تعـالى فلابد أن يكون قادر ، فلو لم يكن قادرا لكان عاجزا ، ولو كان عاجزا لما استطاع ايجاد هذه المخلوقات بهذا النظام البديع لكن وجود هذه المخلوقات ثابت بالمشاهدة ـ فثبت أنه تعالى قادر وبطل نقيضه وهو العجز ٠

الدليـــل النقلى قوله تعـــالى « ان الله على كل شئ قدير » (١٩٨) وقوله تعالى « وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا » (١٩٩) وقوله تعالى « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » (٢٠٠) ٠

---

(١٩٦) الامام سعد الدين التفتازانى ـ شرح المقاصد جـ٢ ص٦١ ٠

(١٩٧) ســورة الملك الآية رقم ١ ، ٢ ٠

(١٩٨) سورة البقرة الآية رقم ٢٠ ٠

(١٩٩) سورة فاطر الآية رقم ٤٤ ٠

(٢٠٠) سورة الملك الآية رقم ١ ، ٢ ٠

وقوله تعالى « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » (٢٠١) .

---

(٢٠١) سورة الانعام الآية رقم ٦٥ .

الارادة

ان الله سـبحانه وتعالى مريد للكائنات ، وان ارادته قائمة بذاته فى جملة صفاته وهو مدبر للحادثات ، مريدا فى الأزل لوجود الاشـياء فى أوقاتها التى قدرها ، فوجدت فى أوقاتها كما أراد فى الأزل من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير ٠

فالارادة من الصفات الثبوتية وهى فى اللغة القصد والطلب ٠

وفى اصطلاح علماء الكلام صـفة ثبوتية قديمة زائدة على الذات قائمة بها ، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة وذلك كالوجود والعدم ٠

وليست مهمـة الارادة قاصرة على الايجـاء والاعدام فحسب بل تتعدى ذلك الى بقية الممكنات كما أشار الى ذلك صاحب جوهرة التوحيد فقال :

المكنـات المتقـابلات
وجودنا والعدم الصـفات

أزمنـة أمكنـة جهـات
كذا المقادير روى الثقـات

ومعنى كونها متقابلات متنـافيات ، فالوجود يقابل العدم وبالعكس ٠

وبعض الصفات يقابل بعضا فكونه أبيض مثلا يقابل كونه أسـود ، وبعض الازمنة يقابل بعضا فكونه فى زمن الطوفان مثلا يقابل كونه فى زمن سيدنا محمد ﷺ ، وبعض

الامكنة يقابل بعضا فكونه فى مكان كذا كمصر يقابل كونه فى مكان غيره كالسـعودية مثلا ، وبعض الجهات يقابل بعضا فكونه فى جهة المشرق يقابل كونه فى جهة المغرب . وبعض المقادير يقابل بعضا فكونه طويلا مثلا يقابل كونه قصيرا (٢٠٢) .

هذا والارادة ثابتة لله تعالى بالدليل العقلى والنقلى .

أما الدليل العقلى : لو لم تجب له تعالى الارادة لكان مكرها ، ولو كان مكرها لما وجد شىء من هذا العالم ، لان ايجاد العالم لا يصح بدون الارادة ، لان المكره لا يقوى على فعل ما يريد ، لكن العالم موجود بالمشاهدة والعيان - فثبت كونه سبحانه متصفا بالارادة ، وضد الارادة الكراهية ، والكراهية مستحيلة على تعالى .

ومن الأدلة النقلية قوله تعالى « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (٢٠٣) .

وقوله تعالى « ان ربك فعال لما يريد » (٢٠٤) وقوله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » (٢٠٥) .

وقوله تعالى « ان الله يحكم ما يريد » (٢٠٦) وقوله تعالى « انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٢٠٧) .

---

(٢٠٢) انظر جوهرة التوحيد ص٧٩ .
(٢٠٣) سورة يس الآية رقم ٨٣ .
(٢٠٤) سورة هود الآية رقم ١ .
(٢٠٥) سورة القصص الآية رقم ٦٨ .
(٢٠٦) سورة المائدة الآية رقم ١ .
(٢٠٧) سورة النحل الآية رقم ٤٠ .

العـــلم

من الصفات الواجب اتصافه بها جل شأنه العلم ، وعلم الله سبحانه وتعالى شامل لجميع الازمنة ، والامكنة ، وان الاشياء والمعلومات كلها مكشوفة لديه سواء أكانت فى الماضى أو الحال أو المستقبل ولهذا تعرف صفة العلم بأنها صـفة ثبوتية قديمة قائمة بذاته تعالى زائدة عليها متعلقة بجميع الواجبات ، والجائزات والمستحيلات على وجه الاحاطة على ما هى عليه من غير سبق خفــاء ، أى تنكشف بهــا جميع الاشياء انكشافا تاما لم يســبق بخفاء ، وهذا الانكشاف يغاير الانكشاف بصفتى السمع ، والبصر ، فصـفة العلم تحيط بكل موجود ـ واجبــا كان ، أو جـائزا وبكل معدوم مستحيل كان أو ممكنا ، فالله تعالى يعلم كل شىء على ما هو عليه فى الواقع ، وعلمه سـبحانه وتعالى لم يسبق بجهل ولا يعتريه نسيان ولا يتقيد بزمان ولا مكان ٠

وعلمه تعالى بالكليات كعلمه بالجزئيــات ـ وما يبدو فى الكون من نظام واتقان واحكام ما هو الا برهان ساطع على شمول علمه وكمال حكمته سبحانه وتعالى ٠

فعلم الله سبحانه وتعالى لا يتغير بتغير المعلوم ، فالله سبحانه وتعالى يعلم الشىء الموجود على ما هو عليه ـ فاذا تغير الموجود ـ وحصل له تغير لم يحصل لله علم جديد غير العلم القديم . لان تغير العلم لا يليق بالله تعالى المحيط بكل ما كان ، وما قد يكون ، وما هو كائن ، فالله سبحانه وتعالى يعلم كل شىء قبـــل وجوده ، وبعــد وجوده ، وحال وجوده بدرجة واحدة ، فالماضى ، والحاضر ، والمســتقبل ـ أطوار

وتغيرات تحصل للمعلوم (٢٠٨) - ولا يترتب عليها تغير فى علم الله تعالى لان الله تعــالى علم كل شىء فى الازل ، وكل ما يحدث ، فانه يحدث حسب علم الله الازلى ٠

فعلم الله تعالى شامل لكل شىء اجمالا وتفصـيلا ، كليا وجزئيا ، حسيا ومعنويا متناهيا وغير متناه ٠

الدليل على ذلك :

أما الدليل العقلى لقد ثبت بالدليل ان جميع الكائنات حادثة وأن محدثها هو الله تعــالى ، وان من يتأمل فى هذه الكائنات يجد أنها قد اشتملت على نظام بديع وصنع عجيب وترتيب دقيق ، وأودع فى كل نوع منها خصـائص ما جعله مستعدا لاداء ما خلق لاجله فى هذه الحياة ٠٠ وكل فعل هذا شأنه يدل على أن فاعله عالم - فهذه الكائنات مع مااشتملت عليه تدل على أن فاعلها وهو الله عالم ٠

ولزيادة الايضاح نقول : لو لم يكن الله تعالى عالما لكان جاهلا ولو كان جاهلا لما وجد العالم على هذا النظام البديع - وعدم وجود العالم على نظام بديع باطل بالمشاهدة فبطل ما أدى اليه وهو الجهل وثبت نقيضه وهو العلم له سبحانه وتعالى ٠

هـذا وقـد جاء فى القرآن الكريم والســنة النبوية الصحيحة - الكثير من الآيات والأحاديث التى ثبت العلم له سـبحانه وتعالى منها قوله تعــالى « وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصـــدور ألا يعلم من خلق وهو

---

(٢٠٨) الدكتـور احمد أبو السـعادات - دراسـات فى العقيدة الاسلامية ص٣٨٠ ٠

اللطيف الخبير » (٢٠٩) وقوله تعالى « قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شىء قدير » (٢١٠) وقوله تعالى « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » (٢١١) ٠

وروى الامام البخارى عن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الامر كما يعلمنا السورة فى القرآن يقول لنا : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقل : اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ، ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم هذا الامر « يسميه بعينه » خيرا لى فى دينى ومعاشى ومعادى وعاقبة أمرى فأقدره لى ويسره لى وبارك لى فيه ، وان كنت تعلمه شرا لى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان فى عاجل أمرى وآجله » (٢١٢)

---

(٢٠٩) سورة الملك الآية رقم ١٣ ، ١٤ ٠

(٢١٠) سورة آل عمران الآية رقم ٢٩ ٠

(٢١١) سورة الانعام الآية رقم ٥٩ ٠

(٢١٢) الامام البخارى - صحيح البخارى - كتاب الدعاء عند الاستخارة جـ٨ ص ١٠٢ ٠

الحيـــاة

بات واضــحا ان وجوده جل شأنه قد بلغ الغاية فى عظمته وآثاره فهو جل شأنه موجـود ويعطى الوجود لغيره عن ارادة واختيـــار وادراك ، فوجود كل حى منه . وليس وجوده من شىء بل وجوده من ذاته ، ولهذا فقد عرف العلماء صفة الحياة : بأنها صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى زائدة عليها ، تقتضى صحة اتصـــافه تعالى بنحو الارادة . والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر والكلام .

هذا وقد عرف الشيخ السنوسى الحياة بتعريف يشمل الحياة القديمة وهى الخاصة بذاته تعالى ، والحياة الحادثة وهى الخاصة بالمخلوقات فقال : هى صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بصفات الادراك (٢١٣) .

وعرف بعضهم كلا منهما بتعريف يخصه فعرف الحياة القديمة وهى الخاصـــة بذاته تعالى : بأنها صـفة أزلية تقتضى صحة الاتصاف بغيره من الصفات الواجبة - وانما اقتصر على العلم لانه شرط فى غيره ، اذ القـدرة ، والارادة وغيرهما من الصـــفات لا تتحقق الا بالعلم ، فالعلم شرط فيها ، وجعل الحياة شرط فى الاتصاف بالعلم يســـتدعى كونها شرطا فى الاتصاف بالصـــفات الاخرى ، لان شرط الشرط شرط (٢١٤) .

هذا وعرف الحياة الحـــادثة بأنها كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الارادية .

---

(٢١٣) انظر شرح البيجورى ص ٨٥ .

(٢١٤) المصدر السابق نفس المكان .

وعلى هذا فهناك فرق بين الحيـاتين : الحياة القديمة والحادثة ٠

١ ـ حياته جل شأنه بذاته أما حياة الحوادث فليست بذاتها ٠

٢ ـ حياته جل شأنه ليست بروح أما حيـــاتنا فهى مرتبطة بالروح ٠

٣ ـ الحياة فى الممكن صفة طبيعية هى منشأ الحركة والحس أما حيـــاته جل شأنه فهى تابعـــة لذاته الكريمة المباينة لذوات الحوادث والممكنات ٠

الدليل على ثبوت الحياة لله تعالى :

الدليل النقلى قوله تعـــالى « الله لا اله الا هو الحى القيـوم » (٢١٥) وقوله تعـــالى « وتوكل على الحى الذى لا يموت » (٢١٦) وقوله تعالى « هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العـالمين » (٢١٧) الى غير ذلك من الآيات فى هذا ٠

الدليل العقلى : لو لم يكن تعالى حيا لكان ميتا . ولو كان ميتا لما صح اتصافه جل شأنه بصفات المعانى والتى هى ، العلم والقدرة ، والارادة وغيرها ـ لكن عدم اتصـــافه سبحانه بصفات المعانى باطل ـ لانها ثابتة له ســـبحانه

---

(٢١٥) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ ٠
(٢١٦) سورة الفرقان الآية رقم ٥٨ ٠
(٢١٧) سورة غافر الآية رقم ٦٥ ٠

وتعالى بالادلة كما أشرنا الى ذلك فبطل ما أدى اليه - وهو كونه تعالى ميتا وثبت نقيضه وهو الحياة .

يقول الشيخ محمد الغزالى وهو يتحدث عن صفة الحياة (٢١٨) ، أطلق لخيالك العنان ، وتصور كل ما تنتجه الايدى « الحية » من أعمال ، وما تنشئه العقول « الحية » من أفكا روما تهتز به الافئدة « الحية » من مشاعر ، واجعل هذا الخيال يضم أشتات ذلك من مشارق الارض ومغاربها ويستجمع ما حدث فى الاعصار الخالية ، وما يحدث اليوم وما سوف يحدث غدا - الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

ان مظاهر هذه الحياة المفعمة بالقوة والانتاج ، لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة الى الحياة الالهية الواسعة ، بل هى أثر ضئيل من أعمال الحى الذى لا يموت ، الحى الذى ينفخ من روحه فى الموات فيهتز وفى الجماد فيتحرك قال تعالى « ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون » (٢١٩) .

---

(٢١٨) عقيدة المسلم ص٩٠ .

(٢١٩) سورة الانعام الآية رقم ٩٥ .

الســـمع

من صفات المعاني الواجب اتصاف الله تعالى بها صفة السمع ، وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى زائدة عليها تنكشف بها الموجودات انكشافا يغـــاير الانكشاف بصفى العلم والبصر .

ومعنى هذه الصفة ان الله ســبحانه وتعالى يسمع كل شىء ، « يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملســاء فى الليلة الظلماء » فلا يشغله سماع عن سماع ولا يبعد عن سمعه شىء فى الأرض ولا فى الســـماء ، ولا يتوقف سمعه على آلة ومسافة وجهة ومقابلة من الشروط العادية بالنسبة للحوادث لانه مخالف لها . وهو سبحانه لا يسمع بجارحة ولا بأذن ولا بصماخ .

فسمعه ســـبحانه وتعالى مما يليق بذاته المقدســـة فلا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشـــبه ذاته ويتعلق سمعه بجميع الموجودات والدليل على ذلك قوله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » (٢٢١) وقوله تعالى « لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى » (٢٢٢) .

أما الدليل العقلى فهو أنه تعالى لو لم يكن سميعا لكان أصما ، ولو كان أصما لكان ناقصا ، ولو كان ناقصـــا لكان

---

(٢٢٠) سورة النبأ الآية رقم ٥٨ .

(٢٢١) سورة المجادلة الآية رقم ١ .

(٢٢٢) سورة طه الآية رقم ٤٦ .

عاجزا والعجز عليه تعالى محـــال فبطل ما أدى اليه وهو الصمم وثبت نقيضه وهو السمع .

والذى يدل على أن صفة السمع صفة كمال ، والسميع أكمل ممن لا يسمع هو أن سيدنا ابراهيم عليه السلام اتخذ من فقد السمع موطن ذم للأصنام حين كان يندد بها قومه العابدين لها فقال « هل يسمعونكم اذ تدعون » (٢٢٣) وقوله « يأبت لم تعبـــد ما لا يســـمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » (٢٢٤) فدل ذلك على أن المودع فى الفطر أن من شأن الاله أن يكون سميعا يجيب من دعاه ويســـمع نجوى من ناجاه .

---

(٢٢٣) سورة الشعراء الآية رقم ٧٢ .
(٢٢٤) سورة مريم الآية رقم ٤٢ .

البصـــــر

من الصفات الواجب اتصافه بها جل شأنه صفة البصر، وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعــالى وزائدة عليها تنكشف بها جميع الموجودات انكشافا تاما يغاير الانكشاف بصفتى العلم والسمع ·

وكما أن الحق جل شأنه يســمع كل شىء فهو يرى كل شىء فالرؤية الالهية تســـتوعب جميع المدركات من جميع الجهات فى وقت واحد ، وأنها غير محجوبة بظلام أو ببعد مسافة ، فالله يرى المخلوقات جميعها فى وقت واحد لا تشغله رؤية عن رؤية ، وبصره تعـــالى لا يشــــبه فى شىء بصر مخلوقاته ، فهو لا يرى بحدقة ، وانما له جل شأنه بصر يليق بذاته جل شأنه ـ هذا ويتعلق بصره بجميع الموجودات كما يتعلق السمع ·

الدليل :

الدليل العقلى قوله تعـــالى « وأن تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير » (٢٢٥) وقوله تعـــالى « له غيب الســــموات والأرض أبصر به وأسمع » (٢٢٦) وقوله تعالى « وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير » (٢٢٧) ·

أما الدليل العقلى : فلو لم يكن الله تعالى بصيرا لكان اعمى ، ولو كان أعمى لكان ناقصـــا ، ولو كان ناقصـــا لكان

---

(٢٢٥) سورة البقرة الآية رقم ٢٣٧ ·

(٢٢٦) سور الكهف الآية رقم ٢٦ ·

(٢٢٧) سورة التغاين الآية رقم ٢ ·

عاجزا عن دفع النقص عنه ، والعجز على الله محـــال فبطل ما أدى اليه وثبت نقيضه وهو البصر .

ولذلك يقول الامام الأشعرى أنه تعالى لما كان لم يزل حيا ، فهو لم يزل سميعا بصيرا ، لانه لو كان لم يزل حيـا وهو غير سميع ولا بصير ، لكان لم يزل موصـــوفا بضد السمع من الصمم والآفات ، وبضد البصر من العمى والآفات وهو محال عليه تعالى فصح أنه لم يزل سميعا بصيرا (٢٢٨)

---

(٢٢٨) الامام الاشعرى اللمع ص ٢٦ .

الكـــلام

من صفات المعانى ـ الكلام ، فالله ســبحانه وتعالى متصف بصفة الكلام فمن صفاته أنه جل شأنه متكلم ، آمر ناه ، واعد ـ بكلام أزلى قديم قائم بذاته . فلا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق ·

والكلام : صفة وجودية ، قديمة قائمة بذاته تعـالى ، وزائد عليها منزهة عن الترتيب والتقديم والتأخير ، تـدل ـــى جميع الواجبات والمســتحيلات ، والجائزات ، منزهة عن السكوت النفسى والآفة الباطنية ·

وتدل صفة الكلام أيضا على الامر بالطــاعات ، وعلى النهى عن المحرمات ، وعلى الوعـد بالثواب للمطيع ، وعلى الوعيد بالعقاب للعـــاصى ، وعلى الاخبـــار بجميع ما كان وما يكون ، وعلى أن الله هو الاله ، الواحد ، الناهر ، القادر ، العالم ، المتصف بكل كلام ، والمنزه عن كل نقص ، المختـــار فى جميع شئونه ، وأنه الخالق لجميع الكائنـــات ، وأن لله رسلا ، وأنبياء وملائكة ، وكتبا ، وأن الساعة اتية لا ريب فيها ، وأن هناك بعثا ، وحشرا ، وحساب ، وجنة ، ونارا ، وثوابا ، وعقابا ·

فكلام الله تعالى هو ما أوحاه الى رســـله الكرام كى يبلغوه للبشر مشتملا على ما فيه سعادتهم فى شئون معاشهم ونجاتهم يوم يلقون الله تعالى فى الدار الآخرة ·

هذا وقد وقع خلاف كبير حول صـفة الكلام ـ هل هو قديم قدم الذات الالهية التى صدر عنها هذا الكلام ؟ أم حادث مخلوق ؟

هذا هو جوهر مشكلة صـــفة الكلام والتى لعبت دورا هاما فى الفكر الاسلامى حتى أنهم سـموا علم العقائد علم الكلام .

وكان مدار الخلاف كما قلنا هو بيان حقيقة الكلام :

فأهل السنة يرون أن الله تعالى متصف بصفة الكلام ، الذى هو صفة أزلية قائمة بذاته تعـــالى ليست بحرف ولا صوت ، منزهه عن التقدم والتأخر . ومنزهه عن السكوت النفسى وعن الآفة الباطنية .

فهو يطلق كذلك على المعنى القائم بالنفس الذى يعبر عنه بهذه الألفـــاظ ويسمى الكلام النفسى يقول جل شأنه « ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنـــا الله بما نقول » (٢٢٩) ويقول سبحانه وتعـالى « وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور » (٢٣٠) .

ومن ذلك قول الأخطل الثعلبى :

لا يعجبنك من خطيب خطبة
حتى يكون مع الكلام أصيلا
ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ان المقصود من كلام أهل السنة الكلام النفسى الذى هو صفة قائمة بذاته سبحانه كبقية صفات المعانى .

---

(٢٢٩) سورة المجادلة الآية رقم ٨ .
(٢٣٠) سورة الملك الآية رقم ١٣

هذا وتتعلق صفة الكلام بأنواع الحكم العقلى الثلاثة ، الواجب ، المستحيل الجائز ، وذلك لتعبر عن حكم كل منها وهى صفة واحدة لا تعدد فيها الا أن هذه الصفة لها أقسام اعتبارية من حيث متعلقـــاتها فاذا تعلقت بطلب فهى أمر ، وان تعلقت بمنع فهى نهى ، وان تعلقت بالاخبار فهى خبر ، وبالتبشير والانذار فهى وعد ووعيد ٠

ومن الذين خالفوا أهل السنة على هذا المعتزلة وفسروا الكلام بالحروف والاصـــوات الحادثة أى الكلام اللفظى ، ونفوا أن يكون الكلام بهذا المعنى وصفا لله لانه ســـبحانه لا يتصف بالحوادث وانما المقصود أنه خالق الكلام ٠

ومن المخالفين لاهل السنة أيضا : الكرامية ، والحنابلة قالوا ان كلام الله تعالى هو الحروف والاصوات المتوالية وهى فى رأيهم قديمة ٠

هذا ويرى صاحب شرح الطحاوية أن الناس فى مسألة الكلام على تسعة أقوال وهى :

احـــدها : أن كلام الله هو ما يفيض على النفـــوس من المعانى ، اما من العقل الفعال عند بعضهم أو من غيره ـ وهذا قول الصابئة والمتفلسفة ٠

ثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه ـ وهذا قول المعتزلة ٠

ثالثهـــا : أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الامر ، والنهى ، والخبر ، والاستخبار ، وان عبر عنه بالعربية كان

قرآنا ، وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة - وهذا قول ابن قلاب ومن وافقه كالاشعرى وغيره .

رابعها : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة فى الأزل - وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث .

خامسها : أنه حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما - وهذا قول الكرامية وغيرهم .

سادسها : أن كلامه يرجع الى ما يحدثه من علمه ، وارادته ، القائم بذاته وهذا يقوله صاحب المعتبر ، ويميل اليه الرازى فى المطالب العالية .

سابعها : أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ماخلقه فى غيره - وهذا قول أبى منصور الماتريدى .

ثامنها : أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات ، وبين ما يخلقه فى غيره من الاصوات ، وهذا قول أبى المعالى ومن اتبعه .

تاسعها : أنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديما - وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة (٢٣١) .

ثم قال صاحب الطحاوية أيضا وللناس فى مسمى الكلام عند الاطلاق أربعة أقوال :

---

(٢٣١) الامام ابن أبى العز شرح الطحاوية ص١١٣ .

احدها : أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعـــا كما يتناول لفظ الانسان الروح والبدن معا - وهذا قول السلف ٠

الثانى : اسم « اللفظ » فقط والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه - وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم ٠

الثالث : أنه اسم للمعنى فقط واطلاقه على اللفظ مجاز لانه دال عليه - وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه ٠

الرابع : أنه مشـــترك بين اللفظ والمعنى - وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية ، ولهم قول خامس - يروى عن أبى الحسن - أنه مجاز فى كلام الله حقيقة فى كلام الادميين - لان حروف الآدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم بخـــلاف كلام الله فانه لا يقوم عنده بالله فيمتنع أن يكون كلامه (٢٣٢) ٠

بعد عرضنا لهذه الآراء نرى أن الرأى المختار هو الرأى القائل بأن الكلام صفة وجودية قديمة قائمة بذات الله تعالى وزائدة عليها وطريقة ايصال الله تعالى كلامه للملك أو للبشر أو لغيرهمـــا نحن لا نعلمهـا لعدم ورود ما يدل عليها ، أو يشرحها من الادلة الصحيحة - وهى كغيرها من الصـفات الكمالية الالهية التى أثبتها سبحانه لذاته ، والتى لايمكننا الوصول الى العلم بحقائقها - كما أنها لا تشبه كلام الناس فى شىء مثلها فى ذلك مثل جميع صفات الله تعالى وما خالف هذا فهو مردود عنـــدنا (٢٣٣) لان الرأى الذى اخترناه هو رأى أهل السـنة والجماعة - وهو ما عليه سلف الامة ومن سار على نهجهم من خلفهم الاخيار ٠

---

(٢٣٢) المصدر السابق ص ١٢٩ ، ١٣٠ ٠

(٢٣٣) الدكتـور احمد أبو السـعادات - دراسـات فى العقيدة الاسلامية ص ٤٢٩ ٠

الأدلة على ثبوت الكلام لله تعـالى

من الادلة النقلية على ثبوت الكلام لله تعـالى قوله جل شأنه « وكلم الله موسى تكليما » (٢٣٤) وقوله تعالى « وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسـل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه عليم حكيم » (٢٣٥) .

وقوله تعالى « ولو انما فى الأرض من شـجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » (٢٣٦) .

فكلامه جل شأنه لا يدخل تحت الحد والاحصاء والحصر والعد ، فالنظم القرآنى الشريف دال على صفة الكلام .

أما الدليل العقلى هو أنه تعالى لو لم يتصف بصـفة الكـلام لاتصف بالبكم ، والبكم نقص ، والنقص على الله محال ، فاستحال ما أدى اليه وهو البكم وثبت نقيضه وهو الكلام .

---

(٢٣٤) سورة النساء الآية رقم ١٦٤ .

(٢٣٥) سورة الشورى الآية رقم ٥١ .

(٢٣٦) سورة لقمان الآية رقم ٢٧ .

الفصل الرابع

العـــدالة الألهيـــة

توطئـــــة :

أشرنا فيما سبق الى كثير من مظـاهر التدبير الالهى لامر الكائنات جميعا ، فقد أحاط الله بالكون علما ، وقدرة . وارادة ومشيئة ، فكذلك ينبغى أن يخضع الناس لامر الله تعالى وشرعه ، فقد أحاط بهم أيضا علما وقدرة قال تعـالى « يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون » (١) وقوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » (٢) ·

فواحدانية الله تعالى التى تقتضى هيمنة الله على خلقه تدبيرا ورعاية تقتضى أيضا عبودية خلقه له تعالى بالانتباد لامره ، واتباع شرعه وحده جل شأنه ، كما تحقق للانسان كيانه ، فهى لا تتركه يسير بغير انضباط ، أو يتوجه لغير غاية ، أو يضرب بلا رقابة ، أو يتحرك فى غير سلوك محدد، أو يعمل وهو غير مؤمن بالحســـاب ، فهى قائمة على قاعدة العمل والجزاء والشـــعور بالمسئولية تجاه نفسه وتجاه الآخرين قال تعـــالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٣) ·

وبالنظر الى حكمة الله تعالى فى خلقه وتدبيره لشئون عباده يلاحظ أن أمور العالم كلها ، سواء أكانت فى نفوس الناس أو ما حولها فى الكون تجرى وفق عدالة الله البالغة وسنته الحكيمة ، فالعدل وضع الشىء فى موضـــعه ، وهو التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة والعلم ·

---

(١) سورة الانعام الآية رقم ٣ ·
(٢) سورة الاعراف الآية رقم ٧ ، ٨ ·
(٣) سورة الزنزلة الآية رقم ٥٤ ·

يقول الشـــــهرستانى ، وأما العدل ، فعلى مذهب أهل السنة ان الله تعالى عدل فى أفعـــاله ، بمعنى أنه متصـــرف فى ملكه ومليكه ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (٤) .

فهو جل شأنه حكيم فى جميع أفعاله ، وحقيقة الحكمة فى أفعاله سبحانه وتعالى وقوعها موافقـــة لعلمه وارادته ، وهو الحكمة فى أفعال الحكماء فى الشاهد ، لان من فعل فعلا لا يقع على موافقة ارادته ــ يقال أنه لم يرتبه على حكمة منه فيه . فاذا حصل مراده فيه يقال انه حكيم فى فعله ، ولايمكن أن يقال فى شىء من أفعـــاله أنه كان ينبغى أن يوقعه على خلاف ما أوقعه ، لانه يتصرف فى ملكه ومن تصرف فى ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض فى فعله (٥) قال تعالى « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » (٦) وقال تعـــالى « وكان الله بكل شىء عليما » (٧) .

فعلمه جل شأنه عام فى جميع المعلومات ، وقدرته عامة فى جميع المقدورات وارادته عامة فى جميع الارادات ، علمها على ما هى عليه ، وأراد أن يكون ما علم أن يكون ، وأراد أن لا يكون ما علم أن لا يكون ، ولا يجرى فى مملكته ما لا يريد كونه (٨) .

فالاســـــلام دين تطابق تكاليفه للانســـــان فطرة هذا الانسان ، بحيث تعمل جميع الطاقات الانسانية عملها الذى

---

(٤) الشهرستانى ــ الملل والنحل ج١ ص٤٢ .
(٥) الاسفراينى ــ التبصير فى الدين ص١٠٣ .
(٦) سورة الانبياء الآية رقم ٢٣ .
(٧) سورة الاحزاب الآية رقم ٤٠ .
(٨) الاسفراينى ــ التبصير فى الدين ص١٠١ .

خلقت من أجله ، فالاسـلام دين للواقع ، والحركة والعمل ، بحيث يبلغ الانسـان كماله الانسانى المقدر له عن طريق العمل والحركة (٩) ٠

من هنا نلاحظ أن القرآن الكريم قد ربط ربطا قويا بين عقيدة التوحيد وبين مقتضـياتها فى الضـمير والحيـاة والحركة ، فكان من العقائد التى أسسها الاسلام على الايمان بالله عز وجل - عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ٠

والايمان بالقدر - هو الايمان بتقدم علم الله تعالى لكل ما كان وما هو كائن وما سـيكون ، وأنه جل شأنه قد كتب كل شىء فى كتاب محفوظ ، وانه لا يقع شىء الا بمشـيئته تعالى ، وارادته ، وأنه تعالى رب كل شىء وخالقه ، فلا رب غيره ، ولا خالق سواه ، ولا مدبر الا هو ، وقد نص على ذلك قوله تعالى « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (١٠) وقوله تعالى « وكل شىء أحصـيناه فى امام مبين » (١١) وقوله تعالى « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ن نبرأها ان ذلك على الله يسير » (١٢) ٠

الى غير ذلك من الآيات الكثيرة فى هذا المقـام ، ولهذا سوف نقصر حديثنـا على القرآن الكريم دون التعرض لآراء الفرق أو غيرهم ٠

---

(٩) الاستاذ سيد قطب - خصائص التصور الاسلامى ص١٨٠ ٠
(١٠) سورة الرعد الآية رقم ٨ ، ٩ ٠
(١١) سور قيس الآية رقم ١٢ ٠
(١٢) سورة الحديد الآية رقم ٢٢ ٠

أولا : القضاء فى القرآن الكريم :

كما لفت القرآن الكريم العقول الى دلائل وحدانية الله تعالى فى الكون والانسان والنبات والحيوان وغير ذلك . لفتها كذلك الى قضاء الله تعالى فى الكون والانسان وغير ذلك ، فالقضاء : هو علم الله تعالى المتعلق بالكل على النظام الاكمل الذى يكون فى الوجود (١٣) قال تعالى « بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (١٤) يقول الامام القرطبى أى اذا أراد احكامه واتقانه كما سبق فى علمه ـ قال له كن ـ قال ابن عرفة : قضاء الشىء أحكامه وامضاؤه والفراغ منه ، ومنه سمى القاضى : لانه اذا حكم فقد فرغ مما بين الخصمين .

وقال الأزهرى : قضى فى اللغة على وجوه : مرجعها الى انقطاع الشىء وتمامه :

قال الشماخ فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها
بوائق فى أكمامها لم تفتق

قال العلماء : قضى : لفظ مشترك ، يكون بمعنى الخلق قال الله تعالى « فقضاهن سبع سموات فى يومين » (١٥) أى خلقهن ، وعلمهن وصنعهن وأحكم خلقهن ، ويكون بمعنى الصنع والتقدير قال تعالى « فاقض ما أنت قاض » (١٦) .

---

(١٣) الاستاذ عبد الكريم الخطيب ـ القضاء والقدر ص ١٥٠ .
(١٤) سورة البقرة الآية رقم ١١٧ .
(١٥) سورة فصلت الآية رقم ١٢ .
(١٦) سورة طه الآية رقم ٧٢ .

قال ابن عباس ، فاصنع ما أنت صانع وقيل فاحكم ما انت حاكم ، أى من القطع والصلب (١٧) ٠

ويكون بمعنى الاعلام قال تعالى « وقضـينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب » (١٨) أى أعلمنا ، ويكون بمعنى الامر قال تعـالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » (١٩) ويكون بمعنى الالزام وامضاء الاحكام ، ومنه سمى الحاكم قاضيا قال تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢٠) ٠

ويكون بمعنى توفية الحق قال تعالى « فلما قضى موسى الآجل » (٢١) ٠

ويكون بمعنى الارادة كقوله تعـالى « واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » ، أى اذا أراد خلق شىء ، قال ابن عطية « قضى » معناه « قدر » وقد يجىء بمعنى أمضى ، يقول القرطبى ويتجه فى هذه الآية المعنيان على مذهب أهل السنة قدر فى الازل وأمضى فيه (٢٢) ويكون أيضـا بمعنى يبرم كما فى قوله تعالى « ليقضى الله أمرا كان مفعولا » (٢٣) وقوله

---

(١٧) الامام القرطبى الجامع لاحكام القرآن جـ١١ ص ٢٢٦ ٠

(١٨) سورة الاسراء الآية رقم ٤ ٠

(١٩) سورة الاسراء الآية رقم ٢٣ ٠

(٢٠) سورة النساء الآية رقم ٦٥ ٠

(٢١) سور القصص الآية رقم ٢٩ ٠

(٢٢) الامام القرطبى ـ الجامع لاحكام القرآن جـ٢ ص٨٧،٨٨ ٠

(٢٣) سورة الانفال الآية رقم ٤٢ ٠

تعالى « وكان أمرا مقضيا » (٢٤) ، أى وكان أمرا مبرما من الله وحكما قد حكم بوجوده ، ويكون أيضا بمعنى العهد كما فى قوله تعالى « وما كنت بجانبى الغربى اذ قضينا الى موسى الامر » (٢٥) ويكون أيضا بمعنى الحكم كما فى قوله تعالى « والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء » (٢٦) ٠

لذلك يقول الامام ابن منظور فى لسان العرب مادة « قضى » : القضاء : الحكم ، يقال : قضى ، يقضى ، قضاء فهو قاض ، اذا حكم وفصل ، وقضاء الشىء : احكامه وامضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق ٠

قال الزهرى : القضاء فى اللغة على وجوه : مرجعها الى انقطاع الشىء وتمامه ، وكل ما أحكم عمله أو أتم ، أو ختم ، أو أدى ، أداء ، أو أوجب ، أو علم ، او انفذ ، او امضى ٠

فقد قضى ، قال وقد جاءت هذه الوجوه فى الحديث ، ومنه القضاء المقرون بالقدر ٠

والمراد بالقدر : التقدير ، وبالقضاء الخلق ، كقوله تعالى « فقضاهن سبع سموات » أى فخلقهن ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لان أحدهما بمنزلة الاساس ، وهو القدر والآخر بمنزلة البناء ، وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه ٠

---

(٢٤) سورة مريم الآية رقم ٢١ ٠

(٢٥) سورة القصص الآية رقم ٤٤ ٠

(٢٦) سورة غافر الآية رقم ٢٠ ٠

والقضاء الحتم والامر ، وقضى : أى حكم ، ومنه القضاء والقدر وقوله تعــالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » أى أمر ربك وحتم ، وهو أمر قاطع حتم قال تعالى « فلما قضينا عليه الموت » ٠

وقضى فى اللغــة على ضروب كلها تــرجع الى معنى انقطاع الشيء وتمــامه ومنه قوله تعالى « ثم قضى أجلا » معناه ثم حتم بذلك وأتمه ومنه الاعلام ومنه قوله تعــالى « وقضــينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب » أى أعلمناهم اعلاما قاطعا ، ومنه القضــاء للفصل فى الحكم وهو قوله « ولولا أجل مسمى لقضى بينهم » أى لفصــل الحكم بينهم ومثل ذلك قولهم قد قضى القاضى بين الخصــوم ، أى قطع بينهم فى الحكم ٠٠ فكل ما أحكم فقد قضى (٢٧) ٠

وهكذا نلاحظ أن الذى ينظر الى المعــانى التى ذكرها الامام القرطبى وابن منظور يجد أنها جميعــا تنزع منزعا واحدا ، وتلتقى عند معنى واحد ، وهو الفصل ، أو الحسم ، أو الانجاز ٠

فالامر ، والخلق ، والحكم ، والفراغ ، والارادة ، والعهد كلها تنبيء عن حسم الامر وانجازه ٠

فأمر الله لا يقع الا ومعه الحسم والانجاز ، وكذلك خلقه وحكمه ، وارادته وعهده كلها تقع فى حسم وانجاز (٢٨) ٠

---

(٢٧) الامام ابن منظور لسان العرب — المجلد الرابع ص ٣٦٦٥ — ٣٦٦٦ ٠

(٢٨) الاستاذ عبد الكريم الخطيب — القضاء والقدر بين الدين والفلسفة ص ١٤٩ ٠

وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرســـول ﷺ تشير الى معنى القضاء من ذلك ما روى عن سعد بن أبى وقاص : قال : قال : رسول الله ﷺ عجبت من قضاء الله سبحانه للمؤمن ٠ ان أصابه خير حمد ربه وشكر ، وان أصابته مصيبة حمد ربه وصبر ، المؤمن يؤجر فى كل شئ » (٢٩) ٠

فعلى ضوء ما تقدم من المعانى لكلمة القضــاء نلاحظ أن لفظ القضاء قد جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رســـوله ﷺ بمشــــتقاته لا بلفظه ، وعليه نجد أن هذا اللفظ من الالفاظ المشتركة المتنوعة ، الا أن الذى ينظر الى معانى هذه الكلمة يلاحظ أنها جميعهـــا تنزع منزع واحد وتلتقى عنـــد معنى واحد ، وهو الفصـــل ، أو الحسم ، أو الانجاز ، فأمر الله لا يقع الا ومعه الحسم والانجـــاز ، وكذلك خلقه ، وحكمه ، وارادته وعهده ، كلها تقع فى حسم وانجاز ٠

ثانيا : القدر فى القرآن الكريم :

يقول الامام ابن منظور فى لســـان العرب مادة « قدر » القدير ، والقادر من صفات الله عز وجل ، يكونان من القدرة، ويكون من التقـــدير ، وقوله تعالى « ان الله على كل شئ قدير » ■

من القـــدرة ، فالله عز وجل على كل شئ قـــدير ، والله سبحانه وتعالى مقدر كل شئ وقاضيه ٠٠

يقول ابن الأثير : فى أســـماء الله تعـــالى ، القادر ، والمقتدر ، والقدير ، فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر ، والقدير

---

(٢٩) الامام الحافظ الهيثمى - مجمع الزوائد وطبع الفوائد - باب قضاء الله سبحانه للمؤمن جـ٧ ص٢٠٩ ٠

فعيل منه وهو للمبالغة ، والمقتدر مفتعـــل من اقتـــدر وهو أبلغ يقول الليث وهو ينقل عن التهذيب : القدر : القضـــاء الموفق ، يقال قدر الاله كذا تقديرا ، واذا وافق الشىء ، الشىء قلت : جاءه قدره – يقول ابن سيده ، القدر والقدر : القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الامور – قال الله عز وجل « انا أنزلنـــاه فى ليلة القدر » أى الحكم كما قال تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » .

قال : أبو منصور : وتقدير الله الخلق – تيســـيره كلا منهم لما علم أنهم صائرون اليه من السعادة والشقاء ، وذلك أنه علم منهم قبل خلقه اياهم ، فكتب علمه الازلى السابق فيهم وقدره تقديرا ، وقدر عليه ، وفى حديث الاســـتخارة « اللهم انى استقدرك بقدرتك » أى أطلب منك أن تجعل لى عليه قدرة ، وقدر الرزق يقدره ، قسمة (٣٠)

وتأتى كلمة القدر ويقصـــد بها العلم فى الازل والحتم والحتم فى الانجاز كما جاء فى قوله تعـــالى « انا كل شىء خلقناه بقدر » (٣١) .

فالمولى عز وجل هو الذى قدر الاشياء ، أى علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل ايجادها ، ثم أوجد منها ما سبق فى علمه أنه يوجده على نحو ما سبق فى علمه ، فلا يحدث حدث فى العالم العلوى والسفلى الا وهو صـــادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه ، وأن الخلق ليس لهم فيها الانوع

---

(٣٠) الامام بن منظور – لسان العرب مادة قدر المجلد الرابع ص ٣٥٤٥ – ٣٥٤٨ نشر مكتبة الصحابة بطنطا دون تاريخ .

(٣١) سورة القمر الآية رقم ٤٩ .

اكتساب ومحاولة ونسبة واضافة ، وأن ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه والهامه (٣٢) ، كما جاء فى قوله تعالى « وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر » (٣٣) أى على أمر قد علم فى سابق علم الله تعالى كما جاء فى قوله تعالى « فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين » (٣٤) وقوله تعالى « الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا أمرأته قدرنا انها لمن الغابرين » (٣٥) .

فمعنى القدر الذى جاء فى الآيتين السابقتين ، التقدير الذى كان فى علم الله تعالى وتحقق وقوعه وانجازه كما جاء فى قوله تعـــالى « وكان أمر الله قدرا مقدورا » (٣٦) فمعنى « قدرا » هنـــا : أى أمرا جرى تقـــديرا فى الازل ، ومعنى « مقدورا » أى حتمى الوقوع والانجاز ، وهذ المعنى قد جاء فى قول الله تعالى « فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى » (٣٧) .

قال محمد بن كعب : ثم جئت على القدر الذى قدرت لك أن تجىء فيه ، أى جئت فى الوقت الذى أردنا ارسالك فيه وقال الشاعر :

نال الخـــلافة أو كانت له قدرا
كما أتى ربه مـوسى على قـــدر

---

(٣٢) القرطبى - التفسير جـ١٧ ص ١٤٨ .
(٣٣) سورة القمر الآية رقم ١٢ .
(٣٤) سورة النمل الآية رقم ٥٧
(٣٥) سورة الحجر الآية رقم ٥٩ ، ٦٠ .
(٣٦) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٨ .
(٣٧) القرطبى - التفسير جـ١١ ص ١٩٨ .

وتأتى كلمة القـدر بمعنى التقدير أى القســمة قال تعالى « وقدر فيها أقواتها » (٣٨) ٠

قال عكرمة والضــحاك : معنى قدر فيها أقواتهـا اى أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشـجار والمنافع فى كل بلدة ما لم يجعله فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد (٣٩) ٠

وهذا المعنى أى التقــدير ووضع الشىء فى موضـعه المناسب ورد فىقوله تعالى «وخلق كل شىء فقدره تقديرا» (٤٠) وقوله تعالى « والذى قدر فهدى » (٤١) وغير ذلك مما جاء فى كتاب الله تعالى ٠

أما فى الســنة النبوية الشريفة ففيها أحاديث كثيرة توجب الايمان بالقدر وتبين أن الحق تبارك وتعالى قد قدر فى علمه الازلى أقدار تتحقق كما شاء لها وقدر من ذلك : حديث سيدنا جبريل عليه السلام قال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله ٠٠ » (٤٢) ٠

ومن ذلك أيضا : وصية عبادة بن الصامت لابنه حيث قال : يابنى : اتق الله ، واعلم أنك لن تتقى الله حتى تؤمن

---

(٣٨) سورة فصلت الآية رقم ١٠ ٠
(٣٩) القرطبى - التفسير جـ١٥ ص ٣٤٣ ٠
(٤٠) سورة الفرقان الآية رقم ٣ ٠
(٤١) سورة الاعلى الآية رقم ٣ ٠
(٤٢) الامام مسلم - صحيح كتاب الايمان - باب الايمان ما هو وبيـان خصاله ٠

بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره ، وان مت على غير هذا دخلت النار ، انى سمعت رســـول الله ﷺ يقول : « ان أول ما خلق الله القلم ، فقـــال له : اكتب قال : ما اكتب ؟ قال : أكتب القدر ، فكتب ما كان وما هو كائن الى الابد » (٤٣) ٠

وعلى هذا فالقدر الذى جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف هو الذى يجب الايمان به ، فمن لم يؤمن بالقدر فقد دخل فيمن يخاصم ربه تعالى فى قدره ، فقد روى - الامام مسلم فى صـــحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء مشركو قريش يخاصـــمون رســـول الله ﷺ فى القدر فنزل قوله تعالى « ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس ســـقر انا كل شىء خلقنـــاه بقدر » (٤٤) ٠

العمل بين الله والانسان :

ان النظر فى هـذه المسألة يكون من منطلق الايمـــان بالقدر ، لان الايمان بالقدر مرتبط بالعقيدة ، أما النظر فى أعمـال الانســـان فهو مرتبط بالاحكام الشرعية ، كالاوامر والنواهى ، والحلال والحرام ٠

لان ما كان للاصول فهو للاصـــول كالايمان بالقدر ، وما كان للفروع فهو للفروع كأعمال الانسان ٠

---

(٤٣) الامـام احمد - المسـند جـ٥ ص ٢١٧ - ورواه ابو داود والترمذى فى سننهما ٠

(٤٤) سورة القمر الآية رقم ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ٠

وقد سبق أن بينا أن علم الله سبحانه وتعالى عام فى جميع المعلومات ، وأن قدرته عامة فى جميع المقدورات ، وارادته عامة فى جميع الارادات علمها على ما هى عليه وأراد أن يكون ما علم أن يكون ، وأراد أن لا يكون ما علم أن لايكون (٤٥) مصدقا لقوله تعالى « انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٤٦) ٠

ويعلق أحد مفكرينا على النص السابق قائلا ، ومعنى هذا أنه لا يجرى فى العالم العلوى أو السفلى ، عالم الملائكة أو الانسان أو الحيوان ، أو الطبيعة ، عمل ما الا بارادته ، وقدرته ، فهو قادر على كل شىء ، وأى من خلقه لا قدرة حقيقية له بجوار قدرته تعالى ٠

واذا كان الانسان أرقى الموجودات التى خلقها الله تعالى ، فقد امتاز بالعقل والفكر والادراك – وهو بذلك مسئول عن كل ما يصدر عنه من قول أو فعل أو عمل ، انه مسؤول بما نيط به من تكليف ، ومصدر هذا التكليف من عند الله تعالى ، الذى خلقه وميزه عما سواه بالعقل والفكر والادراك

والله سبحانه وتعالى حين خلق الانسان وكلفه ، انما ألزمه من الاعمال والافعال ما يقدر عليه ويطيقه فقال تبارك وتعالى « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » (٤٨) ٠

---

(٤٥) الاسفراينى – التبصير فى الدين ص١٠١ ٠

(٤٦) سورة النحل الآية رقم ٤٠ ٠

(٤٧) الدكتور محمد يوسف موسى – القرآن والفلسفة ص١١١ ، ١١٢ ٠

(٤٨) سوررة البقرة الآية رقم ٢٨٦ ٠

التكليف هو الامـر بمـا يشق عليه ، وتكلفت الامـر تجشمته ، والوسع ، الطاقة والجذة ، يقول الامام القرطبى: نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عباده من أعمال القلب أو الجوارح الا وهى فى وسع المكلف وفى مقتضى ادراكه وبنيته (٤٩) ، لهذا يقول القائل (٥٠) :

ما كلف الله نفسـا فوق طاقتها
ولا تجود يـد الا بمـا تجـد

وقوله تعالى : « لا نكلف نفسا الا وسعها » (٥١) وقوله تعالى « ولا نكلف نفسـا الا وسعها ولدينـا كتاب ينطق بالحق » (٥٢) وقـوله تعـالى « لا يكلف الله نفسـا الا مـا أتاها » (٥٣) .

وعلى هذا نلاحظ أن الله تعـالى قد أرشدنا عن تكليفه للانسان ، والتكليف للانسـان يكون فى مستطاعه ووسع جهده وقدرته . فالانسان العاقل هو الذى يقوم فى كل عمل بفعله من خلال تفكيره وارادته ، ومن منطلق هذا التكليف للانسان العاقل ، فقد أنزل له هديا من السـماء يضبط به سلوكه ويقوم على أساسه أفعاله وليصلح على طريقه مفاعيم حياته .

---

(٤٩) القرطبى - التفسير جـ٣ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .
(٥٠) القائل أبو هريرة رضى الله عنه .
(٥١) سورة الانعام الآية رقم ١٥٢ .
(٥٢) سور المؤمنون الآية رقم ٦٢ .
(٥٣) سورة الطلاق الآية رقم ٧ .

ارادة الله الكونية وارادته الشرعية :

من المســـائل التاريخية التى أخـذت حيزا كبيرا من مفكرى الاسلام وغيرهم تلك التى تعلقت بالانسان هل هو مسير أو مخير ٠

ولقد بات واضحا أن الانســـان قد امتاز عن غيره دون بقية المخلوقات بالفكر والادراك والمعرفة التى توصله الى ما يسعى اليه ٠ والمولى عز وجل هو الذى خلق الانســـان وميزه على غيره بما امتاز به ، لهذا نلاحظ أن الانســان فى هذه الحياة يعيش داخل دائرتين هما :

الدائرة الأولى : وفيها تنفذ ارادة الله ومشيئته الكونية والتى لا راد لها الا الحق جل شأنه ٠

وفى هذه الدائرة جعل الحق تبارك وتعالى الانسان يسير بحسبها وعلى مقتضاها مسيرا لا اختيار فيه ، لانه يسير وفق نظام لا طاقة له فى مخالفته أو الخروج عنه من ذلك مثلا ما يتعلق بخلقته ككونه أبيض أو أسود ، أو طويل أو قصير أو غير ذلك من الاشياء التى لا دخل له فيها ، فكل ما يقتضيه نظام الكون والحياة من الاشـــياء التى لا دخل للانسان فيها ، لان الانسان فيها مســتند الى احاطة ارادة الله بكل ما هو كائن وما سيكون ، فهى التى تقوده الى ارادة ما يفعله أو يتصرف فيه ٠

الدائرة الثانية : وهى التى تنفذ فيها ارادة الله ومشيئة الشرعية وفيها جعل الله الانسان مسئولا عن أعماله فى الدنيا والآخرة ، فكونه مستحقا لهذه المســئولية فى نظر الشرع كما هو فى الواقع ـ والا لما عاقبنـــا الجناة فى الدنيا ، لان هذا العقاب ناتج عن ظلمهم لانفسهم ٠

فما كان من ارادة الله ومشيئته الكونية فلا خروج لاحد عنها ولا عليها ، وما كان من ارادة الله ومشيئته الشرعية فان الله سبحانه وتعالى يطاع ويعصى ، ذلك أنه لا تعارض بين مشيئة الله تعالى وبين اقبال الانسان على العمل ومسئوليته عنه وحريته فى اختيار ما يشاء ، فحرية الانسان وسيلة وليست غاية .

وفى تفصيل دقيق لمسألة القضاء والقدر يفرق الامام ابن قيم الجوزية بين القضاء الكونى والقضاء الشرعى فيقول (٥٤) : فما كان من كونى فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من الدين فهو متعلق بالاهيته وشرعه ، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والامر ، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله ، والامر : شرعه ودينه ، فهو الذى خلق وشرع وأمر ، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ، ولا خروج لاحد عن حكمه الكونى القدرى ، وأما حكمه الدينى الشرعى فيعصيه الفجار والفساق ، والامران غير متلازمين ، فقد يقضى ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه ، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ، ويجتمع الامران فيما وقع من طاعات عباده وايمانهم ، وينتفى الامران عما لم يقع من المعاصى والفسق والكفر ، وينفرد القضاء الدينى والحكم الشرعى فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور ، وينفرد الحكم الكونى فيما وقع من المعاصى .

اذا عرف ذلك فالقضاء فى كتاب الله نوعان : كونى قدرى ، كقوله تعالى « فلما قضينا عليه الموت » (٥٥) وقوله

---

(٥٤) الامام ابن قيم الجوزية شفاء العليل ص٥٨٥ الى ص٥٩١ . تحقيق الحسانى حسن عبد الله نشر مكتبة دار التراث – القاهرة .

(٥٥) سورة سبأ الآية رقم ١٤ .

تعـــالى « وقضى بينهم بالحق » (٥٦) وشرعى دينى كقوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » (٥٧) أى أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله ٠

والحكم أيضا نوعان : الحكم الكونى كقوله تعـــالى « قال رب احكم بالحق » (٥٨) أى افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك ٠

أما الحكم الدينى كقوله تعالى « ذلكم حكم الله يحكم بينكم » (٥٩) وقوله « ان الله يفعل ما يريد » (٦٠) ، وقد يرد بالمعنيين معا كقوله تعالى « ولا يشرك فى حكمه أحدا » (٦١)

فهذا يتناول حكمه الكونى وحكمه الشرعى ٠

والارادة أيضا نوعان : الارادة الكونية كقوله تعـــالى « فعال لما يريد » (٦٢) وقوله « واذا أردنا ان نهلك قرية »(٦٣) وقوله تعـــــالى « ان كان الله يريد أن يغويكم » (٦٤) وقوله تعالى «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض» (٦٥)

---

(٥٦) سورة الزمر الآية رقم ٦٩ ٠
(٥٧) سورة الاسراء الآية رقم ٢٣ ٠
(٥٨) سورة الانبياء الآية رقم ١١٢ ٠
(٥٩) سورة الممتحنة الآية رقم ١٠ ٠
(٦٠) سورة الحج الآية رقم ١٤ ٠
(٦١) سورة الكهف الآية رقم ٢٦ ٠
(٦٢) سورة البروج الآية رقم ١٦ ٠
(٦٣) سورة الاسراء الآية رقم ١٦ ٠
(٦٤) سورة هود الآية رقم ٣٤ ٠
(٦٥) سورة القصص رقم ٥ ٠

أما الارادة الدينية كقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٦٦) وقوله جل شأنه « والله يريد ان يتوب عليكم » (٦٧) .

فلو كانت هذه الارادة كونية لما حصل العسر لاحد منا .

وبهذا التوضيح يزول الاشتباه فى مسألة الامر والارادة ، هل هما متلازمان أم لا ؟ فالواضح أن الامر هنا يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم الارادة الكونية ، فانه لا يأمر الا بما يريده شرعا ودينا وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا ، كايمان من أمره ولم يؤمن فالله سبحانه وتعالى قد أراد له الايمان دينا لا كونا وهذا يدخل ضمن الدائرة الشرعية . فالله سبحانه وتعالى ترك اختيار الايمان أو عدمه للانسان ، فالله سبحانه قد أراد له الايمان دينا لا كونا ، لانه لو كان مرادا له كونا لكان مؤمنا لا محالة ، ولكن الله ترك اختيار الايمان للانسان .

وأما الكتابة : فنوعان أيضا : الكتابة الكونية كقوله تعالى « كتب الله لاغلبن أنا ورسلى » (٦٨) وقوله تعالى « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » (٦٩) وقوله تعالى « كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير » » (٧٠) .

---

(٦٦) سورة البقرة الآية رقم ١٨٥ .
(٦٧) سورة النساء الآية رقم ٢٧ .
(٦٨) سورة المجادلة الآية رقم ٢١ .
(٦٩) سورة الانبياء الآية رقم ١٠٥ .
(٧٠) سورة الحج الآية رقم ٤ .

أما الكتابة الشرعية الامرية كقوله تعالى « كتب عليكم الصيام » (٧١) وقوله تعالى « حرمت عليكم أمهاتكم » الى قوله تعالى « كتاب الله عليكم » (٧٢) وقوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » (٧٣) فالاولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الامر ٠

والامر نوعان أيضا : أمر كونى كقوله تعالى « انما امره اذا أراد شـــيئا أن يقول له كن فيكون » (٧٤) وقوله تعالى « وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (٧٥) وقوله تعـــالى « وكان أمر الله مفعولا » (٧٦) وقوله « وكان أمرا مقضيا » (٧٧) وقوله « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيهـا ففســـقوا فيها » (٧٨) ٠

فهذا تقدير كونى لا أمر دينى شرعى ، فان الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه ٠

والامر الدينى منه قوله تعـــالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (٧٩) وقوله تعـالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » (٨٠) وهو كثير ٠

---

(٧١) سورة البقرة الآية رقم [illegible] ٠
(٧٢) سورة النساء الآية رقم [illegible] ٠
(٧٣) سورة المائدة الآية رقم ٤٥ ٠
(٧٤) سورة يس الآية رقم ٨٢ ٠
(٧٥) سورة القمر الآية رقم ٥٠ ٠
(٧٦) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٧ ٠
(٧٧) سورة مريم الآية رقم ٢١ ٠
(٧٨) سورة الاسراء الآية رقم [illegible] ٠
(٧٩) سورة النحل الآية رقم ٩٠ ٠
(٨٠) سورة النساء الآية رقم ٥٨ ٠

وأما الاذن فنوعان : الكونى كقوله تعـــالى « وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله » (٨١) أى بمشيئته وتقدر.

وأما الدينى كقوله تعالى « ماقطعتم من لينه أوتركتموها قائمة على أصولها » (٨٢) أى بأمره ورضاه .

وأما الجعل منه الكونى كقوله تعالى « انا جعلنـــا فى أعناقهم أغلالها فهى الى الأذقان فهم مقمحون ، وجعلنـــا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم ســدا » (٨٣) وقوله تعـــالى « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٨٤) وقوله تعالى « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا » (٨٥) وهو كثير .

ومنه أيضا الجعل الدينى الشرعى كقوله تعالى «ماجعل الله من بحيرة ولا ســـائبة ولا وصيلة ولا حام » (٨٦) أى ما شرع ذلك ولا أمـر به ، والا فهو مخلوق له واقع بقـــدره ومشيئته .

وأما قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » (٨٧) .

---

(٨١) سورة البقرة الآية رقم ١٠٢ .
(٨٢) سورة الحشر الآية رقم ٥ .
(٨٣) سورة يس الآية رقم ٨ ، ٩ .
(٨٤) سورة يس الآية رقم ١٠٠ .
(٨٥) سورة النحل الآية رقم ٧٢ .
(٨٦) سورة المائدة الآية رقم ١٠٣ .
(٨٧) سورة المائدة الآية رقم ٩٧ .

فهذا يتناول الجعلين ، فانه جعلها كذلك بقدره وشرعه. وليس هذا استعمالا للمشترك فى معنييه ، بل اطلاق اللفظ وارادة القدر المشترك بين معنييه .

وأما الكلمات منها الكونى كقوله تعالى « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » (٨٨) وقوله « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا » (٨٩) .

وقوله ﷺ « أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق » (٩٠) .

فهذه كلماته الكونية التى يخلق بها ويكون ، ولوكانت الكلمات الدينية التى يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار .

وأما الدينى من الكلمات فقوله تعالى « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » (٩١) والمراد به القرآن الكريم ، وقوله ﷺ « استحللتم فروجهن بكلمة الله » (٩٢) أى اباحته ودينه وقوله تعالى « فانكحوا ما طاب من النساء » (٩٣) .

---

(٨٨) سورة يونس الآية رقم ٣٣ .
(٨٩) سورة الاعراف الآية رقم ١٣٧ .
(٩٠)
(٩١) سورة التوبة الآية رقم ٦ .
(٩٢) .
(٩٣) سورة النساء الآية رقم ٣

هذا وقد اجتمع النوعان فى قوله تعــالى « وصدقت بكلمات ربهــا وكتبه » (٩٤) فكتبه كلماته التى يأمر بها وينهى ويحــرم ، وكلماته التى يخلق بهــا ويكون ، وأما التحريم فمنه الكونى كقوله تعالى « وحرمنا عليه المراضع من قبل » (٩٥) وقوله تعالى « قال فانها محرمة عليهم أربعين ســنة » (٩٦) وقوله « وحــرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » (٩٧) ٠

ومنه الدينى الشرعى كقوله تعــالى « حرمت عليكم أمهاتكم » (٩٨) وقوله « وحرمت عليكم الميتة » (٩٩) وقوله تعالى « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما » (١٠٠) وقوله « وأحل الله البيع وحرم الربوا » (١٠١) ٠

وأما الايتاء فمنه أيضا الكونى كقوله تعــالى « والله يؤتى ملكه من يشاء » (١٠٢) وقوله « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء » (١٠٣) وقوله تعالى « وآتيناهم ملكا عظيما » (١٠٤) ٠

---

(٩٤) سورة التحريم الآية رقم ٢٦ ٠
(٩٥) سورة القصص الآية رقم ١٢ ٠
(٩٦) سورة المائدة الآية رقم ٢٦ ٠
(٩٧) سورة الانبياء الآية رقم ٩٥ ٠
(٩٨) سورة النساء الآية رقم ٢٣ ٠
(٩٩) سورة المائدة الآية رقم ٣ ٠
(١٠٠) سورة المائدة الآية رقم ٩٦ ٠
(١٠١) سورة البقرة الآية رقم ٢٧٥ ٠
(١٠٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٤٧ ٠
(١٠٣) سورة آل عمران الآية رقم ٢٦ ٠
(١٠٤) سورة النساء الآية رقم ٥٤ ٠

ومنه الدينى كقوله تعـــالى « وما آتاكم الرســـول فخذوه » (١٠٥) وقوله تعالى «خذوا ما أتيناكم بقوة» (١٠٦)

وأما قوله تعالى « يؤتى الحكمة من يشـــاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (١٠٧) فهذا يتناول النوعين. فانه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا والهاما ٠

ويقول الامام ابن قيم الجوزية « وأنبياؤه ورســـله وأتبـــاعهم حظهم من هذه الامور : الدينى منها ، وأعـــداؤه واقفون مع القدر الكونى ، فحيث ما مال القدر مالوا معه . والرسل وأتباعهم ٠٠ يدينون بأمره ويؤمنون بقدره ٠٠ » ٠

وبعد هذه الوقفة الطويلة مع الامام ابن قيم الجوزية نلاحظ أن ما كان من ارادة الله تعالى ومشيئته الكونية فلا خروج لاحد عنها ولا عليها وما كان أمره ومشيئته الشرعية فان الله سبحانه وتعالى يطاع ويعصى ذلك أنه لا تعارض بين مشيئة الله تعالى وبين اقبال الانسان على العمل ومسئوليته عنه وحريته فى اختيار ما يشاء ، فحرية الانســـان وسيلة وليست غاية ٠

فالحق جل شأنه هو الذى ييسر لنا العمل الذى نتجه اليه . فعلاقة عمل الانسان بقدرة الله تعالى هى كما جاء فى قول الرسول ﷺ « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (١٠٨) ٠

---

(١٠٥) سورة الحشر الآية رقم ٧ ٠
(١٠٦) سورة البقرة الآية رقم ٦٣ ٠
(١٠٧) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٩ ٠
(١٠٨)

فالرسول ﷺ يدعونا الى العمل الذى نتجاوز فيه الجدل حول الجبر والاختيار ، لانه لا مهرب من مواجهة قضية العمل سواء أكان الامر جبرا أو اختيارا ، واذا كان لا مفر من قضية العمل فأولى بالمرء أن يعمل باعتباره مسئولا كما جاء فى قول الرسول ﷺ « اعملو ا» فعلم الله تعالى لا يمنع الانسان من العمل ، وأن حرية الاختيار التى منحها الله للانسان لا تتعارض مع علمه تعالى ومشيئته ، فشمول علمة تعالى وارادته وقدرته لكل شىء يدفع الانسان الى العمل الذى يترتب عليه تيسيرات من الله تعالى يمنحها للعبد (١٠٩) وربما هذا ما يوحى به قول الرسول ﷺ « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

هذه هى المعالجة لهذه القضية ـ معالجة تبدأ من حيث انتهى الغرور العقلى الى متاهة الحيرة والغموض .

ولهذا نستطيع أن نقرر ونحن مطمئنين ـ أنه ليس صحيحا ما يظنه البعض من أن علم الله السابق ، أو أن ايمان المسلم بعلم الله السابق بقضائه وقدره يمنع المسلمين من العمل ويحضهم على التواكل والتكاسل .

ومن هنا جاء الدعاء الذى أرشدنا اليه الرسول ﷺ أن نتجه به الى الله فى حديث الاستخارة .

فعن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الامر كما يعلمنا السورة فى القرآن : يقول لنا : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة

---

(١٠٩) الدكتور يحيى هاشم فرغل ـ أساسيات فى العقيدة ص ٨١ .

ثم يقول : اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت عـــلام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم هذا الامر « يسميه بعينه » خيرا لى فى دينى ومعاشى ومعادى وعاقبة أمرى ، فـاقدره لى ويسره لى وبـارك لى فيه ، وان كنت تعلمه شرا لى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان فى عاجل أمرى وآجله » (١١٠)

وهكذا نلاحظ أن التاريخ يوضح لنــا أن المســلمين الاوائل استجابوا لهدى رسول الله ﷺ ، فى هذا الموضوع ، لان العلم والعمل كان رائدهم فى ذلك كله ، كما كان ايمانهم بعلم الله تعالى وتيسيراته وايمانهم بقضاء الله تعالى وقدره - جاعلين نصب أعينهم قول الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنه : ياغــلام انى اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاســتعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » (١١١) ٠

وهذا هو سر عظمة الامة الاسلامية وسر ازدهارها وسر حضارتها العظيمة - لانهم عملوا بما أمر به القرآن الكريم وحض عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ٠

---

(١١٠) الامام البخارى صحيح البخارى كتاب الدعاء عند الاستخارة جـ٨ ص١٠٢ ٠

(١١١) الامام الترمذى - السنن - كتاب صفة القيامة جـ٤ ص ٦٦٧ ٠

معنى الهداية والاضـــلال :

يقول الامام ابن منظور : هدى من أســـماء الله تعالى سبحانه : الهادى .

قال ابن الأثير : هو الذى بصر عبـاده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته ، وهدى كل مخلوق الى ما لابد منه فى بقائه ودوام وجوده .

والهدى ضد الضلال ، وهو الرشاد والدلالة ، وأنشد ابن برى ليزيد بن خذاق :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت
ســـبل المكارم والهـدى تعدى

قال : أبو اســـحق قوله عز وجل « قل ان هدى الله هو الهدى » (١١٢) أى الصراط الذى دعا اليه هو طريق الحق ، وقوله تعالى « ان علينا للهدى » (١١٣) أى ان علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال ، وقد هداه ، هدى ، وهديا ، وهداية ، وهدية ، وهداه للدين هدى ، وهداه يهديه فى الدين هـــدى ، وقال قتـــادة : فى قوله عـــز وجل « وأما ثمود فهديناهم » (١١٤) أى بينا لهم طريق الهدى وطريق الضلالة « فاستحبوا العمى » أى آثروا الضلالة على الهدى .

قال ابن برى : يقـال : هديته الطريق بمعنى عرفته ، فيعدى الى مفعولين ، ويقال : هديته الى الطريق وللطريق

---

(١١٢) سورة البقرة الآية رقم ١٢٠ .
(١١٣) سورة الليل الآية رقم ١٢ .
(١١٤) سورة فصلت الآية رقم ١٧ .

على معنى أرشدته اليها فيعدى بحرف الجر كأرشدت ، قال : ويقال : هديت له الطريق على معنى بينت له الطريق وعليه قوله سبحانه وتعالى « أو لم يهد لهم » (١١٥) « وهديناه النجدين » (١١٦) وفيه « اهدنا الصراط المستقيم » (١١٧) معنى طلب الهدى منه تعالى وقد هداهم : أنهم قد رغبوا منه تعالى التثبيت على الهدى ، وفيه « وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد » وفيه « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » ٠

والهدى : اخراج شئ الى شئ والهدى أيضا : الطاعة ، والورع ، والهدى الهادى فى قوله عز وجل « أو أجد على النار هدى » ومنه قول الشماخ ٠

قد وكلت بالهدى انسان ساهمة
كأنه من تمام الظماء مسمول (١١٨)

وقد جاء أيضا فى لسان العرب مادة « ضلل . الضلال والضلالة ضد الهداية والارشاد ، يقال : أضللت فلانا اذا وجهته للضلال عن الطريق، وإياه أراد لبيد :

من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء أضل

---

(١١٥) سورة السجدة الآية رقم ٢٦ ٠
(١١٦) سورة البلد الآية رقم ١٠ ٠
(١١٧) سورة الفاتحة الآية رقم ٦ ٠
(١١٨) الامام ابن منظور لسان العرب مادة هدى ص ٤٦٣٨ الى ص٤٦٤٢ المجلد الخامس طبعة مكتبة الصحابة بطنطا ٠

وكان هذا فى كلام العرب يوافق قول الله عز وجل « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (١١٩) .

وقد يقع أضلهم فى غير هذا الموضع — على الحمل على الضلال والدخل فيه — وقوله فى التنزيل العزيز « رب انهن أضللن كثيرا من الناس » (١٢٠) أى ضلوا بسببها لان الاصنام لا تفعل شيئا ولا تعقل ..

وضل الشىء : خفى وغاب .. وضل الناس : اذا غاب عنه حفظ الشىء ، وأضله أى أضاعه وأهلكه — وفى التنزيل العزيز « ان المجرمين فى ضلال وسعر » (١٢١) أى فى هلاك

والضلال النسيان وفى التنزيل العزيز « ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » (١٢٢) أى تغيب عن حفظها أو يغيب حفظها عنها .

وضللت الشىء : انسيته وقوله تعالى « وما كيد الكافرين الا فى ضلال » (١٢٣) أى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى .

ورجل ضليل كثيرا الضلال ، ومضلل لا يوفق لخير : أى ضال جدا وقيل : صاحب غوايات وبطالات ، وهو الكثير

---

(١١٩) سورة النحل الآية رقم ٩٣ .
(١٢٠) سورة ابراهيم الآية رقم ٣٦ .
(١٢١) سورة القمر الآية رقم ٤٧ .
(١٢٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٢ .
(١٢٣) سورة غافر الآية رقم ٢٥ .

التتبع للضلال ، والضليل الذى لا يقلع عن الضـــلاله ، والضلِّيل بوزن القنديل : المبالغ في الضلال والكثير التتبع له (١٢٤) .

(١٢٤) لسـان العرب المجلد الثالث ص٢٦٠١ الى ٢٦٠٤ .

أهمية المسألة فى القرآن الكريم :

لما كان موضوع الهداية والاضلال له مساس غير هين بواقع الانسان - لهذا كان من الواجب علينا أن نعرف واقع الانسان بين الهدى والضلال على ضـــوء ما ترشدنا اليه آيات الكتـــاب الحكيم حتى لا نضل أو نضل يقـــول امـــام الحرمين الجوينى : ان كتاب الله العزيز اشـــتمل على آى دالة على تفرد الرب تعالى بهداية الخلق واضـــلالهم وهى نصوص لابطـــال مذاهب مخالفى أهل الحـــق (١٢٥) ، فمما يعظم موقعه عليهم قوله تعالى « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » (١٢٦) وقوله تعالى : انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » (١٢٧) وقوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » (١٢٨) وقوله عز وجل « من يهد الله فهو المهتـــدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون » (١٢٩) يقول امام الحرمين : اعلم أن الهدى فى هذه الآى لا يتجه حمله الا على خلق الايمان وكذلك لا يتجه حمل الاضلال على غير خلق الضلال (١٣٠) .

---

(١٢٥) امام الحرمين الجوينى - الارشـــاد الى قواطـــع الادلة ص ٢١٠ .

(١٢٦) سورة يس الآية رقم ٢٥ .

(١٢) سورة القصص الآية رقم ٥٦ .

(١٢٨) سورة الانعام الآية رقم ١٢٥ .

(١٢٩) سورة الاعراف الآية رقم ١٧٨ .

(١٣٠) امـــام الحرمين الجـــوينى - الارشـــاد الى قواطـــع الادلة ص ٢١١ .

كذلك قد ترد كلمة الهداية ويراد بها الدعوى كما جاء في قوله تعالى « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (١٣١) كما ترد ويراد بها ارشاد المؤمنين المفضية الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها يوم القيامة قال تعالى « فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم » (١٣٣) وقال تعالى في حق الكفار « فاهدوهم الى صراط الجحيم » (١٣٤) يقول أبو المعالى : معناه اسلكوا بهم اليها والمعنى بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم يقول أبوالمعالى : أنا دعوناهم فاستحبوا العمى على ما دعوا اليه من الهدى ولذلك يرى الامام ابن كثير ان معنى قول القرآن « فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليهم بما يصنعون » (١٣٥) أى لا تأسف على ذلك فان الله حكيم في قدره ، انما يضل من يضل ، ويهدى من يهدى لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى « ان الله عليم بما يصنعون » (١٣٦) .

ولذلك فقد قال أهل السنة : ان الهداية من الله تعالى على وجهين :

الأولى : من جهة ابانه الحق ، والدعاء اليه ونصب الادلة عليه وعلى هذا الوجه يصح اضافة الهداية الى

---

(١٣١) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(١٣٢) امام الحرمين – الارشاد ص٢١١ .

(١٣٣) سورة محمد الآية رقم ٤ ، ٥ .

(١٣٤) سورة الصفات الآية رقم ٢٣ .

(١٣٥) سورة فاطر الآية رقم ٨ .

(١٣٦) الامام ابن كثير لتفسير العظيم جـ٣ ص٥٤٨ .

الرسل والى كل داع الى دين الله عز وجل لانهم يرشدون أهل التكليف الى الله تعالى - وهذا تأويل قول الله عز وجل لانهم يرشدون أهل التكليف الى الله تعالى - وهذا تأويل قول الله عز وجل فى رسوله ﷺ « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (١٣٧) أى تدعو اليه .

الثانية : من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء فى قلوبهم كما جاء فى قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » وهذا النوع من الهداية لا يقدر عليه الا الله تعالى .

والهداية الاولى من الله تعالى شاملة لجميع المكلفين ، والهداية الثانية من خاصة المهتدين ، وفى تحقيق ذلك نزل قول الله تعالى « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

والاضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال فى قلوب أهل الضلال كقوله تعالى « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » .

وقال أهل السنة من أضله الله فبعد له ومن هداه فبفضله (١٣٨) .

---

(١٣٧) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(١٣٨) الامام عبد القادر بن طاهر البغدادى الفرق بين الفرق ص ٣٤٠ .

توجيه الاستدلال بالآيات القرآنيه فى هذه المسألة :

بعد أن أشرنا الى أهمية المسألة فى الاسلام من خلال الآيات القرآنية فى هذا المقام ، نود أن نشير هنا الى بعض الآيات القرآنية التى ربما أشكل فهمها على بعض الاذهان. فقد أتت بعض آيات القرآن الكريم . تدل على نسبة الهدى أو الضلال الى الانسان من ذلك قوله تعالى « فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها » (١٣٩) وقوله تعالى « ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » (١٤٠) وقوله « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » (١٤١) وقوله تعالى « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٤٢) وقوله جل شانه « ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (١٤٣) وقوله « فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ » (١٤٤) الى غير ذلك من الآيات التى تدل على نسبة الهداية الى العبد . ونسبة الضلال اليه وأنه هو الذى يضل ، ولهذا فقد أتت آيات القرآن الكريم تدل على الثواب للمهتدين . وعلى العذاب للظالمين قال سبحانه « من عمل صالحا ، فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » (١٤٥) وقوله سبحانه « ومن يعمل سوءا يجز به » (١٤٦) .

---

(١٣٩) سورة الزمر الآية رقم ٤١ .
(١٤٠) سورة ص الآية رقم ٢٦ .
(١٤١) سورة البقرة رقم ١٠٨ .
(١٤٢) سورة النساء الآية رقم ١١٦ .
(١٤٣) سورة الاحزاب الآية رقم ٣٦ .
(١٤٤) سورة آل عمران الآية رقم ٢٠ .
(١٤٥) سورة فصلت الآية رقم ٤٦ .
(١٤٦) سورة النساء الآية رقم ١٢٣ .

فهذا يدل على أن من أطاع فله الثواب ، ومن أساء فالعقاب عليه ، فالله سبحانه وتعالى يحاسب كل انسان على الهداية والضلال ، فالانسان هو الذى يهتدى ، وهو الذى يضل ، فالهداية أو الضلال من الافعال التى يهتدى اليها الانسان بفكره وادراكه أو يضل عنها بجهله ؛

وأما ما جاء من الآيات التى تدل على نسبة الهداية الى الله سبحانه وتعالى فانه يستفيد منها ان الله تعالى لم يجعل هدايته فى غير دينه وشريعته فيما أوحاه الى أنبيائه ورسله ، وأنه على هذا يكون هو الذى أوجد الهداية للناس قال تعالى « وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا لقد جاءت رسل ربنا بالحق » (١٤٧) ٠

وأما من كان بعيدا عن الهداية فهو ضال قد أضله الله لبعده عن هدايته التى جعلها فى دينه وشريعته ، وهذا المعنى نجده فى قوله تعالى « ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » (١٤٨) أى ليس له طريق يوصله الى الهداية ، وقد جاء هذا المعنى فى قوله تعالى « ومن يضلل الله فما له من هاد » (١٤٩) ٠

وأما ما جاء من الآيات الكريمة التى ارتبطت فيها الهداية والضلال بارادة الله تعالى ومشيئته كما فى قوله تعالى « فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (١٥٠) ان القرآن الكريم يوافق بعضه بعضا ، وقد جاء فى كثير من

---

(١٤٧) سورة الاعراف الآية رقم ٢٣ ٠
(١٤٨) سورة النساء الآية رقم ٨٨ ٠
(١٤٩) سورة غافر الآية رقم ٣٣ ٠
(١٥٠) سورة فاطر الآية رقم ٨ ٠

آيات القرآن الكريم أن الانسان هو الذى يهتدى بفكره أو يضل بجهله ، فتكون نسبة الهداية والضلال الى مشـيئة الله تعالى وارادته على معنى أن هذا أو ذاك لا يؤخذ جبرا عن الله تعالى .

وأما الآيات التى جـاءت تدل على أن هناك اناسـا معينين لا يهتدون فهى نوعان :

الأولى : آيات تقص عن اناس بأنهم لم يهتدوا من ذلك ما جاء فى قوله تعالى « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (١٥١) .

الثانية : آيات تذكر صفات معينة لاناس، وأن المتصفين بهذه الصفات لا يهتدوا ماداموا متصفين بهـا منها قوله تعالى « ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب » (١٥٢) ، « والله لا يهدى القوم الظـالمين » (١٥٣) ، « والله لا يهدى القوم الكافرين » (١٥٤) ، « والله لا يهدى القوم الفاسقين » (١٥٥)

فما جاء فى هذه الآيات وأشباهها صفات لقوم معينين لم يهتدوا ماداموا متصفين بهذه الصفات .

وبهذا يوضح القرآن الكريم ارتباط الهداية والضـلال بحقيقة الاختيـار الانسـانى حتى لا يظن الجـاحدون

---

(١٥١) سورة البقرة الآية رقم ٦ .
(١٥٢) سورة غافر الآية رقم ٢٨ .
(١٥٣) سورة الصف الآية رقم ٧ .
(١٥٤) سورة التوبة الآية رقم ٣٧ .
(١٥٥) سورة التوبة الآية رقم ٢٤ .

والجاهلون أن الامر بعيد عن أعمالهم ، ولهذا فقد نص القرآن الكريم على المشركين جدلهم بالباطل اذ كانوا يحتجون بالقدر زاعمين أنه لو شاء الله ما اشركوا وقد نسى هؤلاء أن اختيارهم وعملهم هو الذى أدى بهم الى هذا المصير وساقهم الى هذا الهلاك قال تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » (١٥٦) .

ان تجاهل الانسان لارادته التى أعطاها الله أياها . وتعلله بالقدر بعد تخبطه فى عمله ، حتى يصح لهم التعلل بالقدر ، فهل أراد هؤلاء المشركون اختيار طريق التوحيد ؟ ، أم أنهم كذبوا واستكبروا وصدوا الناس عن طريق الايمان بالحق ؟ ثم جاءوا يقولون « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ولهذا فقد بين القرآن الكريم ان مثل هذا القول ان هو الا أسلوب من أساليب التكذيب بالحق ورفض دعوة التوحيد « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا » وهل لهؤلاء المعاندين بالباطل فى شأن القدر علم يجادلون فيه أو حجة يتبلها العقل أم هى الاوهام والظنون « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون »

(١٥٦) سورة الانعام الآية رقم ١٤٨ .

أنواع الهداية : -

بعد أن أشرنا الى أهمية مسألة الهداية والاضلال فى القرآن الكريم نشير هنا الى أنواع الهداية ، ولقد أفرد الامام ابن قيم الجوزية بابا خاصا فى كتابه شفاء العليل لهذه المسألة فقال أما مراتب الهدى فأربعة . أحدها : الهدى العام : وهو هداية كل نفس الى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذه أعم مراتبه ، المرتبة الثانية : الهدى بمعنى التبيان والدلالة والتعليم والدعوة الى مصالح العبد فى معاده ، وهذا خاص بالمكلفين ، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الاولى وأعم من الثانية ، المرتبة الثالثة ، الهداية المستلزمة للاهتداء ، وهى هداية التوفيق ، ومشيئة الله لعبده ، المرتبة الرابعة : الهداية يوم المعاد الى طريق الجنة والنار (١٥٧)

ونشير الى هذه المراتب التى أشار اليها الامام ابن قيم الجوزية فى أنواع وهى :

النوع الاول : وفيه قال المولى عز وجل « سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى » (١٥٨) فذكر سبحانه أربعة أمور عامة : الخلق ، والتسوية ، والتقدير ، والهداية ، وجعل التسوية من تمام الخلق . والهداية من تمام التقدير ، فالهداية التى فى الآية الكريمة - هداية عامة وهى هداية تعليم وارشاد كما جاء فى قوله تعالى « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » (١٥٩)

---

(١٥٧) الامام ابن قيم الجوزية شفاء العليل ص ١٤٢ تحقيق الحسانى حسن عبد الله نشر مكتبة دار التراث .

(١٥٨) سورة الاعلى الآية رقم ١،٢،٣ .

(١٥٩) سورة طه الآية رقم ٥٠ .

فاعطاء الخلق - ايجـــاده فى الخارج - والهداية التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويقيمه ومعنى « أعطى كل شىء خلقه » قال الحسن وقتادة : أعطى كل شىء صلاحه وهداه لما يصلحه ، وقال مجاهد : أعطى كل شىء صوره ، لم يجعل خلق الانسان فى خلق البهائم ولا خلق البهائم فى خلق الانسان ، ولكن خلق كل شىء فقدره تقـــديراً ، وقال الشـــاعر :

وله فى كل شىء خلقـــه
وكذاك الله ما شـــاء فعل

يعنى بالخلقه الصورة ، وهو قول عطية ومقاتل . وقال الضحاك : أعطى كل شىء خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له ، وقيل أعطى كل شىء ما ألهمه من علم أو صناعة (١٦٠)

النوع الثانى : هذا النوع من أنواع الهداية المقصود به : هداية التكليف كما جاء فى قوله تعـــالى « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » (١٦١) أى فهداهم الى دينه وشريعته المنـــزلة فى كتبه ، ولكنهم رفضـــوا وأعرضوا فقوله تعالى « وأما ثمود فهديناهم » أى بينا لهم الهدى والضلال «فاستحبوا العمى على الهدى» أى اختاروا الكفر على الايمان . وقال أبو العالية : اختاروا العمى على البيان ، وقال السدى : اختاروا المعصية على الطاعة (١٦٢). وكذا قوله تعالى « وما كان الله ليضـــل قوما بعد اذ هداهم

---

(١٦٠) الامام القرطبى - الجامع لاحكام القرآن جـ١١ ص٢٠٥ .
(١٦١) سورة فصلت الآية رقم ١٧ .
(١٦٢) تفسير القرطبى جـ١٥ ص٣٤٩ .

حتى يبين لهم ما يتقون » (١٦٣) أى : فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا ، فأضلهم عقوبة على ترك الاهتداء أولا بعد أن عرفوا الهدى فأعرضـــوا عنه فأعماهم عنه بعـد أن أراهموه ، وهذا شأنه سبحانه فى كل من أنعم عليه بنعمـة فكفرها ، فانه يسلبه اياها بعد ان كان نصيبه وحظه كما قال تعالى « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١٦٤) وقال تعالى عن قوم فرعون « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » (١٦٥) أى جحدوا بآياتنا بعد أن تيقنوا صحتها وقال « كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرســول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين » (١٦٦) .

فالهداية التى أثبتها الله تعالى لانبيائه ورسله وأهل دعوته — هى التى جعلها الله تعالى لرسوله حيث قال « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (١٦٧) — والصراط المسـتقيم هو الاسلام — أما هداية التوفيق والالهام فخاصـــة بذاته المقدسة كما فى قوله تعالى « والله يدعو الى دار الســـلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » (١٦٨) .

فجمع سبحانه بين الهدايتين العامة والخاصة ، وهذا النوع من الهداية أخص من النوع الذى قبله ، لان فى هذا

---

(١٦٣) سورة التوبة الآية رقم ١١٥ .
(١٦٤) سورة الانفال الآية رقم ٥٣ .
(١٦٥) سورة النمل الآية رقم ١٤ .
(١٦٦) سورة آل عمران الآية رقم ٨٦ .
(١٦٧) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .
(١٦٨) سورة يونس الآية رقم ٢٥ .

النوع هداية تخص المكلفين ، وهى حجة الله على خلقه التى لا يعذب أحد الا بعد اقامتها عليه قال تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (١٦٩) وقال تعالى « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل » (١٧٠)

النوع الثالث : يقصد بهذا النوع من أنواع الهداية ـ هداية التوفيق والالهام ـ وهذا النوع أخص من النوع الذى قبله لانه يستلزم أمرين : أحدهما فعل الرب تعالى وهو الهدى والثانى فعل العبد وهو الاهتداء ، فالله سبحانه وتعالى هو الهادى والعبد هو المهتدى قال تعالى « ومن يهد الله فهو المهتد » (١٧١) أى من لم يحصل على هداية التكليف لم يحصل على هداية التوفيق ، فقد قال تعالى « ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل » (١٧٢) ـ وهذا صريح فى أن هذا الهدى ليس له ﷺ ولو حرص عليه ، ولا الى أحد غير الله سبحانه وتعالى كما قال جل شأنه « من يضلل الله فلا هادى له » (١٧٣) وقال تعالى « ومن يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » (١٧٤) وقال تعالى « أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاواة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » (١٧٥) ٠ وكما قال تعالى أيضا

---

(١٦٩) سورة الاسراء الآية رقم ١٥ ٠

(١٧٠) سورة النساء الآية رقم ١٦٥ ٠

(١٧١) سورة الاسراء الآية رقم ٩٧ ٠

(١٧٢) سورة النحل الآية رقم ٣٧ ٠

(١٧٣) سورة الاعراف الآية رقم ١٨٦ ٠

(١٧٤) سورة الانعام الآية رقم ٣٩ ٠

(١٧٥) سورة الجاثية الآية رقم ٢٣ ٠

« يضــل به كثيرا ويهــدى به كثيــرا وما يضــل به الا الفاسقين » (١٧٦) فالله عز وجل يضل من اتخذ الهه هواه وكان من الفاسقين كما أنه جل شأنه يهدى من اتبع سبيله ورضوانه فقد قال جل شأنه « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١٧٧) ٠

فالمولى عز وجل أمر عبــاده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم ، كل يوم وليــلة فى الصــلوات الخمس وذلك يتضمن الهداية الى الصراط والهداية فيه ، كما أن الضلال نوعان : ضلال عن الصراط فلا يهتدى اليه وضــلال فيه ، فالاول ضلال عن معرفته والثانى ضلال عن تفاصيله أو بعضها (١٧٨) ٠

النوع الرابع : الهداية فى هذا النوع - الهدايــة الى الجنة والنار يوم القيامة قال تعالى « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم » (١٧٩) وقال تعالى « والذين قتلوا فى سبيل الله

---

(١٧٦) سورة البقــرة الآية رقم ٢٦ ٠

(١٧٧) سورة المــائدة الآية رقم ١٦ ٠

(١٧٨) الامام ابن قيم الجــوزية شفاء العليــل ص ١٧٥ ٠ تحقيق الحسانى حسن عبد الله نشر مكتبة دار التراث ٠

(١٧٩) سورة الصافات الآية رقم ٢٢ ، ٢٣ ٠

فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم » (١٨٠) فهذه هداية بعد قتلهم ، واختلف فى المعنى فقيل : سيهديهم الى طريق الجنة ويصلح بالهم فى الآخرة ، وقبول أعمالهم ، وقال ابن عباس : سيهديهم الى أرشد الامور ويعصمهم أيام حياتهم فى الدنيا ، واستشكل هذا القول ، لانه أخبر عن المقتولين فى سبيله بأنه سيهديهم واختاره الزجاج وقال : يصلح بالهم فى المعاش وأحكام الدنيا ، قال : وأراد به : يجمع لهم خير الدنيا والآخرة ، وعلى هذا القول فلابد من حمل قوله تعالى « قتلوا فى سبيل الله » على معنى يصح معه اثبات الهداية واصلاح البال ٠

وهكذا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد أقام حجته على خلقه بما أرسل اليهم من الانبياء والمرسلين من أجل تبليغهم دعوته ، وقد جعل سبحانه وتعالى فى ذلك هدايته لخلقه لما هو خير لهم فى دنياهم وأخراهم ، وهدايته هذه هى هداية التكليف التى يعيش الانسان من خلال قبولها أو رفضها بين الهدى والضلال ٠ ولذلك فقد جاء الاسلام الحنيف لدعم كيان الانسان ورعاية ما يكفل له طريق الخير ، ويوجه الانسانية كلها الى الطريق المستقيم ٠

فقد جاءت أسس هذا الدين الخاتم على أساس ما فى الانسان من طبائع وميول — فأوضح الاسلام له طريق الهداية ومنحه العقل الذى يقاوم به الاهواء والنزوات

---

(١٨٠) سورة محمد الآية رقم ٤ ، ٥ ٠

النفسية لكى يصيد مسارب الشر ويقي الانسان من الانحدار الى مهاوي الضلال والهلاك التي تنجم عن طاعة النفس الامارة بالسوء ٠

فقد خلق الله تبارك وتعالى الانسان ، ورفعه وكرمه وميزه على غيره بالعقل الذى يوضح له طريق الهداية والضلال ، كما أن فى الانسان نقطة ضعف فى كيانه هى حبه للشهوات قال تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ٠ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » (١٨١) ٠

اذن الانسان عرضة للضعف ، لكونه مزود بالقدرة على الاناقة من هذا الضعف بالتوجه الى الله تعالى وفى صميم فطرته أن يفعل هذه وتلك قال تعالى «ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (١٨٢) ٠

يقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآيات «فألهمها فجورها وتقواها » أى فأرشدها الى فجورها وتقواها ، أي بين لها ذلك ، وهداها الى ما قدر لها ، وقال ابن عباس : بين لها

---

(١٨١) سورة آل عمران الآية رقم ١٤ ٠

(١٨٢) سورة الشمس الآية رقم ٧،٨،٩،١٠ ٠

الخير والشر ، وكذا قال مجاهد ، وقتادة والضحاك ، والثوري وسعيد بن جبير الهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد ، جعل فيها فجورها وتقواها ، وقوله تعالى « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » يحتمل أن يكون المعنى وطهرها من الاخلاق الدنيئة والرذائل ، ويروى نحوه عن قد أفلح من زكى نفسه ، أي بطاعة الله كما قال قتادة مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، وكقوله تعالى « وقد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى » (١٨٣) ، « وقد خاب من دساها » أي دسها ، أي أخملها ووضع منها بخذلانه اياها عن الهدى حتى ركب المعاصي ، وترك طاعة الله عز وجل. وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه (١٨٤) وقال تعالى « وهديناه النجدين » (١٨٥) يعني طريق الخير والشر : أي بيناهما له بما أرسلناه من الرسل والنجد ، المقصود به الطريق في ارتفاع – وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما (١٨٦).

والله سبحانه وتعالى هو الذي يملك الهدى ، وهو الذي يعطيه لمن يأخذ بأسبابه ولمن يبدأ السير في طريقه

---

(١٨٣) سورة الأعلى الآية رقم ١٤، ١٥ .

(١٨٤) الامام بن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٥١٦ .

(١٨٥) سورة البلد الآية رقم ١٠ .

(١٨٦) الامام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن جـ٢٠ ص٦٥ .

عند ذلك يمن الله عليه بالهدايـة الحقيقية وباليقين التـام وذلك كمـا جـاء فى قوله تعـالى « والذين جـاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » ١٨٧ .

جاء فى تفسير ابن كثير « والذين جاهدوا فينا » يعنى الرسول ﷺ وآله وسلم وأصحابه وأتباعـه الى يوم الدين « لنهدينهم سبلنا » أى لنبصرهم سبلنا أى طرقنا فى الدنيا والآخرة ، قال ابن أبى حاتم ... فى تفسير الآية أيضـا قال : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لمـا لا يعلمون (١٨٨) .

وقوله تعالى « يهدى به الله من اتبع رضوانه سـبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١٨٩) وقوله تعالى ويقول الذين كفـروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب » (١٩٠) .

وقوله تعالى « هدى وذكرى لأولى الألبـاب » (١٩١) وهى العقول الصحيحة السليمة .

---

(١٨٧) سورة العنكبوت الآية رقم ٦٩ .

(١٨٨) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٤٢٢ .

(١٨٩) سورة المـائدة الآية رقم ١٦ .

(١٩٠) سورة الرعـد الآية رقم ٢٧ .

(١٩١) سورة غافر الآية رقم٥٤ .

ومن هنا فقد أدرك أئمتنا السابقون أن الهداية انما تكون منحة من الله تعالى بما يقذفه الله فى القلب من نور الايمان والتصديق - رأى ذلك وقرره الإمام أبو حنيفه كما وجده الامام الغزالى وغيرهما من أئمة الهدى والرشاد (١٩٢) .

ولهذا وكما أشرنا علينا أن نتهيأ للهدى وأن نستعد له وأن نأخذ بأسبابه الممكنة والعادية .

أما أولئك الذين يأخذون بأسباب الضلال فان الهدى محجوب عنهم .

يقول تعالى « ومن أظلم من أفترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين » (١٩٣) .

وقوله تعالى « والله لا يهدى القوم الفاسقين »(١٩٤) .

وقوله تعالى « والله لا يهدى القوم الكافرين » (١٩٥) .

---

(١٩٢) الدكتور يحيى هاشم فرغل - أساسيات العقيدة الاسلامية ص٨٥ نشر مكتبة أبو ظبى - العين .

(١٩٣) سورة الصف الآية رقم ٧ .

(١٩٤) سورة التوبة الآية رقم ٢٤ .

(١٩٥) سورة التوبة الآية رقم ٣٧ .

وهكذا تلاحظ أن أسباب الهدى بينة ، وأسباب الضلال بينة .

أسباب الهدى تكمن فى توجه الرغبة الى الهداية والاخلاص فى طلبها ، تخلص فى تجريد النفس من العناد ، وتجريد القلب من الهوى ، وتطهير الروح من التبعية والعبودية (١٩٦) .

أسباب الهدى تكمن فى التوجه الى المثل العليا ، من الحق والخير والجمال قال تعالى « من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب » (١٩٧) أى القلب المخلص المقبل على طاعة الله سبحانه وتعالى ولهذا فقد عبر القرآن الكريم بالوجه المتجه الى الله تعالى قال تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه » (١٩٨) واسلام الوجه لله تعالى هو الاخلاص له تعالى والتوجه اليه بالعبادة قال تعالى « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » (١٩٩) .

---

(١٩٦) الدكتور يحيى هاشم فى اساسيات فى العقيدة ص٨٥ .

(١٩٧) سورة ق الآية رقم ٣٣ .

(١٩٨) سورة البقرة الآية رقم ١١٢ .

(١٩٩) سورة النساء الآية رقم ١٢٥ .

وقد عبر جل شأنه عن اسلام القلب باسـلام الوجـه كما عبر عنه بتوجيه الوجـه فى قوله تعـالى « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا » (٢٠٠) واسلام الوجـه له تعالى هو توجيه القلب له جل شأنه وعبر بالوجه عن القلب لان الوجه أعم مظهر لمـا فى النفس من الاقبال أو الاعـراض ، أما أسباب الضـلال فتكمن فى عكس ذلك مما أسـماه الحق تبـارك وتعـالى ظلمـا ، وفسقا ، وكفـرا ، وكذبا ، واسرافا ٠

فالهدى يعطيه الله تعـالى لمن يستحق ممن يأخـذون بأسبابه ، أما الاستقلال عن الله تعالى فمن أسباب الضلال والهلاك ٠

وقانا الله تعالى شر الضلال والهلاك ، ووفقنا للعمل بما جـاء فى كتابه الكـريم وسنة رسـوله ﷺ ٠ وصـدق الله العظيم اذ يقول « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السـلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (٢٠١) ٠

---

(٢٠٠) سورة الانعام الآية رقم ٧٩ ٠

(٢٠١) سورة المـائدة الآية رقم ١٥، ١٦ ٠

وقوله تعالى «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين» (٢٠٢) .

وقوله تعالى «قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء» (٢٠٣)

وقوله تعالى «هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون» (٢٠٤) .

وقوله تعالى «ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا» (٢٠٥) .

ويقول الرسول ﷺ «سل الله تعالى الهدى والسداد ، واذكر بالهدى هدايتك الطريق ، واذكر بالسداد تسديدك السهم» (٢٠٦) .

---

(٢٠٢) سورة الاسراء الآية رقم ٨٢ .

(٢٠٣) سورة فصلت الآية رقم ٤٤ .

(٢٠٤) سورة الجاثية الآية رقم ٢٠ .

(٢٠٥) سورة الاسراء الآية رقم ٩ .

(٢٠٦) رواه الامام مسلم فى صحيحه ـ باب التعوذ من شر ما عمل وما لم يعمل .

- في هذا الحديث الشريف يدعونا الرسول ﷺ الى الالتجاء الى الله سبحانه وتعالى والاستعانة به ، والتوجه اليه وحده بالسؤال فى كل أمور حياتنا ٠

فى الهدى : نسأله الهداية العظمى ، ونسأله هداية الطريق الذى نسلكه فى غدونا ورواحنا ٠

وفى السداد : نسأله السداد فى القول ، والسداد فى العمل وفى كلمة حق تقال وفى رمية سهم ٠

ففى الاتجاه الى الله تعالى وحده بالسؤال والدعاء هو جوهر العبادة وأكرمها عند الله تعالى ٠

فما أحوجنا نحن المسلمين الى ايمان صادق يعمق العقيدة فى قلوبنا ، والاخلاص لله فى أقوالنا وأعمالنا والصدق مع الله فى حياتنا ، واللجوء اليه فى كل أمورنا ومراقبته فى كل خلجات قلوبنا والحرص على طاعته فيما أمرنا ، والبعد عن كل ما نهانا عنه .

الفصل الخامس

الآخــرة

تمهيــــد :

على رجال العلوم الاسلامية والكونية ان يعو جيــدا ان العلم الكامل هو لله العلى القدير ، فهو وحده سبحانه وتعالى عــلام الغيوب ، الذى يعلم السر وحده . واذا كان الحق جل شأنه قد أذن لنا بالتعلم والتماس العلم والمعرفة فهذا فضل كبير على عباده فقد قال جل شأنه « وعلم آدم الأسماء كلهــا ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أن العليم الحكيم » (١) وقال جل شأنه « لا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء » (٢) .

وهذا رسول الانسانية سيدنا محمد ﷺ يقول له ربه «قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين » (٣) .

لذا فنحن نهيب برجــال العلوم الاســلامية وغيرهم أن لا يهجم أو يخلط فى أمور الغيب والمســائل الغيبيــة ، لأنه لافكاك للانسان من التسليم بصدقها ووقوعها لأن مصدرها الحق جل شأنه الذ ى أحاط بكل شىء علمــا ، وطريق ورودها موثق بالأمنين جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، قال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب معين » (٤) .

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٣١ ، ٣٢ .
(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٥ .
(٣) سورة الملك الآية رقم ٢٦ .
(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٥٩ .

ان الايمان بالغيب ضرورة دينية ، ان الايمان بالله تعالى ، ذاتا وصفاتا وأفعالا عن طريق الأدلة ، والايمان ببعض مخلوقات الله تعالى ـ كالملائكة ، والايمان بالكتب عن طريق الرسالات السماوية ، والايمان بالقيامة ، والآخرة ، والبعث والنشور ، والجزاء والعقاب ، والجنة ، والنار وغير ذلك من الأمور السمعية التى يجب التصديق بها لدى كل عقل راجح ونفس سوية ـ فالايمان بالسمعيات أصل من أصول الدين ولا تؤخذ الا من السمع الذى طريقه الوحى ٠ لذا فانه فى عصر التقدم العلمى ، وفى عالم المدنية المعاصرة ـ أشد طلبا فى حياة البشر وسلامة النفوس مما يعتريها فى عالم اليوم ٠

ويجب أن يعلم رجال الكشوف العلمية وعلماء البحوث الذين يتمسكون بالبحث فى الامور المادية أن فى العالم الغيبى أمورا لن يستطيعوا سبر أغوارها أو معرفة كنهها ـ أما النتائج العلمية التى توصلوا اليها عن طريق اختباراتهم واستدلالاتهم، فهى ضرب من الضروب التى أذن الله بانبلاجها على أيدى هؤلاء الباحثين ، ذلك أن حكمة الله تعالى تقتضى ذلك خدمة للبشر واستمرارا لصالح الانسان ، فكل ما تأذن به القدرة الالهية فى كشفه انما يعد من عالم الشهادة أثر ظهوره ٠

أما عالم الغيب فهى أمور سيظل الواهمون يلهثون وراءها دونما طائل أو ثمرة الا ضياع الأوقات والجهود والأعمار ـ وستظل حقائق الأشياء الغيبية تتحدى العقول البشرية أبد الآبدين ٠

من هنا كان وجوب الايمان باليوم الآخر وما فيه ٠ من بعث وحساب وجنة ونار وثواب وعقاب وغير ذلك من مشاهد هذا اليوم ٠

وجوب الايمان باليوم الآخر

ان من العقائد الايمانية المقررة وجوب الايمان باليوم الآخر - وهو عبارة التصديق الجازم بوقوع اليوم الآخر .

فالايمان باليوم الآخر من الأركان الأساسية التى تبنى عليها عقيدة المسلم ، فلا تتم عقيدته الا به ، ولا تصح الا عليه .

لهذا فقد عنى القرآن الكريم بهذا المعتقد لأهميته فى حياة المؤمن ولآثاره العظيمة فى استقامة الفرد وصلاحه - لهذا فقد تحدث القرآن الكريم عنه فى كثير من السور بل وفى العديد من الآيات وذلك لأهميته فى استقامة الانسان على أوامر الدين ونواهيه فى حياته قال تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » (٥)

لهذا فانا نشير فى الصفحات التالية الى بعض مسائل اليوم الآخر .

---

(٥) سورة الاحزاب الآية رقم ٢١ .

المقصــود باليــوم الآخــر

ان من عناصر العقيدة الأساسية - الايمان باليوم الآخر - بل هو العنصر الهام الذى يلى الايمان بالله مباشرة ، لأن الايمان بالله يحقق المعرفة بالمصــدر الأول الذى صــدر عنــه الكون ، والايمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصــير الذى ينتهى اليه هذا الوجود (٦) ولهذا فقد وضح القرآن الكريم هذه الحقيقة ، وأقام عليها الأدلة الساطعة ، واهتم القرآن الكريم بتقرير الايمان بهذا اليوم حتى ربطــه بالايمان بالله تعالى قال تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر » (٧) ·

هذا والمقصود باليوم الآخر : هو آخر يوم فى هذه الدنيا فيموت كل من فيها من الأحياء ، ثم ينشىء الله النشأة الآخرة فيبعث الله الناس جميعا ويرد اليهم الحياة مرة أخرى ·

جاء فى لسان العرب مادة « آخر » فى أسماء الله تعالى : الآخر ، والمؤخر ، فالآخر هو الباقى بعد فناء خلقه كله ، ناطقة وصامتة، والمؤخر هو الذى يؤخر الاشياء فيضعها فى مواضعها وهو ضد المتقدم ، ··· والآخر بكسر الخاء هو الله عز وجل تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٨) ، ولقد روى عن النبى ﷺ أنــه قــال : أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء والآخرة دار البقاء (٩) ·

---

(٦) الشيخ السيد سابق - العقائد الاسلامية ص ٢٥٩ دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ·

(٧) سورة البقرة الآية رقم ١٧٧ ·

(٨) سورة الحديد الآية رقم ٣ ·

(٩) الامام بن منظور لسان العرب المجلد الأول ص ٣٨ ·

وقيل أن المراد باليوم الآخر ، هو يوم القيامة ، وأوله من وقت الحشر الى ما لا يتناهى على الصحيح ، وقيل الى أن يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار ، النار وسمى باليوم الآخر لأنه آخر أيام هذه الدنيا ، بمعنى أنه متصل باخر أيام الدنيا لأنه ليس منها حتى يكون آخرها (١٠) · قال تعالى : وبالآخرة هم يوقنون » (١١) ·

أى بالبعث والقيامة ، والجنة ، والنار ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، وغير ذلك ·

هذا وقد تعددت أسماء هذا اليوم لكثرة ما فيه من أحداث ، والقرآن الكريم أشار الى أسماء هذا اليوم ، وما سوف يحدث فيه من أهوال ومن هذه الأسماء يوم الجمع والتغابن قال تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » (١٢)

يوم الفصل قال تعالى : « وما أدراك ما يوم الفصل » (١٣) ·

يوم الدين ، لأنه يوم السؤال ، والحساب والجزاء قال تعالى : « مالك يوم الدين » (١٤) · يوم القيامة قال تعالى : « لا أقسم بيوم القيمة » (١٥) ·

---

(١٠) الامام ابراهيم البيجورى - شرح البيجورى على الجوهرى ص ٢١١ ·

(١١) سورة البقرة الآية رقم ٤ ·

(١٢) سورة التغابن الآية رقم ٩ ·

(١٣) سورة المرسلات الآية رقم ١٤ ·

(١٤) سورة الفاتحة الآية رقم ٣ ·

(١٥) سورة القيامة الآية رقم ١ ·

يوم الخلود « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » (١٦) ٠

يوم الخروج قال تعالى « يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج » (١٧) ٠

يوم الحساب قال تعالى : « انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحســاب » (١٨) ٠

يوم الآخرة قال تعالى : « بل تؤثرو نالحيــاة الدنيــا والآ خرة خير وأبقى » (١٩) ٠

يوم الفتح قال تعالى « قل يوم الفتــح لا ينفــع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون » (٢٠) ٠

يوم التلاق قال تعــالى : « رفيع الدرجــات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشــــاء من عبــاده لينــذر يوم التلاق » (٢١) ٠

يوم الحسرة قال تعالى : « وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » (٢٢) ٠

---

(١٦) سورة ق الآية رقم ٣٤ ٠
(١٧) سورة ق الآية رقم ٤٢ ٠
(١٨) سورة غافر الآية رقم ٢٧ ٠
(١٩) سورة الأعلى الآية رقم ١٦ ، ١٧ ٠
(٢٠) سورة السجد الآية رقم ٢٩ ٠
(٢١) سورة غافر الآية رقم ١٥ ٠
(٢٢) سورةمريم الآية رقم ٣٩ ٠

يوم التناد قال تعالى : وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد » (٢٣) ٠

كما سمى بالزلزلة قال تعالى : « اذا زلزلت الأرض زلزالها » (٢٤) ٠

وبالقارعة ، لأنها تقرع القلوب بأهوالها قال تعالى : « القارعة ما القارعة » (٢٥) ٠

كما سمى هذا اليوم بالواقعة ، والطامة الكبرى والصاخة وغير ذلك من الأسماء التى تدل على شدائد هذا اليوم وأهواله ٠

وهكذا كان اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر لأن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد انكار وقالوا كما حكى القرآن الكريم عنهم « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » (٢٦ ٠

وكان من اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر لأن الايمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية ، وهدفا أغلى ، وهذه الغاية هى فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل الضارة بالابدان والأديان والأعراض ، والعقول ٠ ٢٧) ٠

---

(٢٣) سورة غافر الآية رقم ٣٢ ٠

(٢٤) سورة الزلزلة الآية رقم ١ ٠

(٢٥) سورة القارعة الآية رقم ١ ٠

(٢٦) سورة الجاثية الآية رقم ٢٤ ٠

(٢٧) الشيخ السيد سابق ـ العقائد الاسلامية ص ٢٦٥ ـ دار الفكر بيروت لبنا الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ٠

كيف يبــدأ يوم القيــامة

ان قيام الساعة من الأمور التى لا يعلمها الا الله تعــالى قال تعالى« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام » (٢٨) فهو مما استأثر الله بعلمه قال تعالى « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله » (٢٩) ٠

واذا كانت القيامة تبدأ بالنفخ فى الصور كما سيأتى ، فان هذا النفخ يحدث فجأة وسـط تكذيب المنــكرين لليــوم الآخر ، وهم يلهون ويلعبون « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » (٣٠) ٠

يعنى كفــار مكة حين كذبوا بعـذاب الآخرة ، أى أتركهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنيــاهم (٣١) ٠ « حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » فهم استقصروا مدة لبثهم فى هذه الحياة قال تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة (٣٢) وقوله « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعــارفون » (٣٣) وقال : « حتى تأتيهم الساعة بغتة » (٣٤) ٠

---

(٢٨) سورة لقمان الآية رقم ٣٤ ٠
(٢٩) سورة الأعراف الآية رقم ١٨٧ ٠
(٣٠) سورة الزخرف الآية رقم ٨٣ ٠
(٣١) القرطبى جـ١٦ ص ١٢١ ٠
(٣٢) سورة الروم الآية رقم ٥٥ ٠
(٣٣) سورة يونس الآية رقم ٤٥ ٠
(٣٤) سورة الحج الآية رقم ٥٥ ٠

وقال « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » (٣٥) .

والمراد : تقليل مدة الدنيا كما قال تعالى « لم يلبثوا الا ساعة من النهار » .

وروى الضحاك عن ابن عباس : كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا يوما واحدا ، وقيل : « لم يلبثوا » فى قبورهم الا عشية أو ضحاها ، وذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم فى القبور لما عاينوا من الهول (٣٦) .

يبدأ هذا اليوم أى يوم القيامة بالنفخ فى الصور ، وهو عبارة عن قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام باذن الله تعالى معلنا نهاية الدنيا وبداية يوم القيامة قال تعالى « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (٣٧) .

يقول الامام القرطبى : المراد بهذا النفخ النفخة الثانية « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » قال ابن عباس : لا يفتخرون بالأنساب فى الآخرة كما يفتخرون بها فى الدنيا ، ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون فى الدنيا ، وعن ابن عباس أن ذلك فى النفخة الأولى حين يصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٣٨) .

---

(٣٥) سورة النازعات الآية رقم ٤٦ .
(٣٦) القرطبى - التفسير جـ١٩ ص ٢١٠ .
(٣٧) سورة المؤمنون الآية رقم ١٠١ .
(٣٨) الامام القرطبى جـ١٢ ص ١٥١ .

وقال أيضا « يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا » (٣٩)
وقال « ونفخ فى الصور فاذاهم من الاجداس الى ربهم ينسلون » (٤٠) ٠

وقوله تعالى « ونفخ فى الصور فصعق من السموات ومن فى الارض الا من شاء ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » (٤١) بين ما يكون بعد قبض الارض وطى السماء وهو النفخ فى الصور وانما هما نفختان يموت الخلق فى الأولى منهما ويحيون فى الثانية (٤٢) وهذا هو البعث ٠

البعث بعد الموت :

لقد أوضح القران أدلة البعث بعد الموت ، بعد أن أشار الى شبهات المنكرين للبعث ، وأنهم كانوا ينكرون البعث الجسمانى ويستبعدون احياء جسدا أصبح ترابا . ويستغربون من احياء عظام صارت نخرة بالية ولقد رد عليهم القرآن الكريم بآيات قد بددت شبهاتهم وردت كيدهم فى نحورهم قائلا « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » ٠

ونود أن نشير هنا الى أن البعث الذى أمرنا المولى تعالى بالايمان به ليس بعثا روحيا فقط ، وانما يبعث الانسان ويحاسب ، ويعذب فى النار أو يجازى فى الجنة روحا وجسدا والقرآن الكريم زاخر بالأدلة على البعث وعلى

---

(٣٩) سورة النبأ الآية رقم ١٨ ٠
(٤٠) سورة يس الآية رقم ٥١ ٠
(٤١) سورة الزمر الآية رقم ٦٨ ٠
(٤٢) القرطبى - التفسير جـ١٥ ص ٢٧٩ ٠

وقوعه من ذلك قوله تعالى « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة . ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير ، وأن الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور » (٤٣) .

ان الذى يتـأمل فى هذه الآيات القرانيـة وما فيهـا من دلالات واضحة على قدرة الله تعالى ، من احياء الأرض حين ينزل عليها الماء ، وفى هذا دليل على البعث بعد الموت وأنه ممكن .

ولهذا يلفت القرآن الكريم نظر الانسان الى حقـائق تدل بالضرورة على امـكان البعث وتحقق وقوعه وترد على الذين أنـكروا البعث من ذلك مثـلا قوله تعـالى « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » (٤٤) .

جاء فى تفسير الامام القرطبى : قال ابن عباس رضى الله عنه : الانسان هو عبد الله بن أبى وقال سعيد بن جبير : هو

---

(٤٣) سورة الحج الآية رقم ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٤٤) سورة يس من الآية رقم ٧٧ الى رقم ٨٠ .

العاصى بن وائل السهمى وقال الحسن : هو ابى بن خلف الجمحى ، وذلك انه اتى النبى ﷺ بعظم حائل فقال : يامحمد أترى أن الله يحيى هذا بعد ما رم ، فقال النبى ﷺ « نعم ويبعثك ويدخلك النار » (٤٥) ٠

فنزلت هذه الآية « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ٠٠٠ » ٠

فالقرآن الكريم يلفت نظر الانسان الى خلقه ، وقد خلقه . ثم دلل على كمال قدرته تعالى فى أحياء الموتى بما يشاهدونه من اخراج المحرق اليابس من العود الندى الرطب ، فهو القادر على اخراج الضد من الضد ، والله تعالى يخرج الشىء من نقيضه ، فيخرج من الشجر الأخضر الذىيقطر ماء نارا توقد منه – وهذا ما نراه بالحس والمشاهدة فيكون انكار البعث مع مع ما نراه مكابرة أو عناد ضد الحقيقة والواقع قال تعالى : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » ٠

فجعل النشأة الأولى دليل على الآخرة يقول صاحب المقاصد « أن الحشر والاعادة أمر ممكن أخبر به الصادق فيكون واقعا أما الامكان ، فلأن الكلام فيما عدم بعد الوجود أو تفرق بعد الاجتماع أو مات بعد الحياة فيكون قابلا لذلك ، والفاعل هو الله القادر على كل الممكنات العالم بجميع الكليات والجزئيات » (٤٦) ٠

هذا وقد ساق القرآن الكريم الكثير من الأمثلة الحية للدلالة على البعث بعد الموت ٠

---

(٤٥) الامام القرطبى – التفسير ج١٥ ص ٥٨ ٠

(٤٦) الامام سعد الدين التفتازانى – شرح المقاصد ج٢ ص ١٥٦ ٠

من ذلك مثلا ظاهرة انبات الأرض ، فانا نرى الأرض الميتة التى لا حياة فيها ، فاذا هى تنبت بالزرع والثمر قال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » (٤٧) ٠

وقوله تعالى « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » (٤٨) ٠

ومن الأمثلة المحسوسة على اثبات البعث يلفت القرآن الكريم نظر الانسان الى ظاهرة صحو الانسان بعد منامه ، لأن النوم كالموت والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت قال تعالى : « والله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٤٩) ٠

وبعد هذه الأمثلة الحية التى أرشدنا اليها القرآن الكريم ، ندرك أن الأدلة القرآنية من أقوى الأدلة التى تخاطب القلب والعقل كما أنها تلزم المعاند بالاعتراف بالحق والحقيقة ، لأن المنكر للبعث متناقض مع نفسه ، فعليه أن ينظر الى نفسه فى حالة صحوه بعد منامه لأن النوم كالموت والاستيقاظ من النوم كالبعث من الموت ، أو ينظر الى ظاهرة احياء الأرض بعد أن تكون ميتة . وهى ظاهرة تتكرر أمامنا .

---

(٤٧) سورة فاطر الآية رقم ٩ ٠

(٤٨) سورة الاعراف الآية رقم ٥٧ ٠

(٤٩) سورة الزمر الآية رقم ٤٢ ٠

فلماذا نستبعد البعث الذى يتم بعد الموت أمام قدرة الله سبحانه وتعالى وارادته التى تخرج الشىء من نقيضه ، وتضع القوانين الكونية (٥٠) وتخلق السموات والأرض وما بينها والله على كل شىء قدير ٠

---

(٥٠) الدكتور عبد الحليم احمدى – العقيدة الاسلامية ص ٢٤٠ طبعة الكويت

الشــــفاعة

من الأمور التى تتصل باليوم الآخر ـ الشفاعة ـ وهى فى اللغـة مـأخوذة من الشـفع الذى هو ضـد الوتر ـ وفى الاصطلاح : مسألة الغير أن يشفع له اليه ـ وتشفع اليه فى فلان فشفعه فيه تشفيعا (٥١) وقد تحـدث الكتـاب الكريم والسنة النبوية المطهرة عن الشفاعة يوم القيامة فقال تعالى : « ما من شفيع الا من بعد اذنه » (٥٢) ٠

وقال تعالى : « يومئـذ لا تنفع الشـفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » (٥٣) ٠

وقول رســول الله ﷺ « شــفاعتى لأهل الكبـائر من أمتى » (٥٤) ٠

والشفاعة أنواع وهى :

أولا : الشفاعة العظمى ـ وتكون يوم الهول الأكبر فى الموقف قبل الحساب ، وفيها يختص الحق جل شأنه حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ بالشفاعة ٠

ثانيا : الشفاعة فى ادخال فريق الجنة بغير حسـاب ، وهذه أيضا للنبى ﷺ ٠

---

(٥١) الامام محمد بن عبد القادر الرازى ـ مختار الصحاح مادة شفع ص ٢٩٤ ٠

(٥٢) سورة يونس الآية رقم ٣ ٠

(٥٣) سورة طه الآية رقم ١٠٩ ٠

(٥٤) الامام الترمذى ـ السنن ـ كتاب صفة القيامة باب ما جاء فى الشفاعة جـ٤ ص ٦٢٥ طبعة الحلبى ٠

ثالثا : الشفاعة فى زيادة الدرجات ويشارك فيها ﷺ - الأنبياء والصالحون ٠

رابعا الشفاعة فيمن ارتكب المعصية من المؤمنين ، وخالف فى هذا بعض الفرق الا أن الحق والحقيقة هو حصول الشفاعة لأهل المعصية فى حط السيئات اما فى العرصات واما بعد دخول النار ، وذلك لما اشتهر بل تواتر معنى ادخار الشفاعة لأهل الكبائر لقوله ﷺ « ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » (٥٥) ٠

لذلك يقول صاحب المواقف أجمع الأمة على أصل الشفاعة ، وهى عندنا لأهل الكبائر من الأمة لقوله عليه الصلاة والسلام شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ولقوله تعالى : « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » (٥٦) ٠

أى ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة وطلب المغفرة شفاعة (٥٧) ٠

ذلك أن ثبوت الشفاعة لمرتكب الكبيرة من أهل الاسلام ليس فيه أى تجزئة أو تشجيع على الاستمرار فى الضلال والغى. والشرع هو الذى يدفع عنه اليأس ويدخله فى باب الرحمة الالهية ، وربما أدى هذا الى توبته وعودته الى رياض الايمان ٠

---

(٥٦) الامام الترمذى - السنن - كتاب صفة القيامة باب الشفاعة جـ٤ ص ٦٢٥ ٠

(٥٦) سورة محمد الآية رقم ١٩ ٠

(٥٧) الامام عضد الدين الأيجى - المواقف - ٣٨ ٠

يقول الحق تبارك وتعالى : « قل ياعبادى الذين أسرفوا انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » (٥٨) .

ولهذا يقول الامام الجوينى – وقد شهدت له شواهد من الكتاب والسنة ، لم نذكرها لشهرتها ، فيترتب على ذلك تشفيع الشفعاء وحط أوزار المجرمين بشفاعتهم ، فمذهب اهل الحق أن الشفاعة حق (٥٩) .

واذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على آيات فى موضوع واحد بعضها ينفيه مثل قوله تعالى : « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة » (٦٠) . وبعضها يثبته كقوله تعالى « ما من شيع الا من بعد اذنه » . (٦١) .

أجيب بأنه لا يمكن أن يكون محل النفى والاثبات واحد لئلا يلزم التناقض وهو محال ، فوجب أن تكون الشفاعة المنفية غير الشفاعة المثبتة ، فالشفاعة المنفية هى الشفاعة للكفار ، والشفاعة المثبتة هى الشفاعة لمذنبى هذه الأمة ، ولما كان صاحب الكبيرة مؤمن واستغفار النبى المأمور به قبل التوبة يقبل كما جاء فى قوله تعالى « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » ولقوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى »

---

(٥٨) سورة الزمر الآية رقم ٥٣ .

(٥٩) اما الحرمين الجوينى – الارشاد ص ٣٩٢ .

(٦٠) سورة البقرة الآية رقم ١٢٣ .

(٦١) سورة يونس الآية رقم ٣ .

يقول صاحب جوهرة التوحيد :

وواجب شـــفاعة المشـفع	محمـــد مقـــدما لا تمنع
وغيره من مرتضى الأخيـــار	يشفع كما جاء فى الأخبار
اذ جائز غفران غير الـكفر	فلا تـكفر مؤمنـــا بالوزر

الحســــاب

ان من صفات الكمال لله سبحانه وتعالى العدل ، والحكمة - فهو جل شأنه عدل لا يظلم أحدا من خلقه ، وحكيم لا يضع الشيء في غير موضعه ٠

ومن عدله وحكمته ألا يسوى بين البر والفاجر ، ولا بين المؤمن والكافر ولا بين المحسن والمسيء ٠

لهذا فقد بين القرآن الكريم عدالة الحساب يوم القيامة ، فلا تظلم فيه نفس شيئا قال تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين » (٦٢) وهذا غاية العدل حيث توفى كل نفس ما كسبت قال تعالى « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ، وخلق الله السموات والأرض بالحـق ولتجـزى كـل نفس بمـــا كســبت وهــم لا يظلمون » (٦٣) ٠

كما أنه سوف يقف كل انسان على صحيفته ليعلم كل ما فيها من الأعمال قال تعالى : « وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » (٦٤) ٠

---

(٦٢) سورة الانبياء الآية رقم ٤٧ ٠

(٦٣) سورة الجاثية الآية رقم ٢١ ، ٢٢ ٠

(٦٤) سورة الاسراء الآية رقم ١٣ ، ١٤ ٠

وهناك يجد كل انســـان ســجله الدقيق الذى لا يغـادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها كما جاء فى قوله تعالى : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا » (٦٥) ·

وحينئـذ تظهر علامة الحســاب حين توزع الكتب على أصحابها ، فمن يأخذ كتــابه بيمينــه يــكون ذلك بشرى من البشرات السارة ، ومن يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره يكون ذلك علامة على سوء الحساب يقول تعالى « فأمامن أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب بحسابا يسيرا ، وينقلب الى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان فى أهله مسورا » (٦٦) ·

وعلى أساس هذا التسجيل الدقيق الصــادق يقول الله تعالى على لسان من أوتى كتابه بيمينه « هاؤم اقرأوا كتابية أنى ظننت أنى ملاق حسابية فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية » (٦٧) ·

وأما الذى أوتى كتابه بشماله فيقول « ياليتنى لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابية يا ليتها كانت القاضية » (٦٨) ·

وهذا من كمال العدل الالهى والحكمة الالهية أن يجعل الانسان يرى سجل حياته فيتذكر ما قدمت يداه بعد أن نسيه

---

(٦٥) سورة الكهف الآية رقم ٤٩ ·

(٦٦) سورة الانشقاق من الآ رقم ٧ الى رقم ١٣ ·

(٦٧) سورة الحاقة من الآية رقم ١٩ الى ٢٣ ·

(٦٨) سورة الحاقة الآية رقم ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ·

قال تعالى « « يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد » (٦٩) ٠

والذى قام بهذا التسجيل الدقيق همـا الملكـان الموكلان بكتابة الحسنات والسيئات لكل انسان « ما يلفظ من قـول الا لديه رقيب عتيد » (٧٠) ٠

وبعد أن يطلع كل انسان على سجل حسناته وسيئاته ـ هنا يريد أن يعرف غلبة أحدهما على الآخر فيأتى دور وزن الاعمال وتقديرها لمعرفة الراجح والمرجوح ، فما هو الميزان ٠

هو ما يقدر به أعمال العباد فى الآخرة قال تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيـامة فلا تظلم نفس شـيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » (٧١) ٠

ذهب بعض المفسرين (٧٢) الى أن للميزان كفتان وخيوط ولسـان والشـاهين ، فالجمـع يرجع اليها ، وقيل انه يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزانا توزن به أعماله فتوضـع الحسنات فى كفة ، والسيئات فى كفة ، وقيل يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد ، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله ويمكن أن يكون ميزانا واحدا عبر عنـه بلفظ الجمع ، فالميزان الكبير واحد اظهارا لجلالة الأمر وعظمة المقام ، وعلى هذا فالمشهور أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال .

---

(٦٩) سورة المجـادلة الآية رقم ٦

(٧٠) سورة الذاريات الآية رقم ١٨ ٠

(٧١) سورة الأنبياء الآية رقم ٤٧ ٠

(٧٢) الامام القرطبى ـ التفسير ج١١ ص ٩٢ ٠

حيث توضع الأعمال فى الميزان الحسنات فى كفة والسيئات فى أخرى ، فاذا ثقلت ــ الحسانات دخل الجنة أما اذا ثقلت السيئات دخل النار دون أن يظلم مثقال ذرة قال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهية نار حامية » (٧٣) ٠

وقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (٧٤) ٠

---

(٧٣) سورة القارعة من الآية رقم ٦ الى ١١ ٠

(٧٤) سورة الزلزلة الآية رقم ٧ ، ٨ ٠

الصراط

بعد أن ينتهى الحساب ويتحدد مصير كل انسان من الجنة أو النار يذهب البشر الى الصراط ، وهو لغة : الطريق الواضح واصطلاحا جسر ممدود على ظهر جهم يرده الاولون والآخرون قال تعالى : « وان منكم الا واردها كن على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (٧٥) .

ويمر على الصراط كل حسب عمله ، فمن الناس من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم كالرياح ، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملا ، فيمرون على قدر أعمالهم (٧٦) .

الحوض :

أما الحوض فقد قال تعالى : « انا أعطيناك الكوثر » (٧٧)

فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ قال حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا .

وقال الصحابة له ﷺ ، أين نطلبك يوم الحشر ؟ فقال : على الصراط . فان لم تجدوا فعلى الميزان ، فان لم تجدوا فعلى الحض (٧٨) .

---

(٧٥) سورة مريم الآية رقم ٢٥ .

(٧٦) شرح الطحاوية ص ٣٧١ .

(٧٧) سورة الكوثر الآية رقم ١ .

(٧٨) الامام سعد الدين التفتازانى - السمعيات من شرح المقاصد ص ١١٨ تحقيق الدكتور سليمان خميس .

الجنــة والنــار

أشرنا فيما سبق أن كل انسان سوف يحاسب على ما قدمت يده من خير أو شر ، فالمحسن يلقى جزاء ما قدم فى هذه الحياة من خير والمسىء يلقى حساب ما فرط فى جنب الله، والقرآن الكريم ينبه الأذهان الى هذا فيقول « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا ترجعون » (٧٩) ٠

ونحب ان نشير هنا الى أن كل ما وصف الله سبحانه وتعالى الجنة والنــار فهو حق ولا يجوز لمسلم أن يزعم ان الثواب والعقاب ، أمران معنويان لا حسيان بل يجب أن يعرف المسلم أن الثواب والعقاب للأجساد والأرواح ، وبناء عليه يكون النعيم مادى ومعنوى ، وكذلك العقاب يكون مادى ومعنوى ، فلقد صرح القرآن الكريم بأن الثواب والعقاب للأجساد والأرواح ، وعلى هذا تكون الجنة هى دار الثواب أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسله وعملوا الصالحات ، وفارقوا الدنيا على الايمان قال تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة الرزقا قالوا ، هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون » (٨٠) ٠

واذا كان الله تعالى يكافىء المؤمنين بالنعيم ، فانه يجازى الفجار بالنار عقبا على ما اقترفوا من كبائر الاثم ولهذا فان النار هى دار العقاب المعدة للعصاة الذين كفروا بالله ورسالاته

---

(٧٩) سورة المؤمنون الآية رقم ١١٥ ٠

(٨٠) سورة البقرة الآية رقم ٢٥ ٠

وعصوا الله ورسوله وأطاعوا أهوائهم وشهواتهم قال تعالى : « واعتدنا لهم عذاب السعير » (٨١) « كلا انها لظى . نزاعة للشوى ، تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » (٨٢) ٠

وقد وصف القرآ الكريم النار - أعاذنا الله منها - بأن وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (٨٣) كما جاء فى قوله تعالى : « فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكفارين » (٨٤) ٠

وأنها لا تشبع مما يلقى فيها ، بل تطلب المزيد « يوم نقول لجنهم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » (٨٥) ٠

والاستفهام الذى فى الآية على سبيل التصديق لخبره ، والتحقيق ، والتقريع لاعدائه والتنبيه لجميع عباده ، ويحتمل أن يكون استفهاما بمعنى الاستزادة اى هل من مزيد فازداد ، وانما صلح هذا للوجهين ، لأن فى الإستفهام ضربا من الجحد . وقيل ليس ثم قول وانما هو على طريق المثل ، أى أنها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك (٨٦) ٠

ومن أوصاف أهل النار أن طعامهم الزقوم . وهى شجرة من أخبث أنواع الشجر المر المنتن الرائحة « اذلك خير نزلا

---

(٨١) سورة الملك الآية رقم ٥ ٠
(٨٢) سورة المعارج الآية رقم ١٥ - ١٨ ٠
(٨٣) سورة التحريم الآية رقم ٦
(٨٤) سور ةالبقرة الآية رقم ٢٤ ٠
(٨٥) سورة ق الآية رقم ٣٠ ٠
(٨٦) الامام القرطبى - التفسير ج١٧ ص ١٨ ٠

أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج من أصل الجحيم ، طلعها كأنه رءوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم » (٨٧) .

ومن أوصافهم أيضا أن ثيابهم من النار بحيث تصبح تلك الثياب ، أداة من أدوات العذاب قال تعالى : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم . يصهر به ما فى بطونهم والجلود . ولهم مقامع من حديد . كلما ، ارادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » (٨٨)

وهكذا يحكى القرآن الكريم أوصاف النار وأهلها وما يلاقون فيها « أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٨٩) .

الى غير ذلك من الأصاف التى يلقاها هؤلاء الذين كفروا بآيات الله قال تعالى : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما » (٩٠) .

وهكذا من شدة الهول ، وقسوة العذاب يود المجرم أن يفدى نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه ، ولكن لا ينفع فداء ولا يقبل رجاء يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه

---

(٨٧) سورة الصفات من الآية رقم ٦٠ الى ٦٧ .

(٨٨) سورة الحج من الآية رقم ١٩ الى ٢٢ .

(٨٩) سورة الرعد الآية رقم ٥ .

(٩٠) سورة النساء الآية رقم ٥٦ .

وصاحبته وأخيه فصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى ... » (٩١) .

واذا كان ما أشرنا اليه بعض ما جاء فى القرآن الكريم من وصف لاهل النار الذين عملوا السيئات وعصوا الرسل وكفروا بآيات الله واختاروا طريق الأهواء والشهوات .

أما الذين اتبعوا الرسل وعملوا الصالحات . وآمنوا بالله ورسله واليوم الآخر لهم جنات تجرى من تحتها الانهار قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ، أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الآرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » (٩٢) .

والذى ويقرأ بتدبير القرآن الكريم فى وصف الجنة وما فيها من علامات دالة على البهاء والنضرة والجمال والنعيم لتكون جزاء لأهل التوحيد والتقوى وبهذا وصف الله الجنة . بأن نعيمهـــا دائم ، وسرورها لا ينفــذ ، وكل ما فيها بغير حساب ، فأنهارها كثيرة ـ ففيها أنهار من ماء غير آسن . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين . وأنهار من عسل مصفى .

وهذه الأنهار تجرى من تحت القصور . وفيها الفواكه . ولحوم الطيور قال تعالى : فى وصف أنهار الجنة « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم

---

(٩١) سورة المعارج من الآية رقم ١١ ـ الى رقم ١٥ .

(٩٢) سورة الكهف الآية رقم ٣٠ ، ٣١ .

يتغير طعمه . وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم .. » (٩٣)

ويقول تعالى : « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » (٩٤) .

وفى سورة الرحمن وغيرها من سور القرآن الكريم يتحدث القرآن الكريم عن النعيم الذى أعده الله تعالى لأهل الجنة وإن أعلى النعيم هو رؤية الله عز وجل ومناجاته والفوز برضاه قال تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (٩٥) .

قال تعالى : « ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الآرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم » (٩٦) .

وغير ذلك من النعيم الذى أعده الله تعالى لعباده الصالحين ، فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اقرأوا ان شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » (٩٧) .

---

(٩٣) سورة محمد الآية رقم ١٥ .

(٩٤) سورة الزخرف الآية رقم ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٩٥) سورة القيامة الآية رقم ٢٢ ، ٢٣ .

(٩٦) سورة يس من الآية رقم ٥٥ الى ٥٨ .

(٩٧) سورة السجدة الآية رقم ١٧ .

أبدية الجنــة والنار

ان الجنة والنار موجودتان الآن وفيما مضى وفى المستقبل لأنهما دار خلود ، فالجنة خالدة لا تفنى وكذلك النار ، وأهل كل منهما مخلدون ونصوص القرآن الكريم صريحة فى هذا فنجد فى كثير من الآيات التى تبين الخلود ليدل على استمرار البقاء قال تعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا » (٩٨) ٠

ويقول فى الكافرين « ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا ، خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا » (٩٩) ٠

ونود أن ننبه الى أن المؤمن لا يخلد فى النار وأما الذى يخلد فى النار فهو الكافر ، فالمؤمنون هم السعداء المخلدون فى الجنة ، والكفار هم الأشقياء المخلدون فى النار قال تعالى : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » (١٠٠) ٠

فأصحاب النار خالدون فى عذاب الله وسخطه ، وقد أكد هذا الخلود القرآن الكريم فى عدة مواضع منها قوله تعالى فى الكفار « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها » (١٠١) ٠

---

(٩٨) سورة النساء الآية رقم ١٢٢ ٠

(٩٩) سورة الاحــزاب الآية رقم ٦٤ ، ٦٥ ٠

(١٠٠) سورة هود من الآية رقم ١٠٦ الى ١٠٨ ٠

(١٠١) سورة البينة الآية رقم ٦ ٠

وقوله تعالى : « فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين » (١٠٢) ٠

وقوله تعالى : « ومن يعصى الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فها أبدا » (١٠٣) ٠

أما فى حق أهل الجنـــة فقد قال تعـــالى « وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتهـا الأنهـار خالدين فيها » (١٠٤) ٠

وقوله تعالى : « وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا » (١٠٥) ٠

وقوله تعالى « لهم جنات تجر ىمن تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا » (١٠٦) ٠

وبعد فهذه بعض السمعيات التى قد سمعنا عنها من كتـابنا الـكريم الذى لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ وأخبرنا بها الأمين على وحى الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فوجب علينا الايمان بوجودها بموجب سماعنا عنها من القرآن الكريم أوالسنة النبوية المطهرة والله الموفق وهو الهـــادى الى الصراط المســتقيم « صراط الذين أنعم تعليهم غير المغضـوب عليهم ولا الضالين » ٠

---

(١٠٢) سورة النحل الآية رقم ٢٩ ٠
(١٠٣) سورة الجن الآية رقم ٢٣ ٠
(١٠٤) سورة أبراهيم الآية رقم ٢٣ ٠
(١٠٥) سورة التوبة الآية رقم ١٠٠ ٠
(١٠٦) سورة المائدة الآية رقم ١١٩ ٠

أهم المصـــادر والمراجع

القرآن الـكريم :

١ – الامام مسلم صـحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى طبعة الحلبى ٠

٢ – الامام ابن ماجة سنن الحافظ ابن ماجه احياء التراث العربى والحلبى ٠

٣ – الامام السيوطى – الاتقان فى علوم القرآن طبعة دار الشعب بالقاهرة ٠

٤ – الامام القرطبى – الجامع لأحكام القرآن الكريم – نشر دار الكتاب العربى للطبـاعة والنشر سنة ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م ٠

٥ – الامام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم طبعة سنة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م ٠

٦ – الامام فخر الدين الرازى – التفسير الكبير المطبعة العامرة الشرفية الأولى ١٣٠٨ هـ ٠

٧ – الامـام فخـر الـدين الرازى – شرح أسـماء الله الحسنى ٠

٨ – الامـام فخر الدين الرازى – من أسرار التنزيل – تحقيق عبد القادر طا نشر دار المسلم ٠

٩ – الامام الغزالى – المنقذ من الضلال تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود نشر دار الكتب الحـديثة – الطبعـة الثامنة ٠

١٠ - الامام الغزالى - تهافت الفلاسفة - تحقيق الدكتور سليمان دنيا طبعة دار المعارف الطبعة الخامسة .

١١ - الامام الغزالى - القسطاس المستقيم تحقيق محمود ركاب الرشيدى محمد توزيع مكتبة جعفر الحديثة .

١٢ - الامام الغزالى الاقتصاد فى الاعتقاد طبعة على صبيح الأولى ١٣٢٢ هـ .

١٣ - الامام الغزالى - التجريد فى كلمة التوحيد طبعة عيسى الحلبى سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .

١٤ - الامام ابن قيم الجوزية - هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا - نشر المكتبة القيمة - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

١٥ - الامام ابن قيم الجوزية - الصواعق المرسلة مكتبة المتنبى ١٩٨١ م .

١٦ - الامام ابن تيمية - المنحة الالهية فى شرح العقيدة الوسطية تحقيق الدكتور على مصطفى الغرابى نشر مكتبة صبيح سنة ١٩٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

١٧ - الامام على ابن أبى العز الحنفى - شرح الطحاوية تحقيق الدكتور أحمد شاكر مطبوعات جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية - الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

١٨ - الامام تقى الدين أبى بكر الحصنى - دفع شبه من شبه وتشبه طبعة احياء الكتب العربية - عيسى الحلبى .

١٩ - الامام ابن القيم الجوزية - شفاء العليل - تحقيق الحسانى حسن عبد الله نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٢٠ ـ الامام عبد القادر بن طاهر البغدادى ـ الفرق بين
تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد ـ بيروت لبنان ـ
دار المعرفة للطباعة والنشر .

٢١ ـ الشهرستانى ـ الملل والنحل تحقيق الأستاذ
عبد العزيز محمد الوكيل نشر مؤسسة الحلبى .

٢٢ ـ الامام بن منظور ـ لسان العرب ـ نشر مكتبة
الصحابة بطنطا .

٢٣ ـ الامام أبو المظفر الاسفراينى ـ التبصير فى الدين
تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ـ مطبعة الأنوار ـ
الطبعة الأولى سنة ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م .

٢٤ ـ الامام ابراهيم البيجورى ـ شرح البيجورى على
الجورة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥ .

٢٥ ـ الامام الجوينى ـ الارشاد الى قواطع الأدلة فى
أصول الاعتقاد ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وآخر ـ
نشر مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد .

مطبعة السعادة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .

٢٦ ـ ابن خلدون ـ المقدمة ـ طبعة دار الشعب .

٢٧ ـ الامام سعد الدين التفتازانى ـ شرح المقاصد .

٢٨ ـ الشيخ طنطاوى جوهر ـ القرآن والعلوم العصرية
طبعة الحلبى الثانية سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥١ م .

٢٩ ـ الدكتور محمد يوسف موسى ـ القرآن والفلسفة
طبعة دار المعارف الرابعة ١٩٨٢ .

٣٠ - ابن رشد - مناهج الأدلة فى عقائد الملة - تحقيق الدكتور محمود قاسم مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثانية ١٩٦٤ م .

٣١ - الامام محمد عبده رسالة التوحيد .

٣٢ - الدكتور محمد عبد الله دراز - الدين مطبعة السعادة سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٣٣ - الأستاذ محمد اقبال - تجديد الفكر الدينى - ترجمة عباس محمود .

٣٤ - الدكتور محمد البهى - الجانب الالهى من التفكير الاسلامى - دار الفكر - الطبعة الخامسة - بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

٣٥ - دكتور محمد غلاب - المعرفة عند مفكرى الاسلام - الدار المصرية للتأليف والترجمة - دار الجيل للطباعة .

٣٦ - الشيخ نديم الجسر - الجواب الالهى - دون تاريخ .

٣٧ - الاستاذ وحيد الدين خان - الاسلام يتحدى - ترجمة ظفر الاسلام خان - الطبعة الرابعة المختار الاسلامى ١٩٧٣ م .

٣٨ - الدكتور محمد خليل هراس - دعوة التوحيد - نشر مكتبة الصحابة بطنطا .

٣٩ - الدكتور محمود حب الله - الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية .

٤٠ - الاستاذ سيد قطب - خصائص التصور الاسلامى - دار الشروق - الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ٠

٤١ - الشيخ السيد سابق - العقائد الاسلامية - دار الفكر - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م ٠

٤٢ - الدكتور - يحيى هاشم فرغل - مداخل العقيدة الاسلامية مطبعة التقدم طبعة ١٩٨٥ م ٠

٤٣ - الدكتور يحيى هاشم فرغل - أساسيات فى العقيدة الاسلامية - نشر مكتبة المكية - أبو ظبى - العين ٠

٤٤ - الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى - الألوهية فى الفكر الاسلامى - طبعة سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م ٠

٤٥ - الدكتور عبد الله يوسف الشاذلى - مدخل الى الاستدلال القرآنى الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ٠

٤٦ - الدكتور جمعة على الخولى - تاريخ الدعوة - دار الطباعة المحمدية سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ٠

٤٧ - الاستاذ عباس العقاد - عقائد المفكرين - نشر مكتبة غريب مطبعة الاستقلال ٠

٤٩ - الشيخ محمد الغزالى - عقيدة المسلم - دار التوفيق النموذجية الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ٠

٥٠ الدكتور عبد الحليم أحمدى - - العقيدة الاسلامية - البيرق للطباعة والنشر - الكويت ٠

٥١ – الدكتور مصطفى عبد الواحد – الايمان فى القرآن – دار الصحوة للنشر سنة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٥٢ – الدكتور أحمد أبو السعادات – دراسات فى العقيدة الاسلامية – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٥٣ – الدكتور ابراهيم زيد الكيلانى – تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام – مكتبة الأقصى عمان – الأردن – الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

٥٤ – الدكتور محمود مزروعة – المنهج القرآنى فى الاستدلال على وجود الله حولية كلية أصول الدين بالمنوفية عدد سنة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

٥٥ – الدكتور حلمى عبد المنعم صابر – المنظور الزمانى فى القرآن الكريم – حولية كلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة العدد الثانى سنة ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

فهـرس الموضـوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة
الفصــل الخامس	٢٥٥
تمهيــد	٢٥٧
وجوب الايمان باليوم الآخر	٢٥٩
المقصود باليوم الآخر	٢٦٠
كيف يبدأ يوم القيامة ؟	٢٦٤
البعث بعد الموت	٢٦٦
الشــفاعة	٢٧١
الحســاب	٢٧٥
الصراط	٢٧٩
الجنــة والنــار	٢٨٠
أبدية الجنة والنار	٢٨٥
أهم المصادر والمراجع	٢٨٧

تصويب بعض الاخطاء المطبعية

رجاء الى القارىء الكريم ان يصحح بعض
الاخطاء المطبعية التى وردت بالكتاب

الخطا	الصواب	رقم الصفحة	رقم السطر
الزكان	الزكاة	٧	١٥
يبــد	بيد	١٥	١٢
فستدل	فاستدل	٢٠	١٥
الوثنيون	الوثنيين	٣٣	٨
والمخرفون	والمخرفين	٣٣	٩
والمجسدون	والمجسدين	٣٣	٩
كلهم	كلهم حنفاء	٥٣	٤
انى	أننى	٥٨	٤
أفغير الله	أفغير دين الله	٦٧	١٩
اذا	أذ	٦٩	٨
ونورا	ونور	٧٠	٤
البطلة	الباطلة	٧٩	٧
واذا	واذ	٨١	٣
آلهــة	ءالهة	٨٩	١٨
أرباب	ءأرباب	٨٦	٢
آلهــة	ءالهــة	٩٠	١
يبــدأ	يبدؤا	١١١	٩

الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	رقم السطر
ذلك	ذالكم	١٢٥	٢١
أفرايتم	أفرعيتم	١٢٦	١٣
متشابه	متشابها	١٢٦	٢٩
الله	لله	١٧٢	٦
المـوات	الامـوات	١٩٠	١٣
أغلالها	أغلالا	٢٢٢	٦
يس	يونس	٢٢٢	١٩
يدعـو	يدعوا	٢٣٢	٩
يس	يونس	٢٣٢	١٩
معين	مبين	٢٤٧	٢٠
وأنبتت من زوج	وأنبتت من كل زوج	٢٥٧	٦
والله	الله	٢٥٩	١٢
أسرفوا	أسرفوا على	٢٦٣	١
كـن	كان	٢٦٩	٤
الآية ٢٥	الآية ٧١،٧٢	٢٦٩	٢٠
لظـا	لظى	٢٧١	٢
تدعـو	تدعـوا	٢٧١	٣
مـن	فى	٢٧٢	٢
غـرر	غير	٢٧٥	١٧

رقم الأيداع
٢١٩٧ / ٩٦
الترقيم الدولى I.S.B.N
977 - 19 - 0157 - 5
مكتب الأشول للطباعة بطنطا